
ألواح
أوروك المنسية
أسو محمد آغا

الكتاب : الواح أوروك المنسية \ أسو محمد أغا

المؤلف: أغا ، أسو محمد

النوع: رواية قصيرة

تصميم الغلاف: أسو محمد أغا

الطبعة: الأولى

عدد الصفحات: ١٣٠

ألواح أردوك المنسية

تأليف

أنس محمد أغا

الى

القارئ الذي سيحمل، بين أسطر هذه الصفحات، بعضاً من ذ لك الثقل الذي استقر في الصدر .إلى من يفهم أن الفراغ ليس غياباً، بل هو مساحةٌ تنتظر أن تُنقش فيها الحقيقة .
أهد يك هذا القلم المكسور، فربما تجد في شظاياه ما يُعيد ترتيب عالمك

إلى القارئ:

لا تبحث في هذه الصفحات عن معركة تقليدية بين الخير والشر، أو عن بوصلة أخلاقية جاهزة تفرق لك بوضوح بين الصواب والخطأ.

هذه الرواية لا تبكي، ولا تغضب، ولا تطلب تعاطفك. إنها تروي أحداثها ببرودة الطين وجفاء الحجر، مستبدلةً العاطفة بـ "الوزن"، والندم بـ "الحساب". البطل هنا لا يقدم لك مبررات، والنص لا يحكم على خياراته، بل يفتح لك "دفتر الحسابات" ويتركه أمامك عارياً، ليطرح معادلة قاسية: ما هي التكلفة الحقيقية للحفاظ على الحقيقة؟

هذا النص لا يمنحك الإجابات، بل يمنحك الوقائع. إنه يضعك أمام الميزان، ويترك لك، أنت وحدك، مهمة حمل هذا الثقل، وتأمل التكلفة، وتحديد ما إذا كان هذا المسار هو طريق الصواب أم لا.

اقرأ، أوزن الحقائق، واحكم.

الفصل الأول — القلم المكسور

شظية مستعادة من إيداع أرشيفي، محيط أوروك .مركب طيني .الفترة غير محددة .نص تقريبي:

...الحدود المحددة في المراقبة الرابعة ...

...الذين يعبرون دون نقش سيكونون ...

[...غير قابل للقراءة]... النهر يتذكر ما ...

...لا .الحدود ليست خطًا .إنه فعل...

[...ضرر سطحي: فقدان حوالي سبعة أحرف...]

...بدون سجل، لا يوجد...

[اللوح ينتهي]

طين.

أول ما شعرت به كان الطين على خدها، باردًا وكثيفًا، يضغط على التجويف تحت عينها. لم تتحرك. كان للطين ثقل يبدو طبيعيًا، وكأنه كان هناك قبلها. وفوقها، كانت القصب تقف في صفوف كثيفة، ورؤوسها تنحني لرياح لم تستطع أن تشعر بها وهي على الأرض. كانت السماء خلفها بيضاء شاسعة ومسطحة ، لا توجد سحب يمكنها تسميتها، بل مجرد سقف من الضوء الشاحب لا يعكس أي شيء.

تنفسَت. كان للهواء طعم طمي النهر والعفن الأخضر. كانت أصابعها ملتوية في الوحل. وعندما فردتها، أصدر صوت شفط صغير رطب.

نظرت إلى يديها. كانتا يدي امرأة، مليئتان بالتجاعيد والندوب على مفاصل الأصابع ، اليد اليسرى أكثر من اليمنى. كانت الندوب قديمة. لم تعرف كيف عرفت أنها قديمة. لم تعرف لمن كانت هاتان اليدان.

كان هناك شيء يضغط على راحة يدها اليمنى. فتحت أصابعها ببطء. قلم. مكسور بالقرب من قمته، وجذعه المصنوع من القصب شقّ على طول الألياف. أما الطرف المتبقي فكان لا يزال صلبًا. أغلقت أصابعها حوله مرة أخرى. بدا الإمساك به كأنه تم التدرب عليه، رغم أنها لم تستطع تذكر أنها تدربت عليه.

جلست. كانت حركتها حذرة ومتسلسلة ، أولاً اليدين، ثم الذراعين، ثم العمود الفقري. كل مفصل أخبرها بحالته دون تفسير. متصلب. سليم. كانت ملابسها من الكتان الخشن، متصلبة بالطين، ممزقة عند الكتف الأيسر. تحتها، جلدها بارد لكن سليم. لم تجد أي جرح. لم تجد أي دم لم يجف ويصبح باهتاً.

وبين القصب والهيكل، منتشرة على الأرض المستوية، كانت هناك جدران. جدران منخفضة من الطوب الطيني، بعضها يصل إلى ارتفاع الكتف، وبعضها الآخر لم يتبق منه سوى نتوءات في التربة. أطلال شيء أكبر. مدينة، أو بقايا مدينة. كان الدخان يتصاعد في خيوط رفيعة من نقطتين أو ثلاث داخلها. كان هناك أشخاص يتحركون ، إن كانوا أشخاصًا ، صغار الحجم وداكني اللون على خلفية الأنقاض.

لم تندفع للوقوف على الفور. جلست في الوحل واستمعت. صوت الريح في القصب. صوت الماء وهو يستقر. صوت بعيد، إيقاعي، يشبه الطرق ، خشب على طين، يتكرر على فترات غير منتظمة. لا أصوات. أو أصوات بعيدة جدًا بحيث لا يمكن تمييزها عن صوت الريح.

وقفت. كان توازنها ثابتًا. ثبتت ساقاها. بدأت تمشي نحو الأطلال، ليس لأنها قررت ذلك، بل لأن جسدها كان قد اتخذ هذا الاتجاه بالفعل، ولم ير عقلها أي سبب للاعتراض.

أصبح القصب أقل كثافة مع تصلب الأرض. مرت بين آخر ما تبقى منه وهي تمسك القلم منخفضاً على فخذها، ورأسه إلى الأمام، بالطريقة التي يمسك بها المرء أداة قد تحتاج إلى أن تصبح شيئاً آخر. لم تفكر في هذا. يدها كانت تعرف.

كان الجدار الأول الذي وصلت إليه مغطى بلوح طيني، مثبت على الطوب بالوحل المجفف نفسه. وكان اللوح يحمل نقوشًا مسمارية ، أنيقة ورسمية، من صنع كاتب متمرس. توقفت ونظرت إليه. كانت قادرة على قراءته. لم تكن تعلم أنها تستطيع قراءته حتى تحولت النقوش إلى كلمات ذات معنى:

يجب أن تُفرض الضريبة على جميع شحنات الحبوب المتجهة إلى معبد إينانا بمعدل العُشر المعتاد. دون استثناء. بموجب مرسوم صادر عن إدارة المعبد.

أدناه، على نفس اللوح وبخط مختلف ، أكثر خشونة وأصغر حجماً، متداخلاً مع النقش الأول في بعض الأماكن ، نص آخر:

جميع شحنات الحبوب معفاة من العشر خلال أسبوع المهرجان. كان هذا هو القانون دائماً. ما ورد أعلاه مزور.

أدناه، بخط ثالث، بالكاد يمكن قراءته، حيث كانت العلامات محفورة بعمق لدرجة أنها كادت تخترق اللوح:

لا يوجد مهرجان. لم يكن هناك مهرجان أبداً. أطيعوا النقش الأول.

وقفت أمام اللوح لبعض الوقت. لم تتعارض النقوش الثلاثة فيما بينها بالطريقة التي تتعارض بها الأكاذيب مع الحقيقة. بل تعارضت بالطريقة التي تتعفن بها الأشياء ، فكل طبقة تلتهم الطبقة التي تحتها، وكلها مؤكدة.

مضت في طريقها.

جدار ثانٍ. لوح آخر. كان هذا اللوح مشقوقًا بخط قطري، وقد أُعيد ضم النصفين معًا بالطين الرطب الذي كان يجف الآن، مما أدى إلى تغيير تناسق النقوش:

يتطلب الطقس الصباحي سكب الماء المقدس من الإناء الشرقي إلى الحوض الغربي...

أدى الشق إلى تغيير السطر التالي:

...من الإناء الغربي إلى الحوض الشرقي. الإناء الشرقي نجس...

...لا يوجد إناء. يجب سكب الماء من يدي الكاهنة مباشرةً على...

انتهت اللوحة في منتصف الجملة. وقد تفتت الطين في المكان الذي كانت توجد فيه الكلمات الأخيرة.

سمعت صوت الطرق بوضوح أكبر الآن. أمامها، خلف بوابة نصف منهارة من الطوب المحروق بالشمس، وقفت شخصيتان أمام طاولة خشبية منخفضة. كان أحدهما يحمل مطرقة. وأمامهما، على الطاولة، كانت الألواح الطينية مكدسة في كومة غير مرتبة ، بعضها سليم، وبعضها محطم، وبعضها متشقق لدرجة أن أسطحها أصبحت حقولاً من الشظايا. كان الشخص الذي يحمل المطرقة يضرب إحدى الألواح، محطماً إياها عمداً. أما الشخص الثاني فكان يجمع القطع ويضعها في سلة من القصب.

كان كلاهما يرتدي زِيّ عمال المعبد البسيط. كانت وجوههما شاحبة، وحركاتهما آلية. رفع الشخص الذي يحمل مطرقة المطرقة مرة أخرى، وضرب بها اللوح. انكسر اللوح بصوت يشبه صوت كسر عظمة صغيرة.

تكلم الشخص الثاني: ***هذا لا يزال يردد الصلاة الثالثة. من المفترض أن يردد الصلاة السابعة.***

حطمه إذن.

لكن إذا حطمته، فلن يكون هناك أي سجل لما كان يردده من قبل.

لا يوجد أي سجل الآن. لقد تغيرت الكلمات هذا الصباح. حطمه قبل أن تتغير مرة أخرى.

سقطت المطرقة. وهي شاهدت القطع تتناثر. لم يلاحظها أي من الشخصين. ولم تعلن عن وجودها. سارت متجاوزة البوابة على طول الجدار الداخلي، حيث كان الظل يخيّم والطوب الطيني يبرد كتفها.

ظهر كلب من زاوية سقيفة مهدمة. نحيف، ذو أضلاع بارزة، وفروه بلون الطين الجاف. توقف عندما رآها. خفض رأسه. شد شفتيه عن أسنانه الطويلة الصفراء. لم يهدر. قام بتقييمها بالطريقة التي قامت هي بتقييم اللوح بها ، باهتمام صبور ومحترف.

تقدم. دون تسرع. متفحصًا.

لم تتراجع. نقلت وزنها إلى قدمها الخلفية. انتقل القلم من فخذها إلى جانبها، ممسكة به الآن عبر جسدها، ووجهته إلى الخارج. رأى الكلب الحركة وتوقف. تتبعت عيناه القلم بالطريقة التي يتتبع بها حيوان عامل الأداة التي دُرب على احترامها أو الخوف منها.

انقض.

لم ترتعش. استدار جسدها قليلاً إلى اليسار ، الحد الأدنى المطلوب للسماح لزخم الحيوان بالمرور من مركزها. دفعت يدها اليمنى القلم المكسور إلى قاعدة حلق الكلب، بزاوية مائلة للأسفل، مستخدمة سرعة الحيوان نفسه لغرس الرأس بعمق. انثنى ساق القلم، الذي كان مكسوراً بالفعل، لكنه صمد. حمل وزن الكلب القلم لتجاوزه وسقط على الأرض على جانبه، وتصلبت أرجله مرة واحدة، ثم سكنت.

استغرق الأمر برمته أقل من ثانيتين. لم تصدر أي صوت. ولم يصدر الكلب أي صوت تقريبًا ، مجرد زفير قصير رطب، كما لو كان يحبس أنفاسه ثم أطلقها أخيرًا.

وقفت فوقه. كانت يدها ثابتة. سحبت القلم من مكانه ومسحت طرفه على فراء الكلب. لم تكن الحركة دقيقّة. بل كانت مجرد إزالة للبقايا.

لم تشعر بالرضا. ولم تشعر بالغثيان. شعرت بنفس الشعور الذي انتابها وهي تنظر إلى اللوح المتناقض: سكون داخلي دقيق، والجسد يعمل وفق تعليمات لم يكتبها العقل.

واصلت طريقها إلى المدينة.

شوارع أوروك ، إن كانت كلمة «شوارع» هي الوصف المناسب للقنوات بين الجدران المنهارة والمباني المائلة ، لم تكن خالية، لكنها كانت هادئة بطريقة توحي بأن الهدوء لم يكن اختيارياً. كان الناس يتحركون بخطى حذرة كمن

يتوقعون أن تتغير الأرض تحت أقدامهم. كانت امرأة تحمل جرة ماء على رأسها، تمشي ببطء، وعيناها مثبتتان على الأرض أمامها كما لو كانت تتبع مسارًا لا تراه سواها. كان رجلان يتجادلان بالقرب من مدخل أحد المنازل، لكن أصواتهما كانت منخفضة وإيماءاتهما مقيّدة، كما لو أن رفع الصوت قد يزيد الأمر سوءًا. جلس طفل على التراب، يرسم علامات في الغبار بعصا ، ليست حروفًا، ولا صورًا، مجرد خطوط، تتكرر، ثم تمحى، ثم تتكرر.

مرت بجوار جدار المعبد حيث كان أحد كتبة المعبد قد نصب مقعدًا خشبيًا صغيرًا. وكان الكاتب ، شابًا، يديه ملطختان بغبار الطين ، ينقل النص من لوح إلى آخر. أبطأت خطاها وراقبت. كان اللوح الأصلي موضوعًا أمامه على المقعد. أما اللوح الذي ينسخ عليه فكان موضوعًا على ركبته. وكان قلمه يتحرك بحذر، يرسم كل حرف بتركيز شديد.

توقف. عبس. نظر إلى اللوح الأصلي مرة أخرى. لم تتغير الرموز الموجودة عليه ، أو إذا تغيرت، فلم تستطع هي رؤية ذلك من المكان الذي كانت تقف فيه. لكن تعابير وجهه تغيرت. فرك عينيه بظهر يده. انحنى أقرب. تحركت شفتاه وهو يقرأ، ناطقاً بصمت الرموز التي لم تعد تتعاون معه.

رفع رأسه ونظر إليها.

"***هل أنتِ***..." توقف عن الكلام. انتقلت عيناه إلى يديها، وإلى القلم المكسور الذي لا يزال ملطخًا بدماء الكلب. لم يكمل سؤاله.

نظرت إليه للحظة. ثم نظرت إلى الألواح الموضوعة على منضدته. كان هناك شق رفيع يمتد عبر وسط اللوح الأصلي، وهو ما لم يكن موجودًا عندما بدأ العمل.

مضت في طريقها.

توقفت بالقرب من قاعدة الزقورة. كان المبنى يرتفع فوقها بطوابقه المكسورة، كل طابق أصغر من الذي دونه، والطوب متآكل ومثقوب بفعل الرياح والزمن. في الأعلى، حيث كان من المفترض أن يقف معبد، لم يتبق سوى حافة خشنة، مفتوحة على السماء البيضاء. كان الدرج الذي كان يؤدي إلى الأعلى في يوم من الأيام ،مفقودًا في أجزاء كاملة، حيث تنتهي الدرجات فجأة في الهواء قبل أن تستأنف أعلى، كما لو أن شيئًا ما قد أزالها بعناية، واحدة تلو الأخرى.

كان الناس يتحركون حول قاعدة الهرم ، رجال يرتدون ملابس كهنوتية من الكتان النظيف، وعمال يحملون أحمالاً، وزوج من الحراس المسلحين يقفان بثبات خاص يخص أولئك الذين لا يتوقعون أن تكون هناك حاجة إليهم. كانت تراقبهم. لم يرفع أي منهم نظره نحو القمة المهدمة. كانوا يتحركون على طول القاعدة وكأن الزقورة مجرد جدار، ولا أهمية لارتفاعها.

وقفت بعيدًا عنهم، في ظل غرفة تخزين منهارة، ونظرت إلى ما يحيط بها: مدينة لم تستطع فيها السجلات الحفاظ على شكلها، ولم تستطع فيها الطقوس الاتفاق على خطواتها، ولم يدم يقين الكاتب إلا بقدر ما دامت الطين تحت قلمه. لم يكن الضرر كبيرًا. لم تكن هناك حرائق. لم تكن هناك صرخات. مجرد تفكك بطيء ومنهجي لعالم نسي كيف يتذكر نفسه.

نظرت إلى يديها. مجروحتان. مؤهلتان. استقر القلم المكسور في راحة يدها اليمنى، وساقه المكسورة مغطاة بالدم الجاف.

شعرت بشيء. ليس الحزن ، فالحزن يتطلب معرفة بما فقد. ليس الغضب ، فالغضب يتطلب هدفاً. ما شعرت به كان فراغاً، محدداً وموضعيّاً، مثل الأثر الذي يتركه الحجر في الطين بعد سحبه. كان هناك شيء ما. بقي شكله. أما جوهره فلم يعد موجوداً.

لم تكن تعرف ما هو. لكنها كانت تدرك أهميته، بنفس الطريقة التي يدرك بها الجسد أهمية الطرف المفقود ، ليس عن طريق التفكير، بل من خلال الوزن.

ضمت أصابعها حول القلم. فغرزت ريشة القلم في راحة يدها المليئة بالندوب. وظلت تمسك به حتى أصبح الضغط بمثابة لغة.

ثم خرجت من الظل وبدأت تمشي نحو الزقورة. ليس نحو الدرجات المكسورة. بل نحو القاعدة، حيث تُحفظ المحفوظات ، غرف منخفضة، جدران سميكة، ألواح طينية مكدسة في صناديق خشبية وعلى رفوف، سجلات حضارة تفقد ببطء قدرتها على معرفة نفسها.

لم تكن تعرف من أين عرفت إلى أين تذهب.

لكن خطاها عرفت.

الفصل الثاني — الأرشيف الذي ينزف

قطعة تم استردادها من مخزن أرشيف المعبد، أوروك. مركب طيني، محروق جزئيًا. تدهور السطح مطابق للضرر الناتج عن نشاط وليس عن تأثير خارجي. نسخة تقريبية:

...عندما يتشقق النقش، فإن الشيء الذي يسميه يبدأ في...

...يجب ألا يتردد الكاتب. الإصلاح ليس إبداعًا بل هو...

..ثلاثة أحرف مقروءة جزئيًا]...الحفاظ على الشكل حتى يتذكر الطين ما كان عليه [...

***اللوحة التي تتغير لا تكذب. إنها تموت. يجب أن يتطابق الإصلاح مع الضغط الأصلي، والزاوية الأصلية، وإلا ...
...فإن النقش الجديد سوف***

...[فقدان الجزء السطحي: جزء من الحافة مفقود]...

...الشق ليس الجرح. الشق هو الجسد الذي يحاول...

[تنتهي اللوحة عند الحافة المكسورة]

لم يكن مدخل الأرشيف بابًا. بل كان فجوة ، جزء من الجدار إما أُزيل أو انزاح من تلقاء نفسه، وحوافه غير منتظمة بدرجة لا تسمح باستخدام الأدوات، ونظيفة بدرجة لا تفسر انهيارها. وقفت عند العتبة، فلامس وجهها الهواء المنبعث من الداخل: أبرد من الهواء الخارجي، ومشبع برائحة معدنية من الطين الجاف وشيء ما يكمن تحتها، شيء ذكّرها بطعم النحاس على اللسان، رغم أنها لم تستطع تفسير سبب معرفتها بهذا الطعم.

ثم دخلت.

لم يكن المكان الذي وراءها واسعاً. غرفة ربما يبلغ عمقها عشرين خطوة وعرضها خمس عشرة، وسقفها منخفض لدرجة أن رجلاً طويلاً سيضطر إلى إمالة رأسه، وجدرانها سميكة لدرجة أن أصوات المدينة ، مهما كانت ، لم تتبعها إلى الداخل. كان الضوء يأتي من فتحات عالية محفورة في الطبقات العليا من الطوب، ضيقة جدًا بحيث لا تسمح بمرور سوى أشعة رفيعة من الضوء الكهرماني الذي يسقط بزوايا، يعبر المساحة بخطوط متوازية تتغير مع تحرك الشمس في الخارج. كان الغبار يدور في تلك الأشعة، ببطء وبدون هدف، كأشياء نسيت إلى أين هي ذاهبة.

كانت الرفوف تصطف على طول الجدران. خشب قديم داكن اللون، مثبّت في تجاويف محفورة في الطوب الطيني. ووقفت رفوف أخرى قائمة بذاتها في وسط الغرفة، مرتبة في صفوف تشبه أعمدة غابة صغيرة. وعلى هذه الرفوف، ومكدسة في صناديق طينية تحتها، ومتكئة على الجدران حيث نفد مكان الرفوف، كانت توجد ألواح. المئات منها. ربما الآلاف. مستطيلات طينية بأحجام متفاوتة، بعضها محروق إلى لون طيني باهت، وبعضها الآخر لا يزال باللون الرمادي البني للطين المجفف. كان معظمها موضوعًا بشكل مسطح. وبعضها كان واقفًا على حافته. وقليل منها كان مكدسًا في أعمدة غير مستقرة لا تتكئ إلا على وزنها المتراكم.

وقفت عند المدخل مباشرة وسمحت لعينيها بالتأقلم. لم تكن الغرفة هادئة. كانت تتنفس بأصوات خافتة: صوت طقطقة جافة لصلصال يتحرك على طين، صرير خافت لخشب يستقر، همسة تكاد لا تُسمع للغبار يتحرك في الهواء. وتحت تلك الأصوات، في الخلفية، كان هناك صوت لم تستطع تحديده في البداية ، نوع من التكتكة، أو الطقطقة، غير منتظم الإيقاع، كما لو أن شيئًا ما كان ينقر على شيء آخر في الزوايا المظلمة التي لا يصلها الضوء.

توجهت إلى الرف الأقرب. كانت الألواح الموجودة هناك صغيرة، بحجم كف اليد، وأسطحها مكتظة بالكتابة المسمارية. سجلات إدارية، كما يبدو من مظهرها ، إحصاءات الحبوب، وتوزيع العمالة، والحسابات الدقيقة لمدينة تعيل نفسها. أمالت رأسها لتقترب. كانت الحروف مرتبة ومتناسقة، من عمل كاتب تدرب حتى أصبح القلم يحركه دون وعي.

كان أحد الألواح به شق. شق دقيق يمتد من الزاوية اليسرى العليا نحو الوسط، لا يزيد طوله عن عرض إصبع. نظرت إليه. لم يكن الشق جديدًا ، فقد جفت حوافه، وارتفع الطين حوله قليلاً كما لو أن المادة حاولت أن تعيد تجميع نفسها وفشلت. لمست حافة اللوح بأطراف أصابعها. كان الطين بدرجة حرارة الغرفة. لم يمتد الشق. مضت قدمًا.

كان الصف الثاني من الرفوف يحمل ألواحًا أكبر. كانت هذه مختلفة ، أكثر رسمية، والرموز أكبر وأعمق، والأسطح مصقولة بلمسة نهائية تلتقط الضوء الكهرماني وتحتفظ به. ربما كانت مراسيم. تسلسلات طقسية. نصوص ذات أهمية لم تكن لحساب الحبوب. توقفت عند واحدة لفتت انتباهها ليس بسبب محتواها بل بسبب حالتها: لم يكن السطح أملسًا. كان متموجًا. لم يتشقق الطين بل انحنى، كما لو أن شيئًا ما تحته قد تحرك وتبعه السطح، مثل الجلد فوق مفصل متحرك.

انحنت لتقترب. كانت الحروف واضحة لكنها غير ثابتة ، الحروف العمودية تميل قليلاً إلى اليمين، والخطوط الأفقية تنحني حيث كان من المفترض أن تكون مستقيمة. راقبتها. للحظة، خيل إليها أنها رأت الحروف تتحرك ، انجراف بطيء، يكاد لا يُلاحظ، كما لو كان الطين سائلاً والحروف تطفو عليه. ثم سكنت. رمشت بعينيها. وظلت الحروف ثابتة. لم تستطع التأكد من أنها رأت أي شيء على الإطلاق.

صوت من أعماق الأرشيف. ليس صوت النقر. صوت منخفض، ينطق بكلمات لم تستطع تمييزها تمامًا. أدارت رأسها. بين صفوف الرفوف، على بعد حوالي عشرة خطوات، تحركت شخصية ، رجل يرتدي تنورة من الكتان خاصة بموظفي المعبد، رأسه منحني، ويديه مشغولتان بشيء لم تستطع رؤيته. كان يتكلم وهو يعمل، الكلمات إيقاعية ومتكررة، همهمة قد تكون صلاة أو تلاوة أو الصوت الذي يصدره الرجل عندما لا يثبت ما يقرأه ويحاول تثبيته بصوته.

لم تقترب منه. عادت إلى الرفوف وواصلت مسيرتها.

كان الصف الثالث يحمل صناديق. صناديق خشبية، جوانبها مربوطة بأوتاد بدلاً من الحبال، مصممة لحمل الألواح في طبقات مفصولة بقطع من القماش أو حصائر من القصب. كانت معظم الصناديق مغلقة. إلا أن إحداها كانت مفتوحة. كان غطاءها متكئاً على الرف المجاور، وداخلها كانت الألواح مكدسة دون فواصل، وأسطحها ملتصقة ببعضها البعض، وحوافها متكسرة ومتآكلة من التلامس. نظرت إلى داخل الصندوق. كانت الألواح في الأعلى سليمة ، يمكن قراءتها، وإن كانت مغبرة. لكن في أعماق الكومة، حيث كان الضغط أكبر، استطاعت أن ترى التلف: شقوق تمتد عبر عدة ألواح بشكل متوازٍ، كما لو أن كسرًا واحدًا انتشر عبرها مثل موجة في الماء.

مدت يدها ورفعت الطبقة العليا بحذر، ووضعت الألواح جانبًا على الرف. أظهرت الطبقة التي تحتها المزيد من التلف. لم تكن الشقوق هنا متوازية فحسب، بل متفرعة ومتشعبة، مثلما تنقسم سهل دلتا النهر مرارًا وتكرارًا مع اقترابها من البحر. رفعت طبقة أخرى. كانت الشقوق أسفلها أوسع. كان الضوء يمر من خلال إحداها ، فقد انشق اللوح تمامًا، ولم يكن ما يربط نصفيه سوى ضغط الألواح الموجودة فوقه.

وضعت الطبقات جانباً واحدة تلو الأخرى، بهدوء ومنهجية، ويدها تتذكر وزن الطين وهشاشته، حتى وإن كان عقلها لا يقدم أي سياق لتلك المعرفة. في قاع الصندوق، لم تكن الألواح متصدعة. بل كانت مسحوقة ، تحولت إلى شظايا ورماد، والعلامات المكتوبة عليها لم تتضرر فحسب بل انمحت تماماً، وأصبح سطح الطين الذي حملها ذات يوم مجرد غبار رمادي يتحرك كلما نفخت عليه.

حدقت في الغبار. لم ترتجف يداها. لم يتغير تنفسها. لكن شيئًا ما في صدرها ، الفراغ الذي شعرت به بين القصب، والغياب الذي لا اسم له ، انكمش، ليس بالامتلاء بل بالإدراك. كان هذا خطأً. ليس خطأً بالطريقة التي تكون بها الأداة المكسورة خطأً، أو الوجبة الفاسدة خطأً. خاطئ بطريقة أعمق من الوظيفة. خاطئ بطريقة تمس شيئًا هيكليًا، شيئًا لا ينبغي أن ينكسر، لكنه ينكسر على أي حال.

أعادت الطبقات التي أزالتها إلى مكانها. أغلقت الصندوق. ومضت في طريقها.

كان الرجل الذي يرتدي التنورة المصنوعة من الكتان لا يزال يتحدث عندما وصلت إلى نهاية الصف ورأته بوضوح. كان يقف أمام طاولة خشبية وُضعت بين رفين، وبدت على سطحها آثار سنوات من الكتابة بالقلم الحجري. أمامه كانت توجد لوح، أكبر من السجلات الإدارية، سطحه مكتظ بالنصوص. كانت يداه موضوعتين على جانبيه، لا تلمسانه بل تحيطان به، كما لو كان يثبته في مكانه بقوة إرادته وحدها. كانت شفتاه تتحركان باستمرار. كانت الكلمات التي ينطق بها باللغة السومرية ، كانت تفهمها ، لكنها لم تكن منطقية. ليس لأنها كانت بلغة لا تعرفها، بل لأنها كانت تتغير باستمرار.

..."يُقدم القربان في الساعة الرابعة، وتُغسل الأيدي بالماء المقدس، وتُلقى الكاهنة كلمات الافتتاح"...

توقف عن الكلام. نظر إلى اللوح. تجعد حاجباه.

..."تُقدم القربان في الساعة السابعة، وتُغسل الأيدي في... لا. لا تُغسل الأيدي. الأيدي"...

توقف عن الكلام. بدأت يداه، اللتان ما زالتا تحيطان باللوحة، ترتعشان. كانت تستطيع رؤية ذلك من مكانها ، اهتزاز خفيف في أصابعه، من النوع الذي لا يأتي من البرد أو الخوف بل من الإجهاد، والعضلات المنهكة من مهمة لا تنتهي. ضغط براحتي يديه على الطاولة على جانبي اللوح، ليثبت نفسه، وعندما تحدث مرة أخرى كان صوته أقل ارتفاعًا، وأكثر توترًا، صوت رجل يحاول الحفاظ على شيء ما باستخدام الأداة الوحيدة المتبقية لديه.

..."يُقدم القربان. الساعة غير مسجلة. العقارب غير"...

توقف. رفع رأسه. نظر إلى اللوح بتعبير رأت مثله من قبل ، على الكاتب في الخارج، الذي تصدع لوحه الأصلي أثناء نسخه. نفس التعبير. ليس حيرة. ليس حزن. إدراك للخسارة الجارية. وجه رجل يشاهد شيئًا لا يستطيع منعه.

اقتربت. ليس للمساعدة. بل لترى.

كانت اللوحة الموضوعة على الطاولة نصاً طقسياً ، استطاعت أن تدرك ذلك من خلال التراكيب النمطية وتكرار العبارات التي تنتمي إلى لغة الطقوس. كانت الحروف محفورة بعمق، من صنع ناسخ بارع، وكان من المفترض أن تكون ثابتة. لكنها لم تكن كذلك. وبينما كانت تراقب، تغيّرت إحدى الحروف في السطر الثالث ، كلمة تعني «مقدس»، كما خمنت، رغم أنها لم تستطع تفسير سبب معرفتها بذلك ،. لم يكن التغيير جذرياً. ولم يكن كحركة كائن حي. مجرد تغيير طفيف في زاوية إحدى القطع، واتساع بالكاد ملحوظ في المسافة بين قطعتين أخريين. نوع التغيير الذي يمكن أن يفوتك إذا رمشت بعينيك. نوع التغيير الذي يعني أن الكلمة لم تعد تعني ما كانت تعنيه قبل لحظة.

ارتجفت يدا الرجل بشدة. أغلق عينيه. أخذ نفسا. عندما فتح عينيه، نظر إلى اللوح مرة أخرى، وتجمد وجهه ، ليس من الراحة بل من شيء أسوأ: نظرة رجل تأكد مما كان يخشى تأكيده.

"لقد تغيرت"، هكذا نطق. ليس لها. بل للوح. لنفسه. لأي قوة كانت تفعل هذا، والتي توقف عن محاولة تسميتها. ***"لقد تغيرت مرة أخرى".***

رفع يديه عن الطاولة. كانتا ترتعشان بشكل واضح الآن، حيث كان الارتعاش ينتقل من أصابعه صعودًا عبر معصميه. ضغطهما معًا، محاولًا إيقاف ذلك، وبدت حركته كأنها صلاة، لكنها لم تكن كذلك. كانت حركة رجل يحاول منع جسده من الانهيار.

نظرت إلى اللوحة. اللافتة التي انحرفت كانت لا تزال في وضع خاطئ. والآن بدأت اللافتة المجاورة لها تميل.

مرت بجانب الرجل دون أن تتكلم. تتبعت عيناه خطواتها وهي تبتعد ، شعرت بهما على ظهرها، وثقل انتباهه، والسؤال الذي لم يطرحه ، لكنها لم تستدر. استمر الأرشيف من خلفه، المزيد من صفوف الرفوف، المزيد من الصناديق، المزيد من الألواح في حالات مختلفة من التلف. سقط الضوء الكهرماني من الفتحات العالية في أشعة قطرية تخترق الغبار، وفي ذلك الضوء استطاعت أن ترى نطاق ما كانت تدخله: مساحة كان من المفترض أن تكون مستقرة، تم بناؤها لتكون مستقرة، وكانت الآن في طور التحول إلى شيء آخر.

مرت بجانب رف كانت الألواح عليه سليمة، لكن الرف نفسه كان يتشوه ، فالخشب ينحني إلى الخارج، والمسامير التي تثبتُه بالجدار تتخلخل، وكأن وزن السجلات أصبح أثقل من أن تتحمله البنية التي تحملها. مرت بجانب صندوق انشق من أحد جوانبه، فتناثرت ألواحه على الأرض في شلال من الطين المحروق الذي تصدع عند ارتطامه بالأرض. مرت بجزء من الجدار حيث كان الطوب الطيني يتفتت، ليس بسبب العمر أو أضرار المياه، بل بسبب شيء داخلي، حيث يتحول الطين إلى غبار في مركز كل قرميد بينما يبقى السطح الخارجي سليماً، والهيكل يأكل نفسه من الداخل.

وفي كل مكان، كان هناك الصوت. ذلك التكتكة، والنقر، والإيقاع الذي سمعته عندما دخلت. هنا، أقرب إلى مصدره، تمكنت من تحديده بدقة أكبر: صوت تكسر الطين. ليس الصوت الحاد للانكسار، بل الصوت البطيء والمتزايد للكسور التي تنتشر ، طقطقة، توقف، طقطقة، توقف، طقطقة ، صوت مئات الكسور الصغيرة التي تحدث واحدة تلو الأخرى، لا شيء منها كارثي، لكنها تتراكم جميعًا، صوت نظام لا ينهار بل يتحلل، ليصبح شيئًا لم يعد قادرًا على الحفاظ على شكله.

توقفت عند رف بالقرب من الجدار البعيد. كانت الألواح هنا مختلفة عن غيرها التي رأت. أكبر، وأكثر سمكًا، والطين بلون أغمق يشير إلى تركيبة مختلفة أو طريقة حرق مختلفة. لم تكن العلامات المكتوبة عليها إدارية أو طقسية ، بل كانت شيئًا آخر.

ربما من الناحية الهيكلية. أو الأساسية. لم تكن لتستطيع أن تفسر كيف عرفت ذلك. كل ما عرفته هو أنها عندما تنظر إلى هذه الألواح، فإن الفراغ الذي يشعر به صدرها يتردد بصوت مختلف ، ليس كإدراك للخسارة، بل كإدراك للأهمية. كانت هذه الألواح ذات أهمية تتجاوز محتواها. كانت هذه الألواح تدعم شيئًا ما.

كان أحدها يتداعى.

رأت ذلك على الفور: شق يمتد من الحافة العلوية نزولاً عبر أول سطرين من النص، والكسور لا تزال تتوسع، والطين على جانبيها مرتفع قليلاً مع إجهاد المادة. حول الشق، بدأت العلامات تتشوه ، ليس بتحول مثل النص الطقسي على طاولة الرجل، بل بتشوه، حيث تتسع أو تضيق الشقوق مع فقدان الطين تحتها لتماسكه. لم يكن الشق يكسر اللوح فحسب. بل كان يمحو النقش، ومع محو النقش، استجاب شيء ما في الغرفة.

صدر صرير من الرف الموجود أسفل اللوح. وبدا أن الضوء الكهرماني المنبعث من الفتحات العلوية قد خفت لبرهة، ليس لأن الشمس قد تحركت، بل لأن شيئًا ما في الضوء نفسه قد ومض. وتوقف صوت الطقطقة ، صوت مئات الشقوق التي تنتشر عبر مئات الألواح ، لبرهة. لبرهة قصيرة فقط. لفترة كافية لتلاحظ ذلك.

ثم استأنف الأمر.

نظرت إلى اللوح المتداعي. كان الشق قد اتسع بمقدار عرض إصبع آخر أثناء وقوفها هناك. أصبحت العلامات المحيطة به أكثر تشويهاً الآن، ولم تعد أشكالها واضحة تماماً، والكلمات التي تشكلها تتحول إلى ثرثرة غير مفهومة. وتحت التشوه، في الطين نفسه، استطاعت أن ترى شيئًا جعل يديها تشدان على القلم المكسور الذي كانت لا تزال تمسكه: كان السطح يبدأ في التموج. لم يكن ينحني أو ينثني، بل كان يتموج، مثل سطح الماء عندما يتحرك شيء ما تحته. كما لو أن الطين لم يكن صلبًا. كما لو أنه كان يحاول أن يصبح سائلًا. كما لو أن النقش الذي كان يحافظ على شكله كان يتلاشى، وأن المادة كانت تتذكر أنها مجرد طين.

لم تفكر. التفكير كان سيستغرق وقتًا طويلاً. التفكير كان سيتطلب منها أن تعرف ما تفعله، وهي لم تكن تعرف ما تفعله، واللوحة كانت تذوب أمامها، والفراغ في صدرها لم يكن يردد صدى فحسب بل كان يشدها، قوة اتجاهية، جاذبية تشير إلى الطين المتداعي وتقول: ***هذا لك، هذا هو الغرض من وجودك، تصرفي.***

تحركت.

كان هناك جرة ماء بالقرب من الرف ، حوض ضحل، في الحقيقة، من النوع المستخدم لترطيب الطين قبل الكتابة عليه، سطحه مغطى بطبقة رقيقة من الغبار مما يعني أنه لم يُستخدم منذ بعض الوقت. مدت يدها نحوه دون أن تنظر، ووجدته يدها بنفس الغريزة التي وجدت القلم في القصب، ورفعت الجرة وأحضرتها إلى الرف حيث كانت اللوح.

كان الطين المحيط بحافة الحوض جافاً. بللت أصابعها بالماء ، البارد، ذي المذاق المعدني، مع تلك النغمة النحاسية نفسها التي لاحظتها في هواء الأرشيف ، ولمست حافة اللوح المتآكل. كان الطين هناك دافئاً. ليس ساخناً، ولا حاراً، لكنه كان أدفأ مما ينبغي، أدفأ من الهواء، وكأن عملية الذوبان تولد حرارة. بللت أصابعها مرة أخرى ولمست الطين بجوار الشق، ليس عليه بل بجانبه، متحسسة الملمس، والكثافة، والطريقة التي يستجيب بها المادة للرطوبة. امتصها. بسرعة. بشغف. بالطريقة التي يمتص بها الطين عندما يكون جافًا لفترة طويلة ويحتاج إلى التشكيل.

وضعت الحوض جانبًا. نظرت إلى اللوح. توقف الشق عن التمدد ، أو تباطأ بما يكفي بحيث لم تعد ترى حركته. استمرت التموجات، خافتة لكن مرئية، والسطح لا يزال غير مؤكد ما إذا كان صلبًا أم سائلًا. كان لديها دقائق على الأكثر. ربما أقل.

نظرت إلى الرف أسفل اللوح. هناك، بين الألواح السليمة، وجدت ما تحتاجه: كتلة من الطين الخام، غير محروقة، من النوع الذي يُحتفظ به للإصلاحات، سطحها ملفوف بقطعة قماش رطبة لإبقائها قابلة للتشكيل. كان القماش جافًا الآن، والطين تحته قاسٍ ولكن غير متصلب، ولا يزال قابلاً للتشكيل. قامت بفك لفه، وشعرت بوزنه في راحة يدها ، كثيف، بارد، مقاوم ، وبدأت في تشكيله.

كانت يداها تعرفان ما يجب فعله. أما هي فلم تكن تعرف.

ضغطت على الطين بين كفيها، فطوته وضغطت عليه، دافعةً فقاعات الهواء التي من شأنها أن تضعف الإصلاح. كانت الحركة إيقاعية ومتكررة، من النوع الذي لا يتطلب تفكيراً بمجرد تعلمه، وقد تعلمته بالفعل ، في مكان ما، في وقت ما، في حياة لا تستطيع تذكرها، قامت بها يداها اللتان لم تكن عليهما ندوب بعد آلاف المرات، بل مئات الآلاف، حتى لم تعد الحركة مهارة بل غريزة. عملت على الطين حتى أصبح مرنًا لكن صلبًا، حتى احتفظ بآثار أصابعها دون أن ينهار، حتى أصبح جاهزًا.

نظرت إلى الشق في اللوح. كانت العلامات حوله لا تزال تتشوه، والتموجات لا تزال تنتشر، لكن ببطء الآن، كما لو أن اللوح قد تعب، وكأن الانحلال يستنفد نفسه. كان لديها وقت. ليس كثيرًا. لكنه كافٍ.

أخذت جزءًا من الطين المُعالج وضغطت به داخل الشق ، ليس فوقه، بل داخله ، لتملأ الفجوة، وتدفع المادة إلى الفراغات التي فشل الطين الأصلي في سدها. وكان الضغط المطلوب دقيقًا: لو كان ضعيفًا، لما التصق الإصلاح؛ ولو كان قويًا، لأدى إلى تشويه السطح المحيط، مما يفسد العلامات التي كانت متضررة بالفعل. ضغطت براحة يدها، ثم براحة إبهامها، ثم بحافة أظافرها، دافعة الطين إلى داخل الكسر مليمترًا تلو الآخر، وهي تشعر بكيفية تمسكه بحواف الشق، وكيف بدأ يلتصق، وكيف تقبل اللوح هذا التدخل كما لو كان يدرك ما تفعله حتى لو لم تكن هي تدركه.

تباطأت التموجات.

التقطت القلم المكسور.

كانت العلامة الأولى التي أعادت نحتها هي الأقرب إلى الشق ، خط عمودي بسيط، من النوع الذي تبدأ به العديد من الكلمات السومرية، النوع الذي يتعلمه الطفل قبل أي شيء آخر. وضعت طرف القلم في أعلى الخط التالف، حيث يلتقي الطين الذي ضغطته بالسطح الأصلي، وضغطت. كانت الزاوية ضحلة، والضغط متحكمًا فيه، والعمق مطابقًا للآثار المحيطة. لم تفكر في الزاوية أو الضغط أو العمق. كانت يداها تعرفان. لقد عرفتا دائمًا. تحرك القلم في الطين بالطريقة التي يتحرك بها المفتاح في القفل ، دون إجبار، ودون بحث، بل بالعثور، متبعًا مسارًا كان م تشكلت الشقوق. نظيفة. دقيقة. تتطابق تمامًا مع العلامات المحيطة بها.

توقف التموج.

لم تتوقف لتلاحظ ذلك. انتقلت إلى العلامة التالية المتضررة ، مركب، قطعتان متصلة، الثانية مشوهة لدرجة لا يمكن قراءتها. درستها للحظة، عيناها تتتبعان الأثر المتبقي، عقلها لا يفكر بل يحسب، يقارن الشكل الجزئي بأرشيف الأشكال الذي تحمله في مكان أعمق من الذاكرة، في مكان ما في عضلات وعظام يديها. كان من المفترض أن ينحني الشكل الثاني إلى اليسار بزاوية أربعين درجة. كان ينحني إلى اليسار بزاوية تقارب الستين، والطين المحيط به منتفخ قليلاً حيث فقد النقش الأصلي تماسكه. بللت طرف القلم بلمسة من الماء من الحوض. ضغطت على الطين بإبهامها لإعادته إلى مكانه. أعادت نقش الشكل.

أربعون درجة. نظيف. دقيق.

صرّ الرف تحت اللوح ، صوت مختلف عن السابق، ليس صوت انحناء الخشب بل صوت استقرار الخشب، وهو يجد مستواه، كما يستقر المنزل بعد مرور العاصفة. شعرت بالتغير في الضغط مرة أخرى، نفس التغير الجوي الذي لاحظته عندما كان الشق يتوسع ، لكن في الاتجاه المعاكس. ليس ثقل الانتباه بل تحريره، الهواء يسترخي، الغرفة تزفر.

واصلت.

وجودًا قبل بدء الحركة.

العلامة الثالثة. الرابعة. الخامسة. كل واحدة منها تالفة، وكل واحدة منها تم ترميمها، وكانت يداها تتحركان بإيقاع لم يكن ثابتًا تمامًا، لكنه لم يخطئ قط ، توقفت هنا لتقييم الوضع، وأجرت تعديلًا طفيفًا هناك لضبط الضغط، ولحظة من السكون بينما يستوعب الطين البصمة الجديدة قبل أن تمضي قدمًا. لم يكن العمل سريعًا. ولم يكن بطيئاً. كانت سريعة بقدر ما تقتضيه الضرورة، والوتيرة لم تحددها هي بل اللوح نفسه، فالطين هو الذي يملي مدى سرعة إصلاحه، ويديها تتبعان ذلك الملي دون اعتراض.

توقف الرجل الذي يرتدي التنورة الكتانية عن الكلام. سمعته يتحرك خلفها ، خطوات مترددة، صوت شخص يقترب لكنه لا يصل، عالقاً بين الرغبة في الرؤية والخوف من الإزعاج. لم تستدر. واستمر العمل.

كانت العلامة السادسة هي آخر علامة تالفة. كانت أيضًا الأسوأ: لم تكن مشوهة فحسب، بل ومحيت جزئيًا، فقد اختفى النصف العلوي من العلامة تمامًا، وتساقط الطين الذي كان يحملها، ولم يبقَ سوى القاعدة لتشير إلى ما كان موجودًا هناك. درستها. كانت القاعدة عبارة عن قطعة أفقية، من النوع الذي يمكن أن يبدأ أي عدد من العلامات. بدون الجزء العلوي، كانت الكلمة غامضة. لم يستطع اللوح أن يخبرها بما يجب أن تقوله.

لكن يديها عرفتا على أي حال.

قامت بتشكيل الطين الطازج في المكان الذي كان فيه الجزء العلوي، وضغطت به في الحفرة، وسوّت سطحه ليتناسب مع السطح المحيط، متلمسة الملمس والكثافة حتى أصبح لا يمكن تمييزه عن الأصل. رفعت القلم. توقفت لحظة ، ليس بسبب التردد بل للتحضير، كما يتوقف العداء قبل الانطلاق، حيث يستجمع الجسد قواه استعداداً للمجهود القادم. ثم ضغطت القلم على الطين ونقشت الجزء العلوي من العلامة: خطان عموديان يحيطان بخط أفقي في الوسط، شكل كلمة تعني ***الأساس،*** أو ***الشيء الذي يثبت،*** أو ***القاعدة التي يرتكز عليها كل شيء آخر***.

لم تكن تعرف كيف عرفت هذه الكلمة. لم تكن بحاجة إلى معرفة ذلك. يداها عرفتا. اللوح عرف. قبِل الطين النقش واحتفظ به، ومع تشكل الخط الأخير، تغير شيء ما في الغرفة.

لم يكن الأمر دراماتيكيًا. لم يكن هناك صوت ، لا رنين، ولا تنهد، ولا إشارة إلهية. لم يكن هناك ضوء ، لا وهج من الطين، ولا بريق في الهواء، ولا وميض لقوة تُمارس. ما كان موجودًا هو السكون. توقف للحركة كان تامًا لدرجة أنه لم يكن يمكن الشعور به إلا بالمقارنة مع الحركة التي سبقته: تلاشي تموجات السطح الطيني. تلاشي صوت

طقطقة الشقوق المتفشية. اختفى اهتزاز خشب الرفوف. اختفى الاهتزاز المحيط الذي كانت تسمعه ، أو تشعر به ، منذ دخلت الأرشيف، الصوت المنخفض المستمر لنظام تحت الضغط.

لم تكن الغرفة صامتة. لم تكن صامتة أبدًا. لكن الصوت الذي تصدره الآن كان مختلفًا: صوت الاستقرار، صوت الأشياء التي تحافظ على شكلها، صوت الطين وهو طين، والخشب وهو خشب، والنقوش وهي نقوش. صوت غرفة تتذكر ما كان من المفترض أن تكون عليه.

نظرت إلى اللوح. كان الشق لا يزال مرئيًا ، لم يمحُ الإصلاح أثره، بل ملأه فقط، وكان لون الطين الجديد مختلفًا قليلاً عن اللون الأصلي ، لكنه توقف. لم تعد العلامات المحيطة به تتشوه. لم يعد السطح يتجعد. كان اللوح ممددًا على الرف بالطريقة التي يُفترض أن تكون عليها الألواح: مسطحًا، ثابتًا، صلبًا، والعلامات على سطحه دائمة وثابتة.

نظرت إلى الرف. توقف الخشب عن الانحناء. أصبحت الأوتاد التي كانت تتخلخل ملتصقة الآن بالجدار، محكمة التثبيت وآمنة، وكأن الرف قد قرر أن يثبت في مكانه.

نظرت إلى الغرفة. لم يعد الغبار في الضوء الكهرماني يتطاير بلا هدف، بل بدأ يستقر ببطء، كما يستقر الغبار عندما يتوقف الهواء عن الحركة. لم تعد الظلال على الجدران تطول بشكل غير طبيعي، بل احتفظت بأشكالها الصحيحة، وزواياها الصحيحة بالنسبة للوقت من اليوم. كانت الصناديق التي كانت تتشقق سليمة ، لا تزال متضررة، ولا تزال تظهر عليها آثار تدهورها، لكنها لم تعد تدهور، ولم تعد في طور التحول إلى شيء أسوأ.

سمعت الرجل خلفها يتنفس. لم يكن التنفس الضيق والمتحكم فيه لرجل يحاول الحفاظ على شيء ما. كان التنفس الأعمق والأسهل لرجل كان يحافظ على شيء ما لفترة طويلة، وسمح له للتو، دون أن يفهم كيف أو لماذا، بالتوقف.

استدارت. كان يقف على بعد ثلاث خطوات خلفها، يديه إلى جانبيه، ووجهه متجه نحو اللوح الذي أصلحته. لم تكن تعابير وجهه تنم عن دهشة أو امتنان أو حتى فهم. بل كان ارتياحًا ، ذلك الارتياح المحدد والمنهك لرجل كان يحمل عبئًا لم يكن من المفترض أن يحمله شخص واحد، وقد شعر للتو بأن هذا العبء قد انتقل، قليلاً، إلى شيء آخر. لم يتكلم. ولم تتوقع منه أن يتكلم. وقفا معًا في صمت، واستمر الصمت، وكانت الغرفة تتنفس من حولهما ككائن حي تذكر للتو كيف يتنفس.

ثم انكسر الصمت ، ليس بشكل درامي، ولا بصوت أو حركة، بل ببساطة بانتهائه، كما ينتهي النفس المحتبس عند إطلاقه. عادت أصوات الأرشيف المحيطة: طقطقة الطين الجافة وهي تصطدم بالطين، صرير الخشب وهو

يستقر، همسة الغبار في الضوء. لكنها كانت مختلفة الآن. أكثر هدوءًا. أكثر ثباتًا. أصوات نظام كان لا يزال تالفًا لكنه لم يعد معطلاً، والفرق بين التآكل والانحلال حادّ بقدر الفرق بين الجرح والموت.

نظرت إلى يديها. كانتا ثابتتين. كانتا دائمًا ثابتتين. كان القلم المكسور ملطخًا بالطين والماء وبقايا خافتة من دم الكلب الذي لم تنظفه بالكامل. نظرت إلى اللوح الذي أصلحته. كانت العلامات التي نقشتها مثالية ، ليس لأنها جعلتها مثالية، بل لأنها كانت صحيحة، بالشكل الذي كان من المفترض أن تكون عليه، بالشكل الذي كان من المفترض أن تتخذه الكلمات. لم يكن الإصلاح جميلاً. لم يكن حتى غير مرئي. لكنه كان صحيحاً، وفي سياق هذه الغرفة، وفي سياق نظام كان ينزلق نحو الانحلال، كان الصحيح كافياً.

لم تمتلئ الفجوة في صدرها. لم تكن تتوقع أن تملأ. لكنها كانت رنانة ، اهتزاز خافت وعميق، كصوت الجرس بعد أن يُقرع، حيث يتلاشى الرنين الأولي لكن التوافقيات تستمر، حاضرة دون أن تكون مزعجة. لم يكن هذا الشعور هو الرضا. ولم يكن هدفاً. كان إدراكاً ، إدراكاً لشيء مناسب، كيد تجد الشكل الذي صُنعت لتمسكه، أو جسد يتذكر حركة تم تدريبه على أدائها.

نظرت إلى الرفوف من حولها. إلى الألواح الموجودة عليها ، بعضها سليم، وبعضها متصدع، وبعضها مشوه، وبعضها متفتت، الطيف الكامل للتعفن الذي يعرضه الأرشيف. نظرت إلى الألواح الموجودة على الأرض حيث انشقت الصناديق. نظرت إلى الألواح التي يمكنها رؤيتها على الرفوف في الصف التالي، والصف الذي يليه، والصف الذي يليه، ممتدة إلى الخلف في الظلام حيث لا يصل الضوء الكهرماني.

مئات الألواح. ربما الآلاف. كل واحدة منها سجل، نقش، بيان لما كان من المفترض أن يكون. كل واحدة منها نقطة استقرار في نظام كان يفقد استقراره. كل واحدة منها، إذا فشلت، جرح صغير في نسيج الواقع سيتسع إذا لم يتم إصلاحه.

نظرت إلى اللوح الذي أصلحته للتو. كان الشق لا يزال موجودًا، مملوءًا لكن مرئيًا. كانت الرموز لا تزال متضررة، تم إصلاحها لكن لم تُعاد إلى حالتها الأصلية. كان الاستقرار الذي حققته حقيقيًا لكنه غير مكتمل ، رقعة، وليس علاجًا، لحظة سكون في عملية تفكك ستستمر لحظة ما توقفت عن تثبيته.

فهمت ذلك دون أن تفكر فيه. لم يكن الفهم فكريًا بل جسديًا، محمولًا في يديها، في العضلات التي تذكرت ضغط وزاوية القلم، في العيون التي استطاعت قراءة العلامات ومعرفة ما إذا كانت صحيحة أم خاطئة. لم تستطع إصلاح كل شيء. لم تستطع إيقاف التآكل. لم تستطع سوى إصلاح ما كان أمامها، لوحًا تلو الآخر، علامة تلو الأخرى، قطعة تلو الأخرى، والثقة في أن الاستقرار الذي أوجدته سيصمد لفترة كافية لتتمكن من إصلاح المزيد.

مدت يدها نحو اللوح التالي على الرف ، لوح أصغر، إداري، سطحه متصدع في ثلاثة أماكن، والرموز حول الشقوق بدأت تميل. رفعته بحذر، تشعر بوزنه، وملمسه، والطريقة التي يستجيب بها الطين لضغط أصابعها. وضعته على الرف أمامها. نظرت إلى الشق الأول. بللت أصابعها في الحوض. مدت يدها نحو الطين الخام.

وبدأت من جديد.

الفصل الثالث — الذي لا اسم له

جزء تم استرداده من أرشيف العاملين، مجمع إدارة المعبد، أوروك. مركب من الطين. التلف السطحي يتوافق مع كشط متعمد وليس تآكل بيئي. النسخ التقريبي:

...تمت إزالة ختم اسم الكاتب السابع بناءً على أمر من...

[...علامة كشط: حوالي أربعة أحرف تم كشطها بشكل منهجي]...تم إعادة تعيين منصب الكاتب السابع إلى شاغل المنصب...

...لا. لا يوجد شاغل. المنصب قائم بذاته. الاسم غير مطلوب لأداء الوظيفة...

...أولئك الذين تم كشط أسمائهم لم يموتوا. لم يتم محوهم. إنهم...

[...فقدان السطح: يتوافق مع كشط بأداة، وليس كسر...]

...السجل الجماعي لا يتطلب أسماء فردية للحفاظ على...

[تنتهي اللوحة عند الهامش المكشوط]

كان الأرشيف أوسع مما كانت تتصور.

كانت قد انتهت من معالجة ثلاث لوحات بعد الإصلاح ، لوحات صغيرة، إدارية، شقوقها واضحة، وعلاماتها تستجيب للتصحيح دون مقاومة. استقر العمل في إيقاع منتظم: التقييم، الترطيب، الضغط، النقش، الإفراج. كانت يداها تتحركان بدقة آلات النسيج، كل حركة تتبع التي قبلها دون فاصل أو تردد. استمر الفراغ في صدرها بالصدى، منخفضًا وثابتًا، نغمة متناغمة لم تتطلب الانتباه لكنها رفضت أن تتلاشى.

ثم وصلت إلى نهاية صف الرفوف، وما وراءه، ممر لم تكن قد رأته من المدخل.

كان الممر ضيقًا ، بالكاد يتسع لشخص واحد، وجدرانه تضغط عليها من كلا الجانبين، والسقف منخفضًا لدرجة أنها كانت تستطيع لمسه دون أن ترفع ذراعها بالكامل. لم يصل الضوء الكهرماني المنبعث من الفتحات العالية إلى هنا. كان الضوء الموجود يأتي من مصابيح طينية صغيرة مثبتة في تجاويف على مسافات غير منتظمة، وفتائلها تحترق بوهج برتقالي باهت جعل الظلال بينها مطلقة. كان الهواء مختلفًا هنا: أكثر كثافة وثقلًا، يحمل رائحة الحبر المجفف والنحاس المؤكسد وشيئًا ما تحت ذلك، شيئًا عضويًا وقديمًا، مثل لب القصب الذي تُرك في الماء لفترة طويلة.

دخلت دون تردد. التف الممر مرة واحدة، ثم انفتح على مساحة لم تكن غرفة بل مجمعًا ، سلسلة من الغرف المتصلة ببعضها، ذات أسقف منخفضة وجدران سميكة، مرتبة حول منطقة مركزية يتلاقى فيها ضوء عدة مصابيح. كانت الغرف أصغر من الأرشيف الرئيسي، ورفوفها أقصر، وصناديقها أكثر عددًا. لكن لم تكن الهندسة المعمارية هي ما جعلها تتوقف.

بل كان الناس.

كانوا يقفون في الغرف والمنطقة المركزية والممرات بينها ، لم يكونوا كثيرين، ربما حوالي اثني عشر شخصًا، لكنهم كانوا كافيين لملء المكان بوجودهم. كانوا يرتدون ملابس الكتان البسيطة التي يرتديها عمال المعبد، والسترات القصيرة التي يرتديها الكتبة والعمال والمساعدون، وملابس الأشخاص الذين يؤدون وظيفة معينة. كان بعضهم يتحرك ببطء، حاملين ألواحًا أو جرارًا أو حزمًا من القصب. ووقف آخرون ساكنين، عند الرفوف أو الطاولات، وأيديهم مشغولة بمهام لم تستطع رؤيتها بوضوح. لم يتكلم أي منهم.

وقفت عند حافة الضوء وتابعت المشهد.

مرت امرأة بين رفين، حاملةً لوحًا طينيًا من أحدهما إلى الآخر. كانت حركاتها دقيقة، غير متعجلة، حركات من يؤدي مهمة قام بها مرات عديدة. وصلت إلى الرف الثاني، ووضعت اللوح عليه، ثم استدارت، وسارت عائدةً نحو الرف الأول. كان وجهها خاليًا من أي تعبير ، ليس عديم المشاعر بل فارغًا، مثلما يكون لوح الطين فارغًا قبل أن تلمسه القلم. لم تنظر إلى "نينشار" وهي تمر. لم تنظر إلى أي شيء.

وقف رجل عند طاولة بالقرب من الجدار البعيد، ويداه مسطحتان على سطحها. أمامه كان هناك لوح، سطحه مغطى بعلامات صغيرة ، أرقام، ربما، أو رموز لرمز إداري ما. كانت أصابعه ملتوية قليلاً، كما لو كان على وشك لمس اللوح ثم توقف. كانت عيناه مفتوحتين، ثابتتين على العلامات، لكنهما لم تتحركا. لم يرمش. وقف كرجل قوطع في منتصف حركته وانتظر ببساطة، دون نفاد صبر أو ارتباك، حتى تنتهي المقاطعة.

كانت امرأة أخرى راكعة على الأرض بالقرب من إحدى فتحات المصابيح، ويديها مشغولتان بلفافة من القصب كانت تنسجها لتصنع شيئًا ، حصيرة، ربما، أو سلة. كانت أصابعها تتحرك بمهارة آلية، وحركاتها تلقائية، بالطريقة التي تتحرك بها الأيدي عندما يبتعد العقل الذي يوجهها. لم ترفع رأسها. كان القصب يصدر صريرًا خفيفًا وهي تعمل.

خطت "نينشار" إلى النور.

لم يستجب لها أحد منهم. واستمرت المرأة التي تحمل اللوح في جولتها، وبقي الرجل الجالس عند المائدة على سكونه، وواصلت المرأة التي تحمل اللفافة نسجها. لم يكن سبب ذلك عدم انتباههم إليها، بل لأن الانتباه لم يولد لديهم أي رد فعل، شأن الحجر الذي لا يستجيب لظل يسقط عليه.

اتجهت نحو أقرب رف. كانت الألواح هنا أصغر حجماً من تلك الموجودة في الأرشيف الرئيسي، وأرق، وأسطحها أقل صقلاً. أدركت، بمجرد أن تأملتها، أنها سجلات الأفراد؛ ذلك النوع من الألواح الذي يتتبع من يعمل وأين، ومن يؤدي أية وظيفة، ومن يتحمل مسؤولية أية مهمة. فتناولت أحدها. كانت العلامات المنقوشة عليه مقروءة، لكنها شحيحة:

الموقع: حاملة الماء الثالثة، الحي الشرقي للمعبد
التكليف: دورة اليوم السابع، نقل المياه صباحًا وعند الظهيرة
حالة الاستبدال: لا ينطبق

لا اسم. لا نسب. لا تاريخ. مجرد وظيفة وجدولها الزمني.

وضعت اللوح جانبًا والتقطت آخر.

الموقع: كاتبة سجل الجرد المسائي، مخزن الحبوب الرابع
التكليف: مستمر، مع فترات راحة متناوبة وفق البروتوكول القياسي
حالة الاستبدال: لا ينطبق

لا اسم. لا نسب. لا تاريخ.

لوح آخر.

الموقع: من تكنس الدرج الشرقي، مدخل الزقورة
التكليف: يوميًا، قبل الفجر وبعد الغروب
حالة الاستبدال: لا ينطبق

لا اسم. لا نسب. لا تاريخ.

نظرت إلى الرفوف المحيطة بها. عشرات الألواح، وربما مئات، مصطفّة في صفوف مرتبة بعناية. مدت يدها إلى أحدها عشوائيًا، قرأته، ثم تناولت آخر. ظل النمط نفسه يتكرر. كان كل لوح يسجل منصبًا، ووظيفة، وجدولًا زمنيًا. ولم يكن أي منها يسجل شخصًا.

كانت الأسماء قد أُزيلت ، أو ربما لم تُنقش أصلًا.

لم يكن العمال الذين يتحركون عبر هذه الحجرات غائبين عن السجلات.

بل لم يكونوا موجودين فيها منذ البداية.

وضعت اللوح الذي كانت تمسكه واستدارت.

كانت المرأة التي تحمل القصب قد توقفت عن النسج. كانت تنظر الآن إلى نينشار ، أو بالأحرى، كانت عيناها متجهتين نحوها، مثبتتين على مسافة متوسطة تشملها دون أن تستقرا على شيء بعينه. استقرت يداها فوق الحصير غير المكتمل، وما تزال أصابعها منحنية في الوضعية التي كانت عليها لحظة توقف الحركة.

لم تتكلم نينشار.

انتظرت.

وبعد لحظة، تحركت شفتا المرأة. لم يكن الصوت الذي خرج كلمة؛ كان أقرب إلى زفرة شكّلها اللسان والأسنان، لكنها لم تحمل أي معنى استطاعت نينشار تمييزه.

ثم قالت بوضوح أكبر:

***التي تنسج الحصر المصنوعة من القصب لحجرة الكاهنة*.**

كان صوت المرأة مسطحًا، خاليًا من أي انفعال؛ صوت شخص يتلو توصيفًا وظيفيًا لا يعلن هوية.

المنصب الثالث. تكليف مستمر.

راقبت نينشار المرأة. لم تتغير عيناها. ولم يتغير وضعها. كانت واقفة ، أو بالأحرى، لا تزال راكعة ، في نفس الوضعية التي كانت عليها منذ أن رآها نينشار لأول مرة، وكأن فعل الكلام لم يتطلب منها شيئًا لم يتطلبه منها فعل النسيج.

اسمك، قالت نينشار.

تجعد حاجبا المرأة. ليس بسبب الحيرة ، بل بسبب الجهد، ذلك النوع من الجهد المطلوب لتذكر شيء دُفن في أعماق الذاكرة. تحركت شفتاها مرة أخرى، مكونة أشكالاً قد تكون بدايات أصوات، أو كلمات، أو قد لا تكون شيئاً على الإطلاق. ثم انفرجت التجاعيد. وتوقف الجهد.

"***لا يوجد اسم،*** قالت المرأة، ***هناك المنصب. والمنصب باقٍ***.

استدارت نينشار ومضت إلى عمق المجمع.

كانت الغرفة المركزية تضم المزيد من العمال ، ثمانية، حسب تقديرها، مرتبين في مجموعات صغيرة حول المكان. جلس بعضهم على مقاعد منخفضة، أيديهم فارغة، وأعينهم مفتوحة. وقف آخرون عند الطاولات أو الرفوف، متجمدين في أوضاع عمل متوقفة. اتكأ رجل واحد على الحائط بالقرب من كوة مصباح، ذراعاه متقاطعتان، ورأسه مائل قليلاً للخلف، وتنفسه بطيء ومتساوٍ. ربما كان نائماً وعيناه مفتوحتان. ربما كان يفعل شيئاً آخر تماماً.

كان هناك طاولة بالقرب من وسط القاعة تحمل كومة من الألواح أكثر سمكًا من أي شيء رأت من قبل. كانت هذه الألواح أكبر حجمًا من سجلات الموظفين، وأسطحها أعدت بعناية أكبر، ورموزها محفورة بعمق أكبر. أدركت وهي تقترب منها أنها دفاتر الحسابات الرئيسية، من النوع الذي لا يتتبع المهام الفردية بل هيكل المهام نفسها، والتسلسل الهرمي للمناصب والوظائف التي تحافظ على سير عمل المعبد. التقطت اللوح الذي كان في الأعلى.

كانت اللوحة منظمة في أعمدة. أدرجت العمود الأول المناصب ***:كاهنة إنانا العليا، رتبة إنتو. كبير الكتبة، قسم المحفوظات. مشرف مخازن الحبوب. حافظ الأواني المقدسة. مدير طقوس الصباح*** .كانت الألقاب رسمية ودقيقة، بلغة السلطة المؤسسية.

كان من المفترض أن يسرد العمود الثاني أسماء من شغلوا هذه المناصب.

لكنه لم يفعل.

حيث كان من المفترض أن تكون الأسماء، كانت هناك علامات كشط. منهجية، متعمدة ، من النوع الذي تتركه أداة تتحرك عبر الطين الرطب بضغط ثابت، مزيلة النقش الموجود تحتها. لم تكن علامات الكشط غير منتظمة أو متسرعة؛ بل كانت منهجية، كل واحدة تتبع نفس القوس، كل واحدة تزيل نفس الكمية من المادة. من فعل هذا لم يكن يمحو بدافع الغضب أو الذعر. كان يقوم بالتحرير. كان يقوم *بالتصحيح* ، إزالة المعلومات التي لا تنتمي إلى المكان، المعلومات التي تشوش السجل، المعلومات التي، لأسباب لم تحددها اللوحة، اعتُبرت غير ضرورية لوظيفة المناصب الموصوفة.

نظرت إلى اللوح التالي في الكومة. نفس النمط: الوظائف مدرجة، والأسماء تم محوها، وعلامات الكشط واضحة ومدروسة. ثم اللوح الذي يليه. ثم الذي يليه. تصفحت الكومة بسرعة، وعيناها تمسح الأعمدة، بحثًا عن استثناء، أو اسم نجا، أو علامة لم تُحذف. لم تجد شيئًا.

تم تعديل السجل الهرمي الكامل لموظفي المعبد. لم يتلف. ولم يتدهور .*تم تعديله* .لم تتآكل الأسماء؛ بل تمت إزالتها. لم يكن الغياب نتيجة للفوضى. بل كان سياسة.

وضعت اللوح الذي كانت تحمله ونظرت إلى العمال من حولها.

الرجل الذي كان يقف عند الطاولة في الغرفة الخارجية كان قد تبعها، أو تحرك من تلقاء نفسه، أو ظهر ببساطة ، لم تستطع تحديد أيهما. وقف بالقرب من حافة ضوء المصباح، ويداه لا تزالان مضغوطتين معًا كما كانتا على الطاولة، وعيناه مثبتتان على السجل الذي كانت تفحصه.

"من كان يحسب العدد؟ "سألت.

نظر إليها. ركز عينيه ، ليس بحدة، بل بجهد كان بإمكانها رؤيته، بالطريقة التي تتضح بها الصورة الضبابية عندما يضيق المشاهد عينيه. تحركت شفتاه.

"يتم إجراء العد، "قال***" .العد لا يحتاج إلى من يقوم به. العد يستمر من تلقاء نفسه "***.توقف قليلاً. حدث شيء ما خلف عينيه ، وميض، بالكاد يمكن ملاحظته، مثل ظل طائر يمر خلف سحابة بعيدة***" .كان هناك من يقوم به. كان لدى من يقوم به "...***توقف صوته. ضغط يديه على بعضهما بقوة أكبر، حتى ابيضت مفاصل أصابعه***" كان لدى من يقوم به"...***

توقف. تلاشى الوميض الذي كان يلمع في عينيه. استرخى جسده، وتلاشى التوتر من كتفيه، وفتحت يداه. عاد تعبير وجهه إلى الفراغ مرة أخرى ، ليس فارغًا، بل ناعمًا، كالطين الذي تم ترطيبه وضغطه حتى أصبح مسطحًا.

"يتم الاحتفاظ بالعدد، "قال مرة أخرى. كان صوته هادئًا***" العدد لا يحتاج إلى من يحتفظ به".***

راقبته نينشار للحظة أخرى. ثم عادت إلى دفاتر الحسابات.

كانت علامات الكشط متسقة عبر جميع الألواح ، ليس فقط في دقتها بل في *نمطها* .تم حذف كل اسم بنفس عدد الضربات، وبنفس الضغط، وبنفس الزاوية. كانت الأداة التي صنعتها ممسوكة بنفس الطريقة، وتحركت بنفس الطريقة، واستخدمت بنفس القوة المقاسة. لم يكن هذا عمل أيدي عديدة. كان هذا عمل يد واحدة ، أو طريقة واحدة، وإجراء واحد، وعملية موحدة واحدة طبقت على كل لوح في المكدس.

نظرت إلى حواف علامات الكشط. لم يكن الطين تحتها غائبًا فحسب؛ بل كان مضغوطًا، بالطريقة التي يضغط بها الطين عندما يضغط عليه قلم. لكن الضغط كان خاطئًا ، الاتجاه كان خاطئًا. القلم الذي يضغط على الطين يضغط المادة لأسفل وللخارج، تاركًا حافة مرتفعة حول البصمة. علامات الكشط هذه ضغطت الطين *للداخل*، كما لو أن الأداة لم تكن تزيل المادة بل *تدفعها إلى مكان آخر*، تجبرها على الدخول إلى جسم اللوح بدلًا من كشطها بعيدًا.

لمست إحدى العلامات بأطراف أصابعها. كان الطين باردًا. كان السطح أملس ، أملس من الطين المحيط به، كما لو أن عملية الإزالة قد صقلت أيضًا ما تبقى. ضغطت برفق. لم يستسلم الطين. كان كثيفًا، مضغوطًا، بالطريقة التي يصبح عليها الطين عندما يُعمل ويُعاد عمله حتى يختفي الهواء ويبقى فقط الهيكل المعدني.

نظرت إلى العمال من حولها. إلى وجوههم الفارغة، وحركاتهم الآلية، وأصواتهم التي تتحدث بعلامات بدلاً من الأسماء. إلى الطريقة التي احتلوا بها مواقعهم دون أن يحتلوا أجسادهم، والطريقة التي أدوا بها وظائفهم دون أن يؤدوا أفعال الحياة التي كان ينبغي أن تحيط بتلك الوظائف. لم يُجردوا ببساطة من هوياتهم. بل تمت *إعادة هيكلتهم* ، أسماؤهم مضغوطة في السجلات التي كان ينبغي أن تحتفظ بها، وتاريخهم مدفوع في طين دفاتر الحسابات، وذواتهم محصورة في مواقع وجداول زمنية والغياب الناعم الكثيف حيث كانت النقوش في السابق.

أصبح الفراغ في صدرها يرن بشكل مختلف الآن. ليس بإدراك الأهمية، كما كان الحال في الأرشيف الرئيسي. ليس برضا الإصلاح. بل بشيء آخر ، شيء أبرد، شيء لم يكن يهتز بقدر ما كان *يثقل*، مستقرًا في الفراغ الذي كان فيه الرنين، مليئًا بضغط لا صوت له ولا شكل، لكنه كان موجودًا مع ذلك.

فهمت، دون أن تفهم كيف فهمت، أن الشيء نفسه قد حدث لها.

ربما لم تكن الطريقة نفسها. ولم تكن الأداة نفسها. لكنها كانت *العملية* نفسها ، إزالة المعلومات التي اعتُبرت غير ضرورية، وضغط الهوية في السجلات التي كان من المفترض أن تحتفظ بها، واختزال الشخص إلى مهمة وجدول زمني وغياب سلس وكثيف حيث كان يوجد اسم من قبل. لم يكن فقدان ذاكرتها إصابة. بل كان *تحريرًا* .لقد تم محوها من تاريخها الخاص بالطريقة التي تم بها محو هؤلاء العمال من دفاترهم ، بشكل منهجي، متعمد، بيَدٍ كانت تعرف بالضبط ما تفعله ولماذا.

لم تشعر بالغضب. فالغضب يتطلب هدفاً، والهدف لم يكن موجوداً. لم تشعر بالحزن. فالحزن يتطلب معرفة بما فُقد، وكانت تلك المعرفة لا تزال مضغوطة، لا تزال غير متاحة، لا تزال مدفونة في الطين الكثيف لسجلها المفقود. ما شعرت به كان الثقل ، الثقل المحدد والموضعي للغياب الذي أصبح مؤسسيًا، للمحو الذي أصبح سياسة، لنظام لم يكتفِ بالسماح بالنسيان بل *فرضه* ، علامة محو تلو الأخرى، اسم تلو الآخر، وظيفة تلو الأخرى، حتى أصبح الأشخاص الذين بقوا ليسوا أشخاصًا على الإطلاق بل مناصب ذات أجساد، جداول ذات أيدي، ملصقات تتحرك وتتنفس وتتحدث بأصوات رتيبة خالية من العاطفة عن المهام التي كُلفوا بأدائها.

تومض أضواء المصابيح.

رفعت رأسها. لم يتحرك اللهب، فالفتائل لا تزال تحترق بنفس الارتفاع، والزيت لا يزال يغذيها بنفس المعدل. لكن الضوء الذي تنتجه قد تغير، خفت قليلاً، واكتسب خاصية لم تستطع تسميتها ، ليس أغمق بالضبط، بل *أرق*، كما

لو أن الإضاءة تُمدد، تُسحب في اتجاهات لم يُقصد لها أن تسلكها. طالت الظلال في زوايا الغرفة. وعمقت الظلال بين العمال.

وتغير الهواء.

لم يتغير في درجة الحرارة أو الرطوبة أو الرائحة. بل تغير في *الوزن* .نفس التغير الذي شعرت به في الأرشيف الرئيسي عندما كان اللوح يتحلل ، لكنه مختلف، ليس وزن انتباهها بل وزن *التراكم*، كما لو أن شيئًا ما كان يتجمع في الفضاء من حولها، مستمدًا جوهره من الهواء نفسه، متكثفًا من ضوء المصباح والغبار والجو الكثيف كالطين في الغرف. لم يتفاعل العمال. واصلوا حركاتهم، وسكونهم، وروتينهم ذي العيون الفارغة، كما لو أن ما كان يتجمع لم يكن يتجمع من أجلهم.

شعرت به أولاً في أذنيها ، ضغط، ليس مؤلماً لكنه مُلح، مثلما يضغط الهواء على طبلة الأذن قبل العاصفة. ثم في عينيها، ضبابية خفيفة على أطراف رؤيتها، كما لو أن الضوء كان يتسرب من خلال شيء لم يكن موجوداً تماماً. ثم في صدرها، الفراغ الذي لا يتردد صداه بل *يستقبل*، كما يستقبل الوعاء الماء، والضغط يتدفق إلى الفراغ الذي كان يسكنه الغياب ويملؤه بشيء لم يكن حضوراً ولكنه لم يعد فراغاً أيضاً.

بدأت الهمسات.

لم تكن أصواتاً. لم تكن كلمات. كانت *أشكالاً* ،أشكالاً كان من الممكن أن تكون كلمات لو أُعطيت شكلاً، كان من الممكن أن تكون جمل لو أُعطيت بنية، كان من الممكن أن تكون أسماء لو أُعطيت أجساداً. جاءت من كل مكان ومن لا مكان، من الجدران والأرضية والهواء بين المصابيح، من الرفوف والصناديق والألواح التي تصطف عليها، من العمال الذين وقفوا في سكونهم الفارغ ولم يسمعوا، لم يستطيعوا السماع، تم هيكلتهم لعدم السماع. تداخلت الهمسات، وتراكبت، وتراكمت ، تلاقي أصوات لم تكن أصواتًا، وكثافة معانٍ لم تكن معاني، وضغط «تقريبًا» ضغط على عقلها كما يضغط الماء على السد.

أمسكت بالقلم المكسور. انغرز جذع القصب في راحة يدها. كان الألم خفيفًا ودقيقًا ومُثبِّتًا ، نقطة من الواقع المادي في فضاء كان يفقد طابعه المادي لحظة بلحظة. لم تتكلم. لم تتحرك. وقفت تحت وطأة الضغط وتركته يضغط عليها، وتركته يتراكم، وتركته يتجمع حولها كمدٍ لم يقرر بعد ما إذا كان سيتقدم أم يتراجع.

تغيرت الهمسات. اكتسبت نسيجًا ، خشنًا، ناعمًا، حادًا، لينًا، بالطريقة التي تكتسب بها الأصوات نسيجًا عندما تنتمي إلى حناجر مختلفة، أفواه مختلفة، أشخاص مختلفون. سمعت نغمة قد تكون لامرأة، وتحتها إيقاع قد يكون لطفل، وتحت ذلك صوت عميق قد يكون لرجل مسن، وتحت كل ذلك اهتزاز لم يكن صوتًا على الإطلاق بل شيئًا أقدم، شيئًا كان صوتًا قبل اختراع الأصوات، شيئًا يتذكر ما كانت عليه اللغة قبل أن تصبح كلمات.

لم يكونوا يتحدثون إليها. كانوا يتحدثون *حولها* ، من خلالها، متجاوزينها، داخلها، بالطريقة التي يتحرك بها الريح عبر فجوة في جدار، غير موجه بل يتدفق ببساطة، متخذًا شكل أي مساحة يجدها. شعرت بهم في صدرها، في حلقها، في المساحات خلف عينيها حيث من المفترض أن تتشكل الأفكار. كانوا يضغطون على ذكرياتها المفقودة بالطريقة التي يضغط بها الماء على باب مغلق ، لا يحاولون فتحه، بل يضغطون فحسب، يختبرون الإغلاق، يقيسون المقاومة، يجمعون بيانات عن شكل ما يقع وراءه.

ثم، وسط الضغط، وسط الهمسات، وسط تلاقي الأصوات شبه المسموعة والكلمات شبه المسموعة والأسماء شبه المسموعة ،

صوت.

واضح. شاب. لا لبس فيه.

"أمي."

ضربتها الكلمة وكأنها ضربة يد على عظم صدرها.

ليس مجازياً .*جسدياً* .شعرت بالصدمة في صدرها، ضغط حاد داخلي جعلها تترنح، ووزنها ينزلق للخلف، وقدميها تتخبطان بحثاً عن ثبات على الأرضية الطينية. انزلق القلم المكسور من بين أصابعها. ارتطم بالأرض بصوت خافت جاف ابتلعه الضغط، والهمسات، ووزن الكلمة التي انطبعت فيها للتو كختم في الطين.

ضغطت بيدها على صدرها. وجدت أصابعها عظم صدرها، العظم الصلب الذي لا يلين تحت راحة يدها. كان قلبها ينبض ، كانت تشعر به، سريعًا وغير منتظم، إيقاع جسد قد فوجئ، إيقاع نظام يستجيب لمحفز. لكن المحفز لم يكن خارجيًا. جاءت الكلمة من الداخل ، من الضغط، من الهمسات، من التلاقي الذي تجمع حولها وكان الآن يضغط بشيء *من خلالها*، شيء له شكل كلمة ووزن ضربة وملمس ،

لم تكن تعرف. لم تستطع تسميته. كانت كلمة *أم* موجودة هناك، في ذهنها، واضحة وحادة كنقش جديد ، لكنها لم تكن مرتبطة بأي شيء. لا صورة. لا سياق. لا وجه، لا جسد، لا يديْن، لا صوت سوى الصوت الذي نطق الكلمة. فقط الكلمة نفسها، معزولة، معلقة في جوف صدرها كأنها لوح نُقش عليه شيء ولم يُسجل قط، سجل لا مكان له في النظام، معلومة تعني شيئًا لكن لا يمكن معالجتها لأن الآلية التي كان من المفترض أن تعالجها قد أُزيلت.

تراجع الضغط.

ليس تمامًا ، ليس دفعة واحدة ، بل تدريجيًا، كما ينحسر المد، متراجعًا بوصةً بوصة، تاركًا وراءه الرمال الرطبة والأصداف المتروكة وذكريات الأعماق. خفتت الهمسات. استقر ضوء المصابيح. قصرت الظلال في زوايا الغرفة.

واصل العمال من حولها حركاتهم، وسكونهم، وروتينهم ذي العيون الفارغة، غير مدركين أن أي شيء قد تغير، غير مدركين أن أي شيء قد *حدث*، وعقولهم المنظمة عاجزة عن تسجيل التقارب الذي تجمع وضغط ثم انحسر.

وقفت في أعقاب ذلك. كانت يدها لا تزال مضغوطة على صدرها. كان تنفسها ضحلاً، متحكماً فيه، تنفس جسد عانى من صدمة وكان يتعامل معها، ويحتويها، ويمنعها من الانتشار. كانت عيناها مركّزتين على المكان الذي كان فيه الضغط أشدّ ، نقطة في الهواء بين رفّين، ربما على بعد ثلاث خطوات من المكان الذي تقف فيه، نقطة أصبحت الآن فارغة، لا تبدو مختلفة عن أي نقطة أخرى في الغرفة، ولا تدلّ على ما حدث للتو.

أنزلت يدها. نظرت إليها. كانت ثابتة.

نظرت إلى الأسفل. كان القلم المكسور ملقى على الأرض عند قدميها، وجذعه المكسور مغطى بالطين والماء وبقايا دم خافتة ليست دمها. التقطته. انغرزت القصب في راحة يدها مرة أخرى. أصبح الإحساس مألوفًا الآن، شبه مريح ، نقطة تلامس بين جسدها والعالم، تذكير صغير وحاد بأنها لا تزال صلبة، لا تزال حاضرة، لا تزال قادرة على حمل شيء ما.

وقفت هناك للحظة، القلم في يدها، وكلمة *أم* معلقة في صدرها كشظية تحت الجلد.

لم تبكِ. البكاء يتطلب سياقاً ، معرفة ما تعنيه الكلمة، معرفة من نطق بها، معرفة لماذا يؤلم غيابها بالطريقة المحددة التي يؤلم بها. لم يكن لديها أي من هذه الأشياء. كانت لديها الكلمة. كان لديها التأثير الفسيولوجي للكلمة ، الترنح، وتسارع نبضات القلب، واليد المضغوطة على عظمة الصدر. كان لديها الفراغ في صدرها، الذي لم يمتلئ بل *تغير*، حيث استُبدل الرنين بشيء أكثر كثافة، شيء لم يهتز بل استقر، ثقيلًا وساكنًا، مثل حجر سقط في بركة.

عالجت الكلمة كبيانات. ليس كمعنى ، بل *كوزن* .كانت معلومة. كانت جزءًا من السجل الذي تم كشطه، وضغطه في الطين لتاريخها المفقود، وأُطلق الآن للحظة بواسطة ما ضغط عليها، واختبرها، وجمع بيانات عن شكل غيابها. أخبرها بشيء. لم تعرف ما هو. لكنه أخبرها بشيء، وكان الإخبار له اتجاه ، الكلمة *أم* أشارت إلى مكان ما، قادت إلى مكان ما، كانت خيطًا يمكن اتباعه لو كانت لديها الوسيلة لاتباعه.

لم تكن لديها الوسيلة. ليس بعد. كان الخيط رفيعًا جدًا، ومنعزلاً جدًا، ومنفصلاً جدًا عن أي شيء آخر. لم تستطع سحبه دون أن تقطعه. لم تستطع اتباعه دون أن تعرف إلى أين يقودها. لم تستطع سوى الإمساك به ، تحمل ثقله، وكثافته، وثقل كلمة معينة ومحددة تعني شيئًا لم تستطع تذكر معناه.

نظرت إلى العمال من حولها. إلى وجوههم الفارغة، وحركاتهم الآلية، وأصواتهم التي تتحدث بعبارات تصنيفية بدلاً من الأسماء. لقد تم تجريدهم وتعديلهم وإعادة هيكلتهم. وهي نفسها تم تجريدها وتعديلها وإعادة هيكلتها. نفس العملية، نفس السياسة، نفس الإزالة المنهجية للمعلومات التي اعتُبرت غير ضرورية لأداء الوظيفة. كان الفرق هو

أنهم قد تم اختزالهم إلى مناصب وجداول زمنية. أما هي فقد تم اختزالها إلى *لا شيء*،لا منصب، ولا جدول زمني، ولا تسمية، مجرد جسد بيدين مجروحتين وقلم مكسور وفراغ في صدرها يتردد فيه صدى ثقل ما تم أخذه منها.

كانت كلمة *أم* تجلس في تلك الفجوة كحجر. لم تملأ الفراغ. بل احتلته ، بشكل مختلف، أكثر كثافة، وأكثر *تحديداً* من الصدى الذي كان موجوداً هناك من قبل. كانت اتجاهاً. كانت ثقلاً. كانت بيانات.

كانت ستتبعها. ليس بعد. ليس هنا. لكنها ستتبعها.

استدارت نحو الممر المؤدي إلى خارج المبنى. كان ضوء المصابيح يسقط في خطوط برتقالية رفيعة على الأرض. كانت الظلال بينها عميقة لكنها لم تكن مهددة ، مجرد ظلال، مجرد غياب للضوء، مجرد المساحات التي لم يصل إليها الضوء. واصل العمال روتينهم من حولها، غير مدركين لوجودها، غير مدركين لغيابهم، يشغلون المواقع التي كُلفوا بشغلها، يؤدون الوظائف التي صُمموا لأدائها.

مرت بجانبهم دون أن تتكلم. كان الممر ضيقاً، والسقف منخفضاً، والهواء كثيفاً برائحة الحبر الجاف والنحاس المؤكسد. تحركت خلاله بالطريقة التي تحركت بها عبر القصب عند استيقاظها الأول ، متأنية، حذرة، جسدها يتصرف بناءً على تعليمات لم يكتبها عقلها. استقر القلم المكسور في راحة يدها. واستقرت كلمة *أم* في صدرها. الفراغ الذي كان يحدد هويتها منذ أن فتحت عينيها في الوحل قد تغير ، لم يملأ، ولم يحل، بل *تغير*، بالطريقة التي يتغير بها الجرح عندما يبدأ في الشفاء، لا يختفي بل يتحول، ليصبح شيئًا آخر غير ما كان عليه.

خرجت من الممر إلى الأرشيف الرئيسي. سقط الضوء الكهرماني من الفتحات العالية في أشعة قطرية عبر الرفوف والصناديق والألواح. ملأ صوت طقطقة الطين على الطين المكان، الإيقاع المحيط لنظام تضرر لكنه لم يتحلل بعد. كانت الألواح التي أصلحتها لا تزال على رفوفها، شقوقها مملوءة، علاماتها مستقرة، نقوشها تحتفظ بالشكل الذي من المفترض أن تحتفظ به.

نظرت إليها للحظة. ثم نظرت إلى المخرج ، الفجوة في الجدار التي تؤدي إلى خارج الأرشيف، إلى المدينة، إلى الشوارع حيث يتجادل الكتبة وتتعارض الطقوس مع بعضها البعض وتتغير الأرض تحت أقدام أولئك الذين توقعوا أن تظل ثابتة.

لم تذهب في ذلك الاتجاه.

بدلاً من ذلك، استدارت نحو الجدار البعيد للأرشيف، حيث كان هناك ممر ثانٍ مفتوح ، الممر الذي لم تستكشفه، الممر الذي يؤدي، لم تكن تعرف كيف عرفت، نحو المحيط الخارجي للمدينة، حيث تبدأ مستنقعات القصب، حيث يغذي نهرا إيديجنا وبورانون الأراضي الرطبة التي تمتد نحو حافة العالم المعروف.

كانت كلمة *أم* تشير إلى ذلك الاتجاه. لم تكن لتستطيع تفسير كيف عرفت ذلك. لم تكن لتستطيع التعبير عن المنطق الذي ربط كلمة منطوقة واحدة باتجاه، أو منظر طبيعي، أو وجهة. لكن الصلة كانت موجودة ، ليست فكرية، ولا عقلانية، بل *جسدية*، محفوظة في نفس المكان الذي تذكر فيه يداها زاوية القلم، وحيث يتذكر جسدها حركة الإصلاح، وحيث يتذكر صدرها ثقل الغياب.

سارت نحو الممر. استقرت القلم المكسور في راحة يدها. احتفظت التجويف في صدرها بحجره.

لم تكن تعرف ما ستجده في المستنقعات. لم تكن تعرف ما الذي تبحث عنه. لم تكن تعرف من نطق الكلمة، أو لماذا، أو ما إذا كان الصوت سيأتي مرة أخرى.

كل ما عرفته هو أنه أشار، وأنها كانت تتبعه.

الفصل الرابع — ظهور الذكريات

جزء تم استرداده من أرشيف شخصي مودع في مكان مجهول. مركب من الطين، تم حرقه جزئيًا. التلف السطحي يتوافق مع محو جزئي متعمد ، كشط انتقائي، وليس تدهورًا بيئيًا. نسخة تقريبية :

...يعود الصدى قبل أن تكتمل الخطوة. هذا ليس تأخيرًا. هذا هو...

[...ثلاثة أحرف تم كشطها، مرئية لكن غير مقروءة]...الاعتراف لا يتطلب الوجه. إنه يتطلب...

...ستعرف الاتجاه من خلال الثقل في الصدر. الثقل لا يكذب. الثقل لا يمكنه...

...يقف على حافة ما كان. لا يعبر. ينتظر منك أن...

[...علامة كشط: متعمدة، انتقائية، تم إزالة حرفين تقريبًا]...الماء يتذكر ما نسيه الطين. اتبع التيار. لا المسار.

[ينتهي اللوح عند الهامش المكشوط]

لم تنتهِ المدينة بسور، بل بتناقص.

كانت تمشي منذ فترة ، لم تكن تعرف كم من الوقت، ولم تحسب الخطوات، ولم تلاحظ مرور الضوء عبر السماء البيضاء المسطحة. تلاشت الكثافة الإدارية لأوروك تدريجياً: أولاً غرف الأرشيف ذات الجدران السميكة، ثم غرف التخزين الأصغر، ثم المباني الخارجية بجدرانها المتصدعة وموظفيها المتناثرين، ثم الهياكل التي بالكاد كانت هياكل ، هياكل من الطوب الطيني نصف منهارة، أغراضها غير واضحة، ومواقعها تشير إلى حافة شيء ما بدلاً من بداية أي شيء.

الآن اختفت المباني. استبدل الطوب الطيني التراب المضغوط، واستبدل التراب المضغوط شيئًا أكثر ليونة، شيئًا ينخفض قليلاً تحت وزنها، ويحتفظ بآثار أقدامها للحظة قبل أن يملأ الفراغ ببطء. عادت القصب ، ليس الأعمدة الكثيفة التي رأت عند استيقاظها لأول مرة، بل نثرًا أقل كثافة، تنبثق سيقانها من المياه الراكدة التي تجمعت في الأماكن المنخفضة بين تلال العشب والطمي. تغير الهواء. كان الجو هنا أكثر رطوبة، وأثقل، يحمل رائحة النباتات الرطبة والمعادن المؤكسدة وشيئًا ما تحت ذلك، شيئًا عضويًا وقديمًا، رائحة الماء الذي ظل ساكنًا لفترة طويلة.

توقفت عند حافة بركة أوسع. كان الماء داكنًا ، ليس بُنّي اللون الذي تتميز به الأنهار المليئة بالطمي، بل لون أعمق، يكاد يكون أسود، يعكس السماء في شظايا تكسرها الرياح التي تتحرك عبر سطحه في تموجات صغيرة ومستمرة. نمت القصب بكثافة على طول حوافه، وجذورها تتشبث بالطين تحت السطح، وأطرافها تنحني مع النسيم. وراء

البركة، امتدت الأرض ، المزيد من المياه، والمزيد من القصب، والمزيد من التلال الصغيرة ذات التربة غير المستوية، ممتدة نحو أفق لم يكن مرئيًا تمامًا، مفقودًا في الضباب الذي كان معلقًا بين الأرض والسماء.

تغير الضوء. لم يكن الغسق قد حل بعد، لكنه لم يعد ذلك الأبيض المسطح لوقت الظهيرة. كانت الشمس قد تحركت نحو الأفق دون أن تلاحظ، وأصبح ضوئها الآن قادمًا بزاوية، يتعمق نحو اللون الكهرماني، ملقياً ظلالاً طويلة من القصب الذي امتد عبر الماء كأصابع داكنة. بقيت السماء مسطحة، شاسعة، خانقة ، لكن سقفها انخفض، ضاغطًا على المشهد، مما جعل الفراغ بين الأرض والسماء يبدو أصغر، أكثر احتواءً، أكثر *حضورًا*.

وقفت على حافة البركة ونظرت إلى المستنقعات. كانت كلمة «مستنقعات» في ذهنها، رغم أنها لم تتذكر أنها تعلمتها. كانت تتناسب مع المشهد كما تتناسب العلامة مع الصندوق ، الشكل الصحيح، الحجم الصحيح، مطبقة على الشيء الصحيح. كانت هذه هي المستنقعات. كانت هذه حافة شيء يمتد إلى ما وراء ما تستطيع رؤيته، مشهد من الماء والقصب والطمي يؤدي، ولم تكن تعرف كيف عرفت ذلك، إلى المكان الذي تلتقي فيه الأنهار ويصبح العالم شيئًا آخر.

احتفظت الفجوة في صدرها بهذه الكلمة. كانت كلمة *أم* تجلس في الفراغ كوزن سقط في ماء راكد، حوافه تنعم ببطء، سطحه يستقر ببطء، لكن كتلته لم تتغير. كانت بيانات. كانت اتجاهًا. كانت السبب الذي جعلها تمشي متجاوزة المخرج، متجاوزة الشوارع، متجاوزة حافة المدينة المتناقص، نحو هذا المكان حيث أصبحت الأرض ناعمة والهواء رطبًا، وحيث أفسح الهدوء الإداري لأوروك المجال لصوت الريح المنخفض والمستمر فوق الماء، ولصوت ضرب الحشرات البعيد على القصب.

لم تكن تعرف ما الذي تبحث عنه. كانت تعرف فقط أنه موجود هنا، في مكان ما في المستنقعات، في مكان ما وراء البركة والقصب وتلال الأرض غير المستقرة. كلمة *أم* أشارت إلى هذا الاتجاه. كانت تتبعها.

خطت خطوة إلى الأمام. وجدت قدمها حافة الماء، والطين تحتها ناعمًا لكنه ثابت، والماء يلامس جانب قدمها قبل أن يتراجع. خطت خطوة أخرى. صمدت الأرض. خطوة أخرى. أحاط بها القصب، وتلامس جذوعه ذراعيها، وحجبت قممه السماء إلى شرائط ضيقة من اللون الكهرماني والرمادي. تغير صوت الريح ، أصبح مكتومًا الآن، يتسرب عبر القصب، ليصبح شيئًا أكثر هدوءًا، وأكثر ثباتًا، أقل شبهاً بالطقس وأكثر شبهاً بالتنفس.

توقفت.

ليس لأنها اختارت ذلك. بل لأن شيئًا ما في الجو قد تغير ، ذلك الضغط نفسه الذي شعرت به في مبنى الأرشيف، ذلك التراكم نفسه، ذلك الإحساس نفسه بوجود شيء ما يتجمع على أطراف إدراكها. لكنه مختلف أيضًا. ليس

أثقل، بل *أكثر حدة*، وأكثر تركيزًا، مثلما يصبح الصوت أكثر حدة عندما يأتي من اتجاه محدد بدلًا من كل الاتجاهات في آن واحد.

أدارت رأسها.

كان يقف على حافة الماء، ربما على بعد عشر خطوات من المكان الذي توقفت فيه. كان القصب كثيفًا حوله، لكنه لم يكن جزءًا منه ، لم يكن واقفًا بينه بل واقفًا *بمفرده*، شخصية تشغل المساحة دون أن تحيط بها. كان صغيرًا ، كان طوله يصل إلى ما فوق رأسه بقليل، مما يعني أنه لم يبلغ قامة كاملة بعد، مما يعني أنه ربما كان في الثانية عشرة من عمره، ربما أصغر، ربما أكبر، وكان من المستحيل تحديد القياس الدقيق لأن حوافه لم تكن ثابتة.

كان ذلك أول ما لاحظته. ليس حجمه، ولا وقفته، ولا وجهه ، بل حوافه. كانت غير واضحة. ليس بالطريقة التي يتلاشى بها الضباب في الماء أو الظل، وليس بالطريقة التي تصبح بها الأشياء غير واضحة من بعيد، بل بالطريقة التي يتلاشى بها الحبر على الطين غير المحروق عندما لا يجف بشكل صحيح، حيث تنعم حواف العلامات، وتنتشر، وتفقد وضوحها بينما يظل المركز مقروءًا. كان هناك ، كانت تستطيع رؤيته، شكله، ألوانه، طريقة وقوفه ، لكن حدود ذلك الشكل لم تكن ثابتة. كانت تتغير، قليلاً، باستمرار، كما لو أن الهواء من حوله لم يكن راغباً تماماً في الحفاظ على شكله، كما لو أن العالم لم يكن متأكداً تماماً مما إذا كان ينتمي إليه.

كان يرتدي تنورة من الكتان الفاتح، بسيطة لكنها مصنوعة جيدًا، من النوع الذي يشير إلى شخص ذي مكانة متوسطة ، أنيق جدًا بالنسبة لعامل، وبسيط جدًا بالنسبة لكاهن. كانت قدميه عاريتين، والطين تحتها داكنًا من الماء. كانت يداه متدليتين على جانبيه، ساكنتين ومرتخيتين، يدا صبي ينتظر شيئًا ما وكان ينتظر منذ وقت طويل. كان شعره داكنًا، مقصوصًا قصيرًا بأسلوب لم تستطع تحديده، من عصر لم تستطع تسميته.

كان ينظر إليها.

ليس إلى وجهها. بل إليها هي. بالطريقة التي لم ينظر بها إليها العاملون في الأرشيف ، بالطريقة التي تنظر بها الأشياء عندما تتعرف على ما تراه، عندما يتطابق الشكل أمامها مع نمط مخزّن في مكان عميق، عندما تبلغ العيون «هذا هو» دون أن يحتاج العقل إلى صياغة الكلمات. كانت نظراته كاملة، ثابتة، صبورة ، صبر من سبق له الانتظار وسينتظر مرة أخرى، من أدرك أن الانتظار ليس مقدمة لشيء آخر بل حالة في حد ذاتها، حالة يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية لأن ما ينتظره سيأتي عندما يأتي وليس قبل ذلك.

شعرت بشيء في صدرها.

ليس الصدى الذي شعرت به في الأرشيف، عندما عرفت يداها زاوية القلم الطيني وعرف الطين شكل العلامة. شيء مختلف. شيء *محدد* ، اهتزاز يطابق تردد كلمة *أم*، كان موجودًا في نفس المكان في التجويف، وكان له نفس

الوزن والكثافة والملمس. توقف أنفاسها ، ليس بشكل درامي، ولا كأنها تلهث، بل مجرد انقطاع صغير في إيقاع تنفسها، مثلما تسبب الحصاة انقطاعًا صغيرًا في تدفق النهر. انقبض صدرها. لم يمتلئ الفراغ في صدرها، لكنه *تحول*، حيث استدارت القطعة الحجرية بداخله قليلاً، لتُظهر وجهًا مختلفًا للفراغ، وجهًا يشير نحو الصبي بين القصب، كما تشير إبرة البوصلة نحو الشمال.

نظرت إليه. نظر إليها. لم يتحرك أي منهما.

تحركت الرياح عبر القصب. ارتطمت المياه بالطين. اصطدمت حشرة في مكان قريب، صوت حاد صغير ارتفع وانخفض ثم اختفى. تسرب الضوء الكهرماني عبر الضباب، ملقياً ظلالاً طويلة امتدت عبر الماء كأصابع مظلمة. استمر العالم من حولهما، غير مبالٍ، غير مدرك أن شيئاً ما كان يحدث في هذا الفضاء الصغير بين القصب، شيئاً لا اسم له ولا تصنيف ولا مكان له في السجلات الإدارية للمدينة خلفها.

تكلم.

"لقد احتفظتِ بالجرة الثالثة على الرف العالي".

كان صوته هادئًا ، ليس همسًا، بل *مكبوتًا* ، بالطريقة التي يكون بها الصوت مكبوتًا عندما يعتاد على الكلام في المساحات الصغيرة، في الغرف ذات الجدران السميكة، في الأماكن التي لا ينتقل فيها الصوت بعيدًا. وكان صوت صبي لم ينضج بعد ليصل إلى صدى صوت الرجل، لكنه كان يحمل وزنًا مع ذلك ، وزن اليقين، والذكرى، وشيء يُتذكر بوضوح مطلق.

"تشقق الطين عندما أسقطته ".*توقف قليلاً*" .قمت بكنسه".

كان كتفه الأيسر ينحني دائماً أثناء عمله. تذكرت صوت الطين الجاف وهو يحك الأرض المضغوطة ، صوت خدش إيقاعي وحذر استمر لفترة أطول من حياة الصبي نفسه. لم ترد. وقفت بين القصب، والقلم المكسور في يدها، والطين البارد تحت قدميها، وعالجت كلماته كبيانات *.الجرة الثالثة. الرف العلوي. تشقق الطين. سقط. كُشط* .كانت الكلمات محددة وملموسة، من النوع الذي ينتمي إلى لحظة معينة في مكان معين، من النوع الذي لا يمكن أن يعرفه سوى من كان هناك. لم تكن لديها أي ذكرى للجرة، أو الرف، أو التشقق، أو الكشط. كانت الكلمات موجودة بمعزل عن أي شيء آخر، كأجزاء من سجل تم محوه، ويُعرض عليها الآن قطعة قطعة.

"قلت إن النهر سيتذكر ".توقف آخر. تلاشت حوافه قليلاً أكثر، ثم استقرت***" لقد نسي".***

نظرت إليه. كان وجهه ساكناً، هادئاً، وجه صبي تعلم الانتظار وتوقف عن توقع أن ينتهي الانتظار. كانت عيناه داكنتين ، بنفس درجة سواد شعره، والمياه خلفه، والظلال الممتدة عبر المستنقع. لم تكن فيهما أي توسل، ولا

مطالبة، ولا توقع. لم تكن فيهما سوى الإدراك ، الإدراك الكامل، الصبور، الثابت لشخص يعرف بالضبط من ينظر إليه، حتى لو كانت الشخص التي ينظر إليها لا تعرف بعد من هي.

"من أنت؟ "سألته.

كان السؤال جافًا ودقيقًا وعمليًا ، من النوع الذي يُطرح لجمع المعلومات، وليس لإقامة علاقة. لم يلين صوتها عند نطق الكلمات. ولم يتغير وضعها تجاهه. وقفت حيث كانت، القلم في يدها، والجيوب في صدرها تحمل حجرتها، وانتظرت إجابته بالطريقة التي كانت ستنتظر بها وصول أي معلومة أخرى.

لم يرد مباشرة.

"المياه أعمق بعد الجسر القديم " تحركت عيناه ، ليس بعيدًا عنها، بل عبرها، نحو المستنقعات التي تمتد وراء البركة، والقصب، والتلال الصغيرة ذات التربة غير المستقرة" *.عليك أن تتبعي التيار. وليس المسار"* .

"ماذا تريد؟ "

اتبع السؤال نفس نمط السؤال الأول: جاف، دقيق، وظيفي. لم تكن تعرف لماذا سألته. شعرت أن السؤال ضروري، كما يشعر الكاتب بضرورة السؤال عندما تكون اللوحة غير مكتملة *،ما الذي ينتمي إلى هنا؟ ما الذي يملأ هذا الفراغ؟ ما الذي أُزيل ويجب استعادته؟*

نظر إليها مرة أخرى. تلاشت حوافه ، بشكل أكثر وضوحًا هذه المرة، كما يتلاشى الحبر عندما يلامسه الماء، فتخففت حدود شكله وانتشرت قبل أن تعود ببطء، ببطء، إلى الوضوح. استغرق الأمر ربما ثلاث ثوانٍ. عندما انتهى، كان كما هو: الفتى ذو التنورة الشاحبة، والقدمان العاريتان في الوحل، والعينان الداكنتان اللتان تحملان الاعتراف دون مطالبة.

"التيار يعرف الطريق ".كان صوته أهدأ الآن، والكلمات تأتي من مكان أبعد، كما لو أن المسافة بينهما قد زادت رغم أن كلاهما لم يتحرك***" المسار يتظاهر"*** .

أدركت ذلك *.التيار، وليس المسار. الجسر القديم. المياه الأعمق* .كانت المعلومات توجيهية ، إحداثيات، وليست راحة، بيانات يمكن اتباعها حتى لو لم يُفهم الغرض منها. نظرت إلى المستنقعات خلفه، والقصب والمياه والضباب الذي يمتد نحو الأفق غير المرئي. استقرت كلمة *أم* في صدرها كحجر. أشار الحجر إلى هذا الاتجاه.

نظرت إليه مرة أخرى.

كان شكله أقل ثباتًا الآن. لم يتوقف التمويه ، ولم يكن يتوقف ، حيث استمرت حواف شكله في التليين والتحول، بالطريقة التي يلين بها الطين عندما يُبلل مرات عديدة، فيفقد تماسكه، ويصبح شيئًا يمكن إعادة تشكيله بأي يد تلمسه. كانت لا تزال تراه ، شكله، ألوانه، طريقة وقوفه ، لكن حدود ذلك الشكل كانت تزداد رقة، وأكثر نفاذية، كما لو أن الهواء كان يمتصه ببطء، ويسحبه عائداً إلى الكثافة التي خرج منها.

لم يبدُ أنه قلق من هذا. وقف حيث كان، يديه على جانبيه، عيناه على وجهها، وانتظر ، نفس الانتظار الصبور، الثابت الذي كان يبديه منذ أن رأته لأول مرة، انتظار شخص يدرك أن وجوده مؤقت، وأنه سيبقى هنا حتى يختفي، وأن لحظة انحلاله ليست خسارة بل انتقال، انتقال من حالة إلى أخرى، عودة إلى المصدر الذي انبثق منه.

حدث تغيير في الهواء من حولهما. شعرت به قبل أن تراه ، نفس الاستقرار الموضعي الذي شعرت به في الأرشيف، عندما تسبب إصلاحها للوح في سكون الغرفة، وتوقف الشقوق، واستقرار الضوء. لكنه كان مختلفًا أيضًا. ليس سكونًا بل *إدراكًا* ، بالطريقة التي يدرك بها الجسم إعادة توصيل أحد الأعصاب، إحساس قصير وحاد بشيء ينقر في مكانه، بدائرة كهربائية تكتمل، بمسار يفتح بعد أن كان مغلقًا لفترة أطول مما ينبغي.

نظرت إلى الأسفل. توقف الماء عند قدميها عن الحركة. لم يتجمد ، لا يزال سائلًا، لا يزال داكنًا، لا يزال يعكس الضوء الكهرماني ، لكن التموجات توقفت، وأصبح السطح مسطحًا وناعمًا كالطين المصقول. بالقرب من حافة البركة، نصف مغمورة في الوحل، كان هناك لوح مكسور ملقى بزاوية لم تستطع رؤيتها تمامًا. كانت الشقوق فيه لا تزال مرئية، لكنها لم تكن تتسع. لقد توقفت ، بنفس الطريقة التي توقفت بها الشقوق في الأرشيف عندما ضغطت بالقلم على الطين، وبنفس الطريقة التي استقرت بها العلامات المتحركة في مكانها عندما تشكلت آخر قطعة.

كان الغبار في الهواء يستقر. أصبحت ترى ذلك الآن ، جزيئات دقيقة، كانت غير مرئية قبل لحظة، تتدفق إلى الأسفل في خطوط مستقيمة، لا تبعثرها الرياح بل تسقط بدقة المطر، كل جزيئة تجد مكانها على سطح الماء، والطين، والقصب، والقلم المكسور في يدها. استغرق الاستقرار حوالي خمس ثوانٍ. عندما انتهى، كان الهواء أنقى مما كان عليه ، أكثر نقاءً، أنظف، كما يصبح الهواء بعد مرور العاصفة وسقوط الجسيمات على الأرض.

نظرت إلى الصبي.

كان يتلاشى. ليس بشكل درامي ، لم يكن يتحول إلى ضوء أو يصعد إلى السماء أو أي شكل من الأشكال التي يتخذها الرحيل في القصص التي لم تتذكر أنها سمعتها. كان ببساطة يصبح أقل حضوراً، بالطريقة التي تصبح بها الكلمة أقل حضوراً عندما تُمسح من اللوح، حيث يظل شكلها مرئياً في الآثار الضحلة التي خلفها القلم، لكن جوهرها قد زال، أُزيل، وعاد إلى الطين الذي نُحت منه. كانت حوافه أول ما ذهب ، تتلاشى، تتلاشى، تنتشر في الهواء من حوله حتى لم تعد حوافًا على الإطلاق بل تدرجات، انتقالات من شيء إلى لا شيء، كما يكون الأفق انتقالًا من الأرض إلى السماء.

كانت عيناه آخر ما تلاشى. احتفظتا بنظرتها حتى النهاية ، مظلمتان، صبورتان، كاملتان في إدراكهما، لا تقدمان شيئًا لم تكن مستعدة لتلقيه، ولا تطلبان شيئًا لم تكن مستعدة لتقديمه. لم تتوسل. لم تحزن. كانت ببساطة *تعلم*، كما تعلم الأسطوانة ما نُقش عليها، وكما يعرف الطين شكل العلامات التي انطبعت على سطحه، وكما يعرف الجسد وزن ما حمله حتى بعد أن وُضع الوزن أرضًا.

ثم اختفت.

اختفى.

كان الهواء حيث كان يقف فارغاً ، لا يختلف عن الهواء المحيط به، لا يحمل أي أثر أو بصمة، مجرد فراغ، كما يكون الهواء فارغاً عندما لا يشغله شيء. كان القصب يتمايل في الريح. كانت المياه تتلاطم على الطين. ضربت الحشرة مرة أخرى، في مكان ما في الأفق، صوت صغير حاد ارتفع وانخفض ثم اختفى. استمر العالم من حولها، غير مبالٍ، غير مدرك أن شيئاً ما قد حدث في هذا الفضاء الصغير بين القصب، شيئاً لا اسم له ولا فئة ولا مكان له في السجلات الإدارية للمدينة خلفها.

وقفت حيث كانت للحظة. احتفظت الفجوة في صدرها بذلك الحجر. لم يتحرك. استقرت كلمة *أم* في الفجوة بنفس الثقل الذي كانت تحمله منذ أن دفعها الضغط إليها في مجمع الأرشيف. لم يُضف شيء. لم يُنزع شيء. لكن شيئًا ما قد تغير ، بالطريقة التي يتحرك بها الحجر في مجرى مائي عندما يغير التيار اتجاهه، لا يتحرك بل *يدور*، ليُظهر وجهًا مختلفًا للمياه، وجهًا يلتقط الضوء بشكل مختلف، وجهًا كان موجودًا دائمًا لكنه لم يكن مرئيًا حتى الآن.

كان الصبي قد أشار *.الماء أعمق بعد الجسر القديم. اتبعي التيار. لا تتبعي المسار* .كانت الإحداثيات واضحة. تم تحديد الاتجاه. لم تكن تعرف ماذا ستجد إذا اتبعتهم. لم تكن تعرف من كان الصبي، أو لماذا ظهر، أو لماذا تحدث بتلك الأجزاء التي تحدث بها، أو لماذا تسبب وجوده في سكون الهواء واستقرار الغبار وتوقف الشقوق في اللوح المغمور عن الانتشار. لم تكن تعرف ما هي الجرة الثالثة، أو لماذا احتفظت بها على الرف العالي، أو لماذا تصدع الطين عندما أسقطتها، أو لماذا قام الصبي بكنسها. لم تكن تعرف إلى أي نهر كان يشير، أو لماذا قالت إنه سيتذكر، أو لماذا نسي.

لم تكن تعرف سوى أنه أشار، وأنها كانت تتبعه.

عدلت قبضتها على القلم المكسور. أصبح جذع القصب رطباً الآن، حيث اختلط الطين والماء والدم الذي غطاه باللون الداكن مع رطوبة هواء المستنقع، مكوناً سطحاً أملساً لكنه ليس زلقاً، سطحاً يمكن لأصابعها المليئة

بالندوب أن تمسك به دون أن تنزلق. نظرت إلى المستنقعات أمامها ، القصب، والماء، والتلال الصغيرة من الأرض غير المستوية، والضباب الذي يخفي الأفق. كانت كلمة *أم* تجلس في صدرها كحجر. أشار الحجر إلى هذا الاتجاه.

خطت خطوة إلى الأمام. وجدت قدماها الطين، ناعماً لكنه ثابت. خطت خطوة أخرى. انغلق القصب حولها، فركت سيقانه ذراعيها، وحجبت قممه السماء إلى شرائط ضيقة من الكهرمان والرمادي. تغير صوت الريح ، أصبح مكتوماً الآن، يتسرب عبر القصب، ليصبح شيئاً أكثر هدوءاً، وأكثر ثباتاً، أقل شبهاً بالطقس وأكثر شبهاً بالتنفس. ازداد عمق الماء مع تحركها، فارتفع من كاحليها إلى ساقيها، وكان التيار يشد قدميها بقوة لطيفة لكنها مستمرة، مثلما تشد اليد الأكمام عندما تريد الانتباه.

اتبعت التيار. وليس المسار.

خلفها، واصلت مدينة أوروك انحلالها البطيء ، الألواح تتشقق، واللافتات تتغير، والأسماء تُحذف من السجلات، والعمال يمارسون روتينهم دون أن يعرفوا من هم، والكهنة يتلون طقوسًا تتناقض مع بعضها، والكتبة ينسخون نصوصًا لا تثبت في مكانها. سيستمر الأرشيف الذي أصلحته في الاستقرار لفترة، وستظل الشقوق التي سدّتها صامدة، وستحافظ اللافتات التي نقشتها على الشكل الذي من المفترض أن تكون عليه. لكن الاستقرار كان مؤقتاً. كان النظام لا يزال ينهار. كان الانهيار لا يزال مستمراً. لم تستطع لوح واحد تم إصلاحه إيقاف ما كان يحدث للمدينة، تماماً كما لا تستطيع حجرة واحدة إيقاف نهر عن الجريان.

لم تفكر في هذا. واصلت السير.

امتدت المستنقعات من حولها، والقصب يرتفع وينخفض مع الريح، والمياه مظلمة وعميقة وثابتة، والتيار يجذب قدميها بقوته اللطيفة والمستمرة. ازدادت كثافة الضوء الكهرماني مع اقتراب الغسق. ازداد الضباب كثافة على أطراف رؤيتها. أصبح الهواء أكثر رطوبة وثقلاً، حاملاً رائحة النباتات الرطبة والمعادن المؤكسدة وشيئاً آخر الآن ، شيئاً قد يكون دخاناً، أو قد يكون غباراً، أو قد يكون بقايا شيء احترق منذ زمن طويل ولم ينتهِ بعد من التلاشي.

لم تنظر إلى الوراء.

اختفى الصبي. استقرت الفجوة. أصبح الاتجاه واضحًا.

سارت نحو القصب، فاحتضنها القصب، واستوعبتها المستنقعات، وتقلصت مدينة أوروك خلفها، ثم تقلصت أكثر، ثم اختفت.

الفصل الخامس — المستنقعات ذات الأسماء غير المكتملة

جزء تم استخراجه من رواسب المستنقعات، منطقة دلتا إيديغنا. مركب طيني، مستقر جزئيًا. يشير التلف السطحي إلى وجود آثار متعددة متداخلة ، أيادي مختلفة، ضغوط مختلفة، تساهم في تكوين سجل واحد أصبح الآن محفوظًا جزئيًا. النسخ التقريبي:

...عندما تجتمع الجوقة، لا يكون الشاهد واحدًا بل كثيرون. السجل لا يتطلب ...

[...تداخل البصمات: يظهر يدان متميزتان، إحداهما تضغط أعمق من الأخرى]...لم تُمنح السلطة. بل نُقشت. تم ضغط الختم بواسطة ...

...لا ينطقون بأسمائهم لأن الأسماء تم محوها قبل أن يتمكن الكورس من...

...وزن الكثيرين ليس وزن واحد. وزن الكثيرين هو وزن...

[...يد ثالثة مرئية على الهامش، أصغر، وأكثر دقة]...وقفت في الوسط. لم تأمر. سجلت. كان التسجيل هو السلطة. كانت السلطة هي...

[ينتهي اللوح عند الهامش الثابت]

لم يكن الجسر القديم جسراً.

بل كان عبارة عن ركائز ، أعمدة حجرية ترتفع من الماء على مسافات غير منتظمة، وأسطحها نصف مغمورة بالطمي، وأطرافها مكسورة أو متآكلة أو مفقودة ببساطة. وأياً كان ما كان يربط بينها، فقد اختفى منذ زمن أطول مما تستطيع المياه أن تتذكره. كانت تقف في المياه الضحلة كعظام شيء ضخم وقديم، علامات لممر لم يعد موجوداً، عتبة تم عبورها مرات عديدة لدرجة أنها تآكلت.

مشت عبرها. ارتفع الماء من ساقيها إلى ركبتيها، باردًا وكثيفًا، يشد ساقيها بإصرار لطيف لتيار يعرف إلى أين يتجه حتى لو كانت هي لا تعرف. تناقصت كثافة القصب مع تحركها، وتلاشت صفوفه الكثيفة لتحل محلها سيقان متباعدة ترتفع من الماء على مسافات أوسع، وأطرافها تنحني في الريح التي أصبحت تشعر بها الآن، حركة هواء منخفضة ومستمرة تحمل رائحة النباتات الرطبة والمعادن المؤكسدة وشيئًا آخر ، شيئًا أقدم، شيئًا كان موجودًا في الماء منذ قبل أن يصبح الماء ماءً.

انفتح المشهد.

كانت تتوقع هذا ، لم تكن تعرف كيف عرفت أن تتوقعه، لكن التوقع كان موجودًا، يقينًا هيكليًا في صدرها يشير إلى الأمام بالطريقة التي يشير بها حجر *الأم* إلى الداخل. اتسعت القناة الضيقة التي كانت تتبعها لتصبح دلتا ، ضحلة، واسعة، الماء ينتشر رقيقًا عبر سهل من الطمي الداكن يمتد في كل اتجاه، لا يقطعه سوى تلال من العشب والقصب وحجر قائم بين الحين والآخر قد يكون علامة أو قد يكون قبرًا أو قد يكون كليهما. انعكست السماء في الماء كحجر عقيق مصقول، وسقف الضوء الشاحب المسطح يتضاعف في السطح المظلم أدناه، مخلقاً عالماً لا أفق مرئي له، ولا حدود واضحة بين ما فوق وما تحت.

اختفى الهدوء الإداري لأوروك. وحل محله همهمة ، منخفضة، مستمرة، متعددة الطبقات. الريح تمر عبر السيقان الرطبة. الماء يستقر على الطمي. رشاشات ناعمة من حين لآخر لشيء يتحرك تحت السطح، بعيد جدًا بحيث لا يمكن رؤيته، وحاضر جدًا بحيث لا يمكن تجاهله. صوت مكان لم يكن فارغًا ولكنه لم يكن ممتلئًا أيضًا ، مكان حيث كانت الأشياء معلقة، في انتظار شيء لم يصل بعد.

توقفت. جذبها التيار من ساقيها. ملأ الهمهمة أذنيها. حجر *الأم* استقر في صدرها، ثقيلًا وثابتًا، مشيرًا إلى شيء لم تستطع رؤيته بعد.

ثم رأتهم.

ظهروا من القصب والمياه الضحلة كما تظهر الأشياء من الأحلام ، ليس فجأة، بل تدريجيًا، وأصبحت أشكالهم أكثر حضورًا مع تأقلم عينيها مع نوعية الضوء المحددة التي تملأ هذا المكان. شخصية على تلة صغيرة إلى يسارها، جالسة وركبتيها مرفوعتان إلى صدرها، ووجهها متجه نحو الماء. شخصية غارقة حتى الخصر في المياه الضحلة أمامها، واقفة بلا حراك، وذراعاها إلى جانبيها، ووضعيتها تشير إلى أنها كانت واقفة منذ وقت طويل وستظل واقفة لفترة طويلة أخرى. شخصية راكعة على حافة الماء ربما على بعد عشرة خطوات إلى يمينها، وأصابعها مغروسة في الطين، تتحرك بحركات صغيرة متكررة ، حركات شخص يحاول الكتابة، أو يحاول تذكر كيفية الكتابة، أو يحاول العثور على شيء في الطين كان مكتوبًا ثم ضاع.

ظهر المزيد منهم بينما كانت تنظر. خلفها، بين أعمدة الجسر القديم. أمامها، متناثرة عبر التلال الصغيرة والمياه الضحلة، ترتفع أشكالهم من الماء والطمي كالحجارة التي وضعتها هناك يد تعرف أين يجب أن تذهب. لم يكونوا أشباحًا ، لم يكونوا متوهجين، ولا شفافين، ولا غير ملموسين بالطريقة التي كانت بها الأشباح غير ملموسة في القصص التي لم تتذكر سماعها. كانوا أجسامًا صلبة، حاضرة، حقيقية مثل الماء والقصب والطين تحت قدميها.

لكنها لم تكن كاملة.

كانت حوافها مثل حواف الصبي ، غير واضحة، غير مؤكدة، حدود أشكالها تنعم وتتغير كما لو أن الهواء من حولها لم يكن راغبًا تمامًا في الاعتراف بوجودها. ووجوههم ، الوجوه التي استطاعت رؤيتها ، كانت تحمل نفس الإدراك الفارغ الذي رأت في عمال الأرشيف، نفس الفراغ الوظيفي الفارغ، لكن أعمق. أقل وظيفية. أكثر جوهرية. كان العاملون في الأرشيف قد حُصروا في مناصب وجداول زمنية. أما هذه الأشكال فقد حُصرت في شيء أقل من ذلك ، في وجودات بلا مناصب، ووظائف بلا مهام، وبقايا أشخاص تم محوهم تمامًا من السجلات لدرجة أن حتى فائدتهم قد تم محوها.

لم يقتربوا منها. بل راقبوها.

وقفت في الماء وتركتهم يراقبونها.

أدارت الشخصية الموجودة على التلة الصغيرة إلى يسارها رأسها. وجدتها عيناها وظلتا تحدقان فيها. تحركت الشخصية الموجودة في المياه الضحلة أمامها قليلاً، وانتقل وزنها من قدم إلى أخرى، وتماوجت المياه حول ساقيها مع الحركة. توقف الشخص الراكع على حافة الماء عن الضغط بأصابعه في الوحل ورفع رأسه، ويداه ثابتتان، ووضعه يشير إلى أنه ينتظر شيئًا ما ، إشارة، ربما، أو إذنًا، أو ببساطة اللحظة التالية في سلسلة من اللحظات التي تم تعليقها لفترة أطول مما يمكنه قياسها.

لم تتكلم. لم تتحرك. وقفت في الماء، والقلم المكسور في يدها وحجر *الأم* في صدرها، وانتظرت وصول النبضة التالية من التسلسل.

وقد وصلت.

وقف الكائن على التل الصغير. كانت حركاته بطيئة ومدروسة، حركات كائن تعلم أن يتعامل بحذر مع جسده لأن جسده لم يعد متأكدًا تمامًا من حدوده. نزل من التل إلى المياه الضحلة، وارتفع الماء إلى كاحليه، ثم ساقيه، ثم ركبتيه. سار نحوها ، ليس مباشرة، بل بزاوية، مقتربًا من الجانب كما يقترب حيوان حذر من شيء لا يتعرف عليه.

توقف على بعد ثلاث خطوات منها. كان وجهه وجه امرأة ، في منتصف العمر، مجعد، ملامحه غير واضحة عند الحواف بنفس الطريقة التي كان شكل الجسد غير واضح بها، لكنه لا يزال مقروءًا، لا يزال بشريًا، لا يزال يحمل علامات حياة عاشها قبل أن تُمسح الحياة. كانت عيناها تحملان إدراكًا فارغًا. كانت يداها متدليتين على جانبيها، مرتخيتين وثابتتين، يدا شخص نسي الغرض منهما لكنه لم ينسَ بعد كيف يتدلى.

رفعت يدها اليمنى.

كانت الحركة بطيئة، مترددة، حركة شيء يحاول تذكر إيماءة قام بها مرات عديدة لكنه لم يعد قادراً على تذكرها تماماً. انحنت أصابعها قليلاً، مكونة شكلاً ، كوباً، ربما، أو مهداً، أو بداية إشارة. ضغط إبهامها على إصبعها السبابة، مكونة فجوة صغيرة بينهما، مساحة ربما كانت تحمل شيئاً في يوم من الأيام.

حافظت على الشكل للحظة. ثم أنزلت يدها وتراجعت خطوة إلى الوراء.

راقبت نينشار. لم تفهم الإيماءة ، لا معناها، ولا أصلها، ولا غرضها. لكنها أدركت *ثقلها* .كانت الإيماءة تحمل شيئًا ، بالطريقة التي تحمل بها الكلمات شيئًا، والطريقة التي تحمل بها الإشارات شيئًا، والطريقة التي يحمل بها أي شكل من أشكال التواصل بقايا ما كان من المفترض أن ينقله حتى عندما يُفقد السياق. كانت الإيماءة جزءًا. قطعة من سجل تم محوها، محفوظة ليس في الطين بل في العضلات والعظام، في الذاكرة الجسدية لجسد تشكلته حياة لم يعد يتذكر أنه عاشها.

نظرت نينشار إلى الماء. كان الطمي تحت قدميها داكنًا وكثيفًا، من النوع الذي يمكن تشكيله ، رطب، مرن، قادر على الاحتفاظ بالبصمة. ركعت. ارتفع الماء إلى خصرها، مبللاً ملابسها الكتانية، مثقلاً إياها، لكنها لم تشعر بالبرد أو بالثقل. لم تشعر سوى بضغط الطين تحت أصابعها، بالواقع الملموس المحدد للمادة التي يمكن الكتابة عليها.

جمعت حفنة من الطمي. ضغطتها لتصبح مسطحة على سطح تلة قريبة، وشكلتها على هيئة مستطيل تقريبي، مملسة حوافها بكعب كفها. كان الطين جيدًا ، كثيفًا، قابلًا للتشكيل، من النوع الذي يحتفظ بالآثار دون أن يتشقق أو يتفكك. التقطت القلم المكسور. كان جذع القصب مبللًا بالماء الآن، لكن الرأس كان لا يزال صلبًا، ولا يزال قادرًا على الضغط في الطين كما يضغط المفتاح في القفل.

نظرت إلى الشكل. كان الشكل واقفاً في المياه الضحلة، ويديه على جانبيه، ووجهه متجهاً نحوها، ووضعيته توحي بأنه كان ينتظر شيئاً كان ينتظره منذ وقت طويل.

رفعت نينشار القلم. وضغطت به على الطين.

العلامة التي نقشتها لم تكن كلمة تستطيع قراءتها. كانت إيماءة مترجمة إلى الكتابة المسمارية ، انحناء الأصابع، الفجوة بين الإبهام والسبابة، الزاوية المحددة للمعصم التي رافقت الحركة. لم تكن تعرف ماذا تعني العلامة. لم تكن بحاجة إلى معرفة معناها. كانت تعرف ما هي: سجل، نقش، بيان لشيء كان موجودًا وتم محوه، ويُعاد الآن إلى الطين الذي كان دائمًا الوسط المناسب له.

ضغطت على آخر قطعة. ثبت الطين.

تغير الهواء.

ليس بشكل درامي ، ليس السكون الذي شعرت به في الأرشيف، وليس الضغط الذي شعرت به عندما انطبعت كلمة*أم* على صدرها. شيء أصغر، أكثر تحديدًا، أكثر دقة. سكن الماء حول ساقي الشخصية ، لم يتجمد، بل سكن، وتوقفت التموجات، وأصبح السطح مسطحًا وناعمًا كالحجر المصقول. توقف القصب بالقرب من التلة عن التمايل، وظلت سيقانه ثابتة في مواقعها للحظة قبل أن تستأنف حركتها ببطء وتدريجيًا. تغيرت الشخصية نفسها ، أصبحت حوافها أكثر حدة قليلاً، وأصبح شكلها أكثر حضورًا، وأكثر صلابة، وأكثر «وجودًا»، بالطريقة التي تصبح بها الكلمة أكثر حضورًا عندما تُكتب على لوح بدلاً من مجرد نطقها في الهواء.

لم يصبح الشكل كاملاً. ظل وجهه فارغاً، وعيناه لا تزالان تحملان الاعتراف الفارغ، وجسده لا يزال يتحرك بحذر غير مؤكد لشيء غير متأكد تماماً من حدوده. لكنه أصبح*أكثر* ، أكثر حضوراً، وأكثر صلابة، وأكثر قدرة على الإدراك، مثلما يصبح الجزء أكثر قدرة على الإدراك عندما يوضع في سياق يمنحه معنى.

أصبح شاهداً.

نظرت نينشار إلى الإيماءة المنقوشة. نظرت إلى الشكل. نظرت إلى الماء من حولهما، الذي كان لا يزال يهدأ من الاهتزاز الصغير الذي حدث عند اكتمال العلامة.

مدت يدها لتأخذ المزيد من الطين.

جاءوا واحدًا تلو الآخر.

ليس في عجلة، وليس في فيضان، بل في تراكم بطيء ومدروس لأشياء كانت تنتظر منذ وقت طويل وحصلت أخيرًا على الإذن بالوصول. اقتربت الشخصية من المياه الضحلة أولاً، تخطو في الماء بنفس الحركات الحذرة والمترددة التي اتسمت بها الشخصية الأولى، وتوقفت على مسافة بدت مناسبة، منتظرة دورها. ثم الشخصية التي كانت راكعة على حافة الماء، تخرج من الوحل وبقع داكنة على أصابعها، تمشي نحوها بوضعية من كان يحاول الكتابة لفترة طويلة جداً ووجد أخيراً سطحاً يحتفظ بالعلامات. ثم ظهر آخرون ، من القصب، ومن التلال الصغيرة، ومن المياه العميقة حيث كانت أشكالهم مجرد ظلال على السطح المظلم، يظهرون واحدًا تلو الآخر في الفراغ المحيط بها كأقراص تُسحب من صندوق وتُرتب على رف.

كان لكل واحد منهم ما يميزه.

إيقاع خطوات ، شخصية تحرك قدميها بنمط معين، يسار،يمين،يسار،توقف، يسار،يمين،يسار،توقف، وتكررت الحركة ثلاث مرات قبل أن تتوقف وتنظر إليها بعينين تقولان *هذا ما كنت عليه، هذا ما فعلته، هذا شكل الحياة التي تم محوها* .قامت بتدوين الإيقاع: أربع علامات متتالية، الثالثة أطول قليلاً من الباقي، تدوين لم يلتقط معنى

الخطوات بل *شكلها*، الواقع المادي المحدد لجسد يتحرك بنمط كان مألوفاً في يوم من الأيام لدرجة أنه أصبح غير مرئي.

مقطع لفظي متكرر ، شخصية تتحرك شفتاها دون إصدار صوت، شكل كلمة تتشكل وتعيد تشكيل نفسها، نفس الصوتين مرارًا وتكرارًا، جزء من اسم أو لقب أو دعاء تكرر مرات عديدة لدرجة أنه حفر أخدودًا في اللسان الذي نطقه. قامت بنقش المقاطع اللفظية: علامتان، بسيطتان، أساسيتان، من النوع الذي يتعلمه الطفل قبل أي شيء آخر، من النوع الذي يشكل أساس اللغة نفسها.

زاوية الإمساك ، شخصية تشكلت يداها حول شيء لم يكن موجودًا، والأصابع تنحني بزاوية محددة، والمعصم يدور بدرجة محددة، ووضعية جسد أمسك بأداة مرات عديدة لدرجة أن الأداة أصبحت امتدادًا لليد. قامت بتدوين الزاوية: علامة مركبة، دقيقة، تقنية، من النوع الذي ينتمي إلى نص تعليمي، من النوع الذي يسمح لشخص لم يمسك بالأداة من قبل أن يمسكها تمامًا كما أمسكها صاحبها الأصلي.

وزن ، شخصية وقفت ببساطة، ووضعية جسدها تنقل شيئًا لا يمكن التعبير عنه بالإيماءة أو المقطع الصوتي أو الإيقاع، ثقلًا ليس جسديًا ولكنه لا يقل واقعية عن ذلك، وزن المسؤولية، ربما، أو العواقب، أو الزخم المتراكم لحياة كانت تتحرك في اتجاه معين لفترة أطول مما يمكنها أن تتذكر. نقشت الثقل: علامة واحدة، كثيفة، مضغوطة بعمق، من النوع الذي يترك انطباعًا دائمًا في الطين، من النوع الذي يقول *كان هناك شيء مهم، شيء ذو أهمية، شيء لا ينبغي نسيانه*.

واحدًا تلو الآخر، جاءوا. واحدًا تلو الآخر، قدموا. واحدًا تلو الآخر، نقشت.

أصبحت التلة المحيطة بها دفترًا ، سطحًا من الطين مغطى بعلامات، كل واحدة منها جزء من حياة تم كشطها، كل واحدة منها شاهدة على شيء كان موجودًا وتم محوه ويُعاد الآن إلى السجل. لم تشكل العلامات كلمات، ليس بأي لغة تستطيع قراءتها. شكلت نمطًا ، نمطًا متعدد الطبقات، متراكمًا، رنانًا، لم يقل الكثير عن معنى الشظايا، بل أكثر عن حقيقة أنها *كانت* تعني شيئًا، وأن الحياة التي تمثلها كانت حقيقية، وأن الأشخاص الذين عاشوها كانوا موجودين في العالم بطرق يمكن تسجيلها وفهرستها وحفظها حتى لو ضاعت التفاصيل المحددة لوجودهم.

وبينما كانت تنقش، حدث شيء ما.

بدأ الأمر كتغيير في الهمهمة ، الصوت المنخفض والمستمر للرياح والمياه الذي كان يملأ المستنقع منذ وصولها. بدأت الأصداء المنعزلة التي رافقت اقتراب كل شخصية تراكم، وتتداخل، لتخلق نسيجًا صوتيًا كان أكثر من مجموع أجزائه. لم يكن ذلك تناغمًا ، فالتناغم يتطلب نية، وهذه الأصوات لم تكن لها نية، ولا اتجاه، ولا غرض يتجاوز وجودها ذاته. كان ذلك صدىً ، ذلك النوع من الصدى الذي يحدث عندما تشغل العديد من الاهتزازات المتشابهة

نفس المساحة، حيث يعزز كل منها الآخر، مكونًا موجة أكبر وأكثر حضورًا من أي من الموجات الفردية التي تتكون منها.

تحولت الأشكال من حولها. ليس بشكل دراماتيكي ، لم تتحرك نحوها أو بعيدًا عنها، بل *استقرت*، وتكيفت أوضاعها، واستقرت مواقعها، بالطريقة التي تستقر بها الأجسام عندما تجد التكوين الذي يتطلب أقل طاقة للحفاظ عليه. رتبوا أنفسهم في نمط شعاعي فضفاض حول التلة التي ركعت عليها ، ليس دائرة، ولا تشكيل، بل توزيـع، بالطريقة التي توزع بها الألواح حول دفتر مركزي على رف، كل واحدة في مكانها الصحيح، كل واحدة تساهم في البنية الشاملة للسجل.

جوقة. ليست من الأصوات ، لم يكن أي منهم يتكلم ، بل من الحضور، من الشهود، من الشظايا التي كانت مبعثرة وأصبحت الآن تُجمع، وتُفهرس، وتُحفظ في الطين تحت قلمها. لم يتبعوها. لم يتطلعوا إليها طلباً للإرشاد. كانوا ببساطة *موجودين* ، حاضرين، مسجلين، موثقين بالطريقة الوحيدة التي تهم، الطريقة التي سمحت لهم بالوجود في النظام حتى لو لم يعد بإمكانهم الوجود كأفراد.

اهتزت الفجوة في صدرها بتردد جديد.

ليس ذلك الرنين العميق البطيء الذي شعرت به في الأرشيف، عندما عرفت يداها زاوية القلم وعرف الطين شكل العلامة. ليس تلك الضربة الحادة المحددة التي شعرت بها عندما انطبعت كلمة*أم* في داخلها بفعل الضغط في مجمع الأرشيف. شيء آخر ، تردد متعدد الطبقات، متراكم، رنان، يتطابق مع الهمهمة المتعددة الطبقات، المتراكمة، الرنانة للأشكال من حولها. تحرك حجر *الأم* في الفراغ، مستديرًا قليلاً، ليُظهر وجهًا مختلفًا للفراغ. وبجانبه ، شعرت به قبل أن تفهمه ، بدأ وزن آخر يستقر.

ليست كلمة هذه المرة. ليست شظية. بل *هيكل*.

جاءت من يديها أولاً.

كانتا تعرفان شيئاً لم تعرفاه من قبل ، أو بالأحرى، *تذكرتا* شيئاً نسيتاه، بالطريقة التي تتذكر بها العضلات حركة توقف العقل عن أدائها. تحركت أصابعها حول القلم المكسور، تعدلت قبضتها، ووجدت زاوية لم تكن زاوية الإصلاح بل زاوية *السلطة* .زاوية يد لا تكتب لإصلاح ما هو مكسور، بل لتأسيس ما هو صحيح. زاوية يد طبعت الأختام في الطين، وصدّقت المراسيم، وتحدثت بصوت مؤسسة وجعلت ذلك الصوت دائمًا بتسجيله. لم تُسترجع الذكرى. بل تم تثبيتها. فقرةً فقرةً.

ثم عمودها الفقري.

شعرت به يستقيم ، ليس بشكل درامي، ولا بشكل مرئي، بل داخليًا، حيث تصطف الفقرات في نمط عرفه جسدها منذ زمن أطول مما تستطيع أن تتذكر، وقفة شخص يجلس على مقعد مرتفع وينظر إلى أسفل نحو الكتبة الجالسين على مقاعد أدنى، وقفة شخص لم يكن موقعه في التسلسل الهرمي مسألة تفضيل بل مسألة *سجل*، محفور في ألواح يمكن الرجوع إليها من قبل أي شخص يحتاج إلى معرفة أين تقع السلطة.

ثم أذناها.

صوت ، ليس من المستنقع، ولا من الأشكال، ولا من أي شيء خارجي. *صوت من الداخل*، من المكان الذي كانت تُخزَّن فيه الذكريات قبل أن تُمسح، من أرشيف تاريخها الخاص الذي تم تعديله بنفس الطريقة التي عُدِّلت بها سجلات الموظفين، بنفس الدقة المنهجية، وبنفس الإزالة المنظمة للمعلومات التي اعتُبرت غير ضرورية لعمل النظام. كان الصوت صدى مرسوم ، صوت خدش جاف لقلم على الطين، والصوت الذي نطق الكلمات التي سجلها القلم، والإيقاع المحدد والرسمي للغة الإلهية التي تُترجم إلى شكل دائم.

وصوتها هي. يرد.

"لا".

أصابتها الكلمة كضربة جسدية ، ليس في الصدر هذه المرة، بل أعمق، في المكان الذي ترتكز فيه بنية ذاتها على بنية تاريخها، في المكان الذي لا تكون فيه الهوية مسألة ذاكرة بل مسألة *سجل* .كانت قد قالت لا. كانت قد رفضت النسخ. كانت هي التي جلست على المنصة العالية وحملت الختم الاحتفالي وامتلكت السلطة لتسجيل ما هو صحيح ، واستخدمت تلك السلطة لتقول *لا* لشيء كان يُطالب بتسجيله على أنه صحيح.

لم يأتِ الإدراك كسرد بل *كثقل* .ليس كقصة بل *كبنية* .ليس كذاكرة بل *كمرساة*.

كانت تمتلك السلطة على السجلات. ليست ذلك النوع من السلطة الذي يأتي من القوة أو الخوف أو النعمة الإلهية ، بل النوع الذي يأتي من *المركز*، من كونها الشخص الذي خُلِّصت يداه لوضع الختم، وصوته لإعلان المرسوم، وقلمه لتثبيت ما كان سيصبح مؤقتًا لولا ذلك. كانت هي حارسة السجل، التي تقرر ما يُدوَّن وما لا يُدوَّن، التي تقف بين المادة الخام للأحداث والمنتج النهائي للتاريخ.

وقد رفضت.

لم تكن تعرف ما الذي رفضته. لم تكن تعرف ماذا قال المرسوم، أو من نطق به، أو لماذا كان مهمًا بما يكفي ليتطلب امتثالها وخطيرًا بما يكفي ليبرر محوها عندما لم يتم الامتثال. لم تكن تعرف سوى البنية ، شكل الرفض، وثقل السلطة، والواقع المادي المحدد لصوت يقول «لا» في غرفة حيث «لا» لم تكن إجابة مقبولة.

لم يملأ الفراغ في صدرها. بل *استقر* .تحرك حجر *الأم*، وبجانبه استقر حجر آخر ، أثقل، وأكثر كثافة، ليس وزن كلمة بل وزن *موقف*، وزن كونها شخصًا مهمًا في نظام مهم، وزن محوها ليس لأنها كانت غير مهمة بل لأنها كانت مهمة بطريقة تهدد النظام الذي خلق أهميتها.

تضاعف الوزن. اتضح الاتجاه.

لم تكن تسير نحو شيء مجهول. كانت تسير نحو شيء عرفته ذات يوم وأُجبرت على نسيانه. لم تكن المستنقعات وجهة. كانت نقطة عبور ، مكانًا يتجمع فيه المحذوفون، مكانًا يمكن فيه فهرسة الشظايا، مكانًا يمكن فيه إعادة بناء السجل قطعة قطعة حتى يظهر النمط ويصبح شكل ما فُقد مرئيًا بما يكفي لتتبعه.

نظرت إلى الأشكال من حولها. جوقة غير المكتملين. الشهود الذين نقشتهم في الطين. وقفوا في ترتيبهم الشعاعي، حوافهم أكثر حدة من ذي قبل، أشكالهم أكثر حضوراً، وجودهم أكثر *تحديداً* مما كانوا عليه عندما خرجوا من القصب والمياه الضحلة. لم ينظروا إليها بامتنان أو إجلال أو أمل. كانوا ينظرون إليها بنفس الاهتمام الصبور والمهني الذي أبدته تجاه الكلب في شوارع أوروك ، اهتمام شيء يدرك ما يراه وينتظر ليرى ما سيحدث بعد ذلك.

لم تكن قد أعادت إليهم حياتهم. بل أعادت إليهم *سجلاتهم* .قامت بفهرستها، وحفظها، وجعلتها مرئية في النظام الذي حاول جعلها غير مرئية. لم يكونوا كاملين. ولن يكونوا كاملين أبدًا. لكنهم كانوا *شهودًا* ، وجودات يمكن حسابها، شظايا يمكن الرجوع إليها، أدلة يمكن تقديمها عندما يحين الوقت لإثبات ما تم فعله ولماذا كان خطأً.

التقطت القلم المكسور. حجر *الأم* استقر في صدرها، ثقيلًا وساكنًا. بجانبه، استقر ثقل السلطة، كثيفًا وثابتًا. الفراغ الذي كان يحددها منذ أن استيقظت في الوحل لم يعد يهتز بالغياب. كان يهتز *بالتراكم* ، التردد المتعدد الطبقات والرنان للأشياء التي فقدت ويجري استردادها، شظية تلو الأخرى، نقش تلو الآخر، شاهد تلو الآخر.

لم تتفرق الجوقة.

استقرت.

انخفضت الأشكال من حولها ، لم تنهار، ولم تتلاشى، بل *استقرت*، بالطريقة التي تستقر بها الأشياء عندما توضع في أماكنها الصحيحة، بالطريقة التي تستقر بها الألواح على الرف عندما يتم ترتيبها بشكل صحيح. ركع البعض في المياه الضحلة، وأجسادهم تغوص في الماء حتى لم يبقَ مرئيًا سوى رؤوسهم وأكتافهم. استلقى آخرون على التلال الصغيرة، وأجسادهم تضغط على الطين، وحوافهم تتلاشى عند ملامستها للطين. وقف القليلون ببساطة حيث كانوا، وتحولت أوضاعهم إلى سكون، وأصبحت أشكالهم جزءًا من المشهد، كما تصبح الأحجار القائمة جزءًا من المشهد ، حاضرة، محسوبة، لم تعد تتحرك ولكنها لم تعد بحاجة إلى الحركة.

وبينما استقروا، تركوا آثارًا.

ليست آثار أقدام ، ذلك النوع من العلامات التي يتركها أي جسد في الطين عندما يمشي أو يقف أو يركع. بل شيء أكثر تعمدًا، وأكثر تنظيماً، وأكثر *تسجيلاً* .تركت الشخصية التي قدمت إيقاع الخطوات نمطًا من علامات أوتاد في الطين، وهو نفس النمط الذي نقشته نينشار على التلة، كما لو أن فعل التسجيل قد سمح للشخصية بتسجيل نفسها. الشخصية التي قدمت المقطع المتكرر تركت علامتين مطبوعتين في الطمي على حافة الماء، نفس العلامات التي نقشها نينشار، نفس جزء الاسم أو اللقب أو الدعاء الذي كان محفوراً في اللسان وأصبح الآن محفوراً في الأرض. الشخصية التي قدمت زاوية الإمساك تركت علامة مركبة مطبوعة في الطين بالقرب من مجموعة من القصب، وهي نفس الترميز الفني الذي دونته نينشار، ونفس السجل لعلاقة الجسد بأداة كانت في يوم من الأيام مألوفة لدرجة أنها أصبحت غير مرئية.

أصبحت التلة التي ركعت عليها نينشار بمثابة سجل مركزي ، سطح من الطين مغطى بعلامات، محاط بسطوح طينية أصغر مغطاة بعلامات مماثلة، وشكلت المجموعة بأكملها نمطًا لم يكن خريطة تمامًا ولا نصًا تمامًا، بل شيئًا بين الاثنين :*سجل للتسجيل*، وفهرس للشظايا التي تم جمعها وحفظها وإبرازها، وشهادة على حقيقة أن الأشياء كانت موجودة ثم تم محوها، وأنها الآن تُعاد إلى النظام الذي حاول إخفاءها.

تنفس المستنقع.

شعرت بذلك ، انطلاق بطيء وعميق للضغط، ذلك النوع من الانطلاق الذي يأتي عندما يُسمح أخيرًا لشيء كان محتجزًا لفترة طويلة بالاستقرار. تغير الهمهمة في الهواء، وأصبحت أكثر هدوءًا، وأكثر استقرارًا، أقل شبهاً بصوت الأشياء التي تنتظر وأكثر شبهاً بصوت الأشياء *التي تستريح* .سكنت المياه من حولها ، لم تتجمد، ولم تتوقف عن الحركة، بل استقرت في نمط أكثر انتظامًا، وأكثر إيقاعًا، بالطريقة التي تستقر بها المياه عندما يهدأ أخيرًا الريح الذي كان يزعجها. توقفت القصب عن التمايل ووقفت في صفوف متباعدة، وارتفعت سيقانها من الماء كأعمدة معبد، وشكلت قممها مظلة تصفي الضوء الكهرماني إلى خطوط رفيعة متوازية.

وقفت. سقطت المياه من ثيابها الكتانية، داكنة وثقيلة، لتتسرب مرة أخرى إلى الدلتا التي جاءت منها. استقر القلم المكسور في يدها، جذعه أملس بالطين والماء، ورأسه لا يزال صلبًا، لا يزال قادرًا على الضغط في الطين كما يضغط المفتاح في القفل. استقر حجر *الأم* في صدرها، ثقيلًا وثابتًا. بجانبه، استقر ثقل السلطة، كثيفًا وثابتًا. لم يعد الفراغ الذي كان يحدد هويتها يهتز بالغياب. بل كان يهتز بالتراكم ، التردد المتعدد الطبقات والرنان للشهود الذين تم جمعهم وفهرستهم وحفظهم.

نظرت إلى الماء أمامها. كان التيار يسحبها إلى الأعماق ، ليس بشكل درامي، ولا بشكل مرئي، بل بإصرار هادئ لقوة تعرف إلى أين تتجه ولن يوقفها شيء صغير مثل شخص يقف في طريقها. كان الماء الأغمق أمامها، وراء التلال

الصغيرة والقصب والأشكال المتناثرة التي استقرت في الطين. وراء المياه الداكنة، التي أصبحت مرئية الآن لأول مرة من خلال الضباب الخفيف، خط على الأفق ، ليس جدارًا، ولا هيكلًا، بل *حضورًا*، من النوع الذي تتمتع به الجبال، النوع الذي يمكن الشعور به قبل رؤيته، النوع الذي يقول *هذه حدود، هذا عتبة، هذا هو المكان الذي ينتهي فيه شيء ويبدأ آخر.*

هورساغ .لم تكن تعرف الكلمة. كانت تعرف الشكل.

عدلت قبضتها على القلم المكسور. انغرز القصب في راحة يدها المليئة بالندوب، ذلك الضغط المألوف لأداة أصبحت امتدادًا ليدها، جزءًا من جهاز حفظ السجلات الذي كانت عليه ذات يوم وتعود إليه مرة أخرى. لم تعد تمشي وحدها. كان الشهود خلفها، مستقرين في الوحل، آثارهم محفورة في الطين كمدخلات في دفتر الأستاذ، وجودهم مفهرس ومحفوظ ومتاح للاطلاع عليه عندما يحين الوقت لإثبات ما تم إنجازه.

استدارت نحو المياه الأكثر قتامة. استدارت نحو سلسلة الجبال في الأفق. خطت خطوة إلى الأمام، ووجدت قدمها الطمي تحت السطح، والتيار يشد ساقيها بقوته الهادئة والمستمرة.

كان المستنقع يهمهم خلفها ، التردد المتعدد الطبقات والرنان للكورس الذي جمعته، والشهود الذين سجلتهم، والشظايا التي فهرستها وأرشفتها. لم يكن صوت وداع. لم يكن صوت بركة. كان صوت سجل يتم الحفاظ عليه، ونظام يتم دعمه، وشهادة يتم حفظها للحظة التي ستكون فيها مطلوبة.

سارت نحو المياه الأكثر ظلمة. جرّها التيار إلى الأمام. أصبحت سلسلة الجبال في الأفق أكثر حضوراً ببطء، وأكثر وضوحاً، وأكثر «وجوداً»، بالطريقة التي تصبح بها الكلمة أكثر حضوراً عندما تُنقش على لوح بدلاً من مجرد نطقها في الهواء.

لم تنظر إلى الوراء.

الفصل السادس — الحقيقة الأولى

مقتطف مسترجع من أرشيف إداري، المكان مجهول. مركب من الطين، مستقر جزئيًا. تظهر على السطح أضرار تتوافق مع محو متعمد وتصحيح مؤسسي ، تظهر علامات كشط متعددة بأدوات تحت طبقة نقش ثانوية. النسخ التقريبي:

...تم تسجيل الرفض في اليوم الثالث من الدورة الثامنة. الكاتب الذي رفض كان...

[...علامة كشط: حوالي ستة أحرف تم كشطها بشكل منهجي، تظهر تحت الكتابة فوقها]...بموجب مرسوم من صاحب قلم السلطة، سيتم حجب اسم وختم الكاتب الذي رفض، ووظيفته...

...لا. الوظيفة لا تتطلب اسمًا. الوظيفة تتطلب الامتثال. الامتثال لم يكن...

[...طبقة الكتابة الثانية، مقروءة جزئيًا]...العاقبة ليست عقابًا. العاقبة هي التصحيح. يتم تصحيح الكاتب الذي رفض. يتم تصحيح السجل. يتم تسجيل التصحيح والسجل هو...

[ينتهي اللوح عند الهامش المصحح]

الصوت تغير.

كانت تمشي منذ فترة ، لم تكن تعرف كم من الوقت، ولم تحسب الخطوات، ولم تنتبه لمرور الضوء الكهرماني وهو يتحول إلى الألوان الداكنة للغسق الذي يقترب. الشهود الذين سجلتهم كانوا خلفها، مستقرين في الوحل، آثارهم محفورة في الطين كمدخلات في دفتر حسابات. كان التيار يشد ساقيها، بثبات وإصرار، جاذباً إياها نحو المياه الأكثر قتامة حيث تنتظر سلسلة الجبال في الأفق.

ثم تغيّر الطنين.

ازداد كثافة. بدأ الرنين المتعدد الطبقات للجوقة التي جمعتها ، التردد المتراكم للشهود المفهرسين والمحفوظين ، في ضغط نفسه، حيث تقترب خيوط الصوت المنفصلة من بعضها البعض، متداخلة، تندمج في شيء أكثر كثافة، وأثقل، وأكثر حضوراً. بدا أن الهواء نفسه يستجيب، يزداد كثافة، يحمل ثقلًا يضغط على بشرتها مثل الضغط الذي يسبق العاصفة، ولكن دون التحرر الذي توفره العواصف في النهاية.

تغيرت الرائحة. طين رطب ونحاس مؤكسد ، كانت تشم هذه الروائح منذ دخلت المستنقعات، الرائحة المعدنية للماء الذي ظل ساكنًا لفترة طويلة جدًا. لكن الآن كان هناك شيء آخر تحتها، شيء أكثر حدة، وأكثر تحديدًا: الطعم

المعدني الخافت لأدوات الكشط، ذلك النوع من الأدوات المستخدمة لإزالة النقوش من الطين، النوع الذي يترك علامات كشط مثل تلك التي رأت في سجلات الموظفين، منهجية ومتعمدة وبدون حقد.

بدأت الهمسات.

ليست همسات المخلوقات غير المكتملة ، تلك كانت مجزأة، جزئية، أصوات كائنات تحاول تذكر كيفية الكلام. كانت هذه مختلفة. كانت هذه ذات *تركيب* .تحولت الأصوات المتداخلة إلى شظايا من لغة المراسيم، الإيقاع الرسمي المتكرر للإعلان الإلهي المترجم إلى مصطلحات بشرية:

...بسلطة من يمسك بقلم التسجيل، سيتم نقش ما يلي وسيكون النقش دائمًا ...

...يجب على الكاتب المعين لهذه المهمة أن ينسخ المرسوم كما يُنطق، دون تغيير، دون حذف، دون...

...سيتم تسجيل عدم الامتثال لتوجيهات النسخ وسيتم إدخال السجل في السجل الإداري وسيكون السجل...

جاءت ضربات القلم بعد ذلك. غير مرئية ، لم يكن هناك ما يمكن رؤيته في الهواء الكثيف، ولا شخصية تحمل أداة، ولا سطح يتم تدوينه ، لكنها مسموعة، الخدش الجاف الإيقاعي للقصب على الطين، صوت العلامات التي تُضغط في الطين الرطب بضغط دقيق ومدروس من السلطة المؤسسية. كان الإيقاع ثابتًا، لا هوادة فيه، من النوع الذي لا يتسارع ولا يتباطأ بل يستمر ببساطة، كما يستمر نبض القلب، وكما يستمر النهر، وكما يستمر النظام بمجرد أن يبدأ في الحركة ولا يوجد سبب لتوقفه.

وصل الضغط إلى صدرها.

لم يقترب. لم يتصاعد. كان ببساطة *موجوداً*، كما يكون الوزن موجوداً ببساطة عندما تقف في قاع مسطح مائي عميق ، حاضر، منتشر، لا مفر منه. استقر حجر *الأم* في جوف صدرها، ثقيلًا وساكنًا. بجانبه، استقر ثقل السلطة، كثيفًا وثابتًا، الذاكرة الهيكلية لمنصب كان لها يومًا ما. تجاوز الضغط كليهما، انزلق عبر الحجارة التي كانت قد رسّتها بالفعل، باحثًا عن شيء أعمق، شيء لم يظهر بعد، شيء يكمن تحت الشظايا التي استرجعتها والشهود الذين جمعتهم.

وقد وجد ما كان يبحث عنه.

تحركت يدها اليسرى أولاً. لم تكن حركة اختارتها ، بل حركة *حدثت*، بالطريقة التي تحدث بها الحركات في الأحلام، حيث يتصرف الجسد بناءً على تعليمات لم يكتبها العقل. انحنت أصابعها، مكونة شكلاً لم تتعرف عليه، والإبهام يضغط على راحة اليد، والمعصم ينحني بزاوية معينة، والساعد يتحمل مقاومة لم تكن موجودة جسدياً ولكنها لم تكن أقل واقعية بسبب ذلك. شعرت بشكل ختم احتفالي في قبضتها ، ليس الختم نفسه، بل *ذكرى* شكله،

بالطريقة التي تتذكر بها اليد شكل أداة حملتها عشرة آلاف مرة، بالطريقة التي تتذكر بها الأصابع الوزن والتوازن المحددين لجسم أصبح امتداداً للجسد.

جاءت المقاومة بعد ذلك. ليس في يدها ، بل في *معصمها* .توتر محدد وموضعي، من النوع الذي يتراكم عندما يُطلب من العضلة أن تفعل شيئًا لا تريد فعله، النوع الذي يتراكم عندما يرفض الجسد الامتثال للتعليمات التي صدرت إليه. حافظ معصمها على زاويته في مواجهة المقاومة، وشدت عضلات ساعدها، وبرزت الأوتار تحت الجلد، وأصبح الذراع بأكمله هيكلاً من المقاومة المتحكمة، آلية مصممة لقول «لا» دون الكلام، وللرفض دون الحركة، وللحفاظ على الموقف في مواجهة الضغط الذي يطالب بالتغيير.

ملأ أذنيها صوت الصرير الجاف للقلم الإلهي. لم يكن ذلك صوت ضربات القلم التي كانت تسمعها في الهواء ، بل شيء آخر، شيء أقرب، شيء جاء من الداخل لا من الخارج، ذكرى صوت صدر في غرفة لا تستطيع رؤيتها، في لحظة لا تستطيع تذكرها، في سياق لا تستطيع إعادة بنائه. صرير القلم. الأمر الصادر. تشكلت الكلمات في صيغة لم تكن بحاجة إلى فهمها لتتعرف عليها ، الإيقاع الرسمي المتكرر للإعلان الإلهي، المترجم إلى مصطلحات بشرية، المطالب بالنسخ، المطالب بالنقش، المطالب بأن تأخذ الكلمات وتطبعها في الطين وتجعلها دائمة وحقيقية.

أجاب الرفض في ساعدها.

"لا".

خرجت الكلمة من حلقها قبل أن تتمكن من منعها. لم تكن صرخة ، ولا حتى جملة. بل صوت. صوت جسد يقول «لا» بالطريقة التي يقول بها الجسد «لا» عندما يكون العقل قد قرر بالفعل، عندما يكون الاختيار قد اتخذ بالفعل، عندما يكون الشيء الوحيد المتبقي هو إعطاء الرفض شكلاً ماديًا. فتحت فمها. خرج الهواء من رئتيها. علقت المقطع في الجو الكثيف كختم يُضغط على الطين الرطب.

تبع ذلك العاقبة.

البرودة.

ليس برودة الماء أو الريح ، بل برودة المعدن، برودة الأدوات المصممة لغرض محدد، برودة أداة الكشط التي ضغطت على ختم الاسم الذي كانت ترتديه ذات يوم وبدأت في إزالته. شعرت به في صدرها ، ليس في التجويف، بل *خلفه* ، في المكان الذي ترسخت فيه الهوية لتسجل، حيث ارتبطت الذات بالنظام الذي منحها الشكل والوظيفة والوجود. كانت الأداة دقيقة. منهجية. لم تقطع أو تمزق أو تدمر. بل *ضغطت* ، ضاغطة طين ختم اسمها إلى الداخل، دافعة المادة إلى داخل نفسها، مزيلة النقش ليس بقطعه بل بدفعه إلى الزوال، كما يدفع الكاتب الهواء من الطين قبل تشكيله، وكما يزيل النظام المتغيرات التي تهدد تماسكه.

لم يكن هناك أي حقد في البرودة. كان ذلك هو الجزء الأسوأ ، أو ربما الجزء الأكثر دقة، الجزء الذي جعل الأمر *إدارياً* بدلاً من شخصي. لم تكن الأداة تكرهها. لم تكن الأداة تهتم بها. كانت الأداة تؤدي وظيفة، تنفذ إجراءً، تتبع توجيهًا صدر عن شخص لديه سلطة إصدار التوجيهات والإرادة لرؤيتها تُنفذ. شعرت بالحكم يُصدر ، ليس بالكلمات، بل في *البنية*، بالطريقة التي يُصدر بها الحكم عندما يُنقش على لوح بدلاً من أن يُنطق في الهواء: دائم، لا يمكن إنكاره، جزء من السجل منذ اللحظة التي اكتمل فيها.

تم تسجيل عدم الامتثال. بدأ التصحيح. أعيد تعيين الوظيفة. تم ضغط ختم الاسم. أُزيلت الهوية من السجل الإداري. تم إنهاء التواجد في النظام.

لم يملأ الفراغ في صدرها. بل *تفاقم*.

تحرك حجر *الأم* .تحول ثقل السلطة. وبجانبها ، شعرت به يستقر، بالطريقة التي يستقر بها الحجر عندما يجد المكان الذي كان مقدراً له أن يشغله ، ثقل ثالث اتخذ مكانه في الفراغ. لم تكن كلمة هذه المرة. لم تكن بنية. بل *سجل* .الإدخال المسجل لتصحيحها الخاص، التوثيق الإداري لمحوها الخاص، الدليل على أن ما حدث لها لم يكن تفسخاً ولا حادثاً ولا أضراراً جانبية لنظام ينهار.

كان عقاباً.

لم يكن فقدان ذاكرتها جرحاً. كان حكماً. تم حذفها لعدم الامتثال. تم محو اسمها من السجلات كما تم محو الأسماء من سجلات الموظفين في مجمع الأرشيف، بنفس الدقة المنهجية، وبنفس الإزالة المنظمة للمعلومات التي اعتُبرت غير ضرورية لعمل النظام. لم تكن ضحية للفوضى. كانت ضحية *للنظام*،النظام المؤسسي المحدد الذي أدار الحقيقة عن طريق إزالة المتغيرات التي هددت تماسكها.

وقفت في الماء. استمر الضغط. واصلت ضربات القلم حفيفها الجاف والمنتظم. كانت شظايا الوصايا تهمس في الهواء من حولها، متكررة ورسمية وغير مبالية بالثقل الذي استقر للتو في صدرها.

"تم التسجيل، "قالت.

كانت الكلمة مسطحة ودقيقة ووظيفية ، من النوع الذي يستخدمه الكاتب للإقرار بأن إدخالاً قد تم، وأن سجلاً قد تم تحديثه، وأن إجراءً قد اكتمل. لم يكن قبولاً. لم يكن مقاومة. كان *تسجيلاً* ، فعل الاعتراف بأن شيئاً ما قد حدث وتسجيله في المكان الوحيد المتبقي لها للتسجيل: الفراغ في صدرها، حيث استقرت الحجارة الآن بثقلها المتراكم، ثلاث منها، تتراكم، لا تتوازن.

تراجع الضغط.

ليس بشكل درامي ، ليس كالتحرر المفاجئ لعاصفة تنفجر أو سد ينهار. انسحاب، تدريجي ومدروس، بالطريقة التي ينسحب بها المد عندما تتغير جاذبية القمر، بالطريقة التي تنتهي بها المراجعة عندما تنتهي المراجعة، بالطريقة التي يتراجع بها النظام عندما ينتهي النظام من القيام بما صُمم من أجله. تضاءلت الهمسات، وفقدت شظايا المرسوم كثافتها، وتلاشت صياغتها لتعود إلى الهمهمة المحيطة بالمستنقع. تلاشت ضربات القلم، وأصبح الخدش الجاف للقصب على الطين أكثر هدوءًا، وأبعد، حتى أصبح من الصعب تمييزها عن الأصوات الأخرى للمياه والرياح والرواسب المستقرة.

تصفى الهواء. ليس تمامًا ، كان هواء المستنقع لا يزال كثيفًا، ورطبًا، ولا يزال يحمل الرائحة المعدنية للطين الرطب والنحاس المؤكسد ، لكن الضغط المحدد والموضعي الذي كان يضغط على صدرها قد زال، تاركًا وراءه سكونًا لم يكن فارغًا بل *مصفى*، مثلما تصفى الغرفة عندما يغادر الحشد ويملأ الفراغ الذي كان ممتلئًا بالأجساد بدلاً من ذلك الوجود البسيط للجدران والأرضية والسقف.

وقف على حافة المياه الضحلة.

دوموزي،آش. الصبي الذي ظهر عند خط الماء وتكلم بجمل متقطعة ثم تلاشى في الهواء الرطب. كان هناك مرة أخرى ، أو ربما كان هناك طوال الوقت، لم تستطع أن تحدد، فقد أصبح التمييز بين الظهور والحضور غير واضح في هذا المكان حيث تظهر الأشياء من القصب والمياه دون سابق إنذار أو تفسير. لكن شيئًا ما كان مختلفًا. كانت حوافه أكثر حدة. الضبابية التي كانت تحيط به عندما رأته لأول مرة ، الطريقة التي يتلاشى بها الحبر على الطين غير المحروق، والطريقة التي تنعم بها الأشكال عندما لا يستطيع الهواء الاحتفاظ بها ، تقلصت الآن، وتراجعت، وانضغطت إلى اهتزاز خافت على أطراف شكله، مثل ضباب الحرارة فوق الطين المحروق، مرئي لكنه غير محدد.

سمعت صوته. أكثر ثباتًا من ذي قبل ، ليس قويًا، ولا واضحًا، بل *أكثر ثباتًا* ، كما يثبت الصوت عندما يتم معالجة جزء مما كان يجعله يرتجف، وكما يثبت الأساس عندما يجد الوزن الذي يحمله توزيعه الصحيح.

"لقد حافظتِ على الختم جافًا" .

كانت الكلمات من نفس نوع الشذرات التي نطق بها من قبل ، محددة، عادية، متجذرة في تفاصيل لم تتذكرها بعد. لكنها استقرت بشكل مختلف الآن، ليس كأصداء بعيدة بل *كإحداثيات* ، علامات تشير إلى موقع في أراضي تاريخها الخاص الذي لم تتمكن بعد من رسم خريطة له. الختم. جاف. حافظت عليه. فعل قامت به، خيار اتخذته، لحظة في الحياة لا تستطيع تذكرها كانت مهمة بما يكفي لتُحفظ في ذاكرة صبي لم يكن موجودًا إلا في شظايا تلك الحياة.

"تركتِ النهر يأخذ الباقي" .

سجلت هذا. النهر. الباقي. كل ما فُقد عندما حُفظ الختم جافاً ، كل ما تم التضحية به، أو الإفراج عنه، أو السماح له بالانجراف بعيداً لأنه لم يكن من الممكن السماح للختم بأن يبتل. لم تكن تعرف ماذا يعني ذلك. لم تكن بحاجة إلى معرفة ماذا يعني ذلك. كانت بحاجة فقط إلى تسجيل أنه قيل، وأنه جزء من السجل، وأنه احتل مكانة في الوزن المتراكم للحجارة في صدرها.

لم يقترب. لم يقدم لها الراحة. وقف على حافة المياه الضحلة، حوافه ثابتة، عيناه مثبتتان عليها بنفس الاهتمام الصبور والمهني الذي أبداه منذ اللحظة الأولى التي رأت فيه ، اهتمام شخص أدرك ما كان ينظر إليه وانتظر أن يلحق بما كان يعرفه بالفعل. كان ثباته وظيفة لتكاملها. كلما تحملت المزيد من الحقيقة، أصبح أكثر صلابة. كانت الأحجار في صدرها بمثابة مراسي؛ وكان هو الشيء الذي سمحت تلك المراسي بوجوده.

نظرت إليه. نظر إليها. لم يتحرك أي منهما.

استمر السكون.

ثم تغير شيء ما ، ليس في الهواء، ولا في الماء، ولا في الضغط الذي كان قد انحسر بالفعل. في الداخل. في المكان الذي استقرت فيه الأحجار، في الفراغ الذي لم يصبح فارغًا بل *مشغولًا* ، في الوزن المتراكم *الأم والسلطة والرفض* . ظهرت شظية ثانوية ، ليست كلمة، ولا بنية، ولا مدخلاً مسجلاً، بل شيء أصغر، وأكثر تحديداً، وأكثر *تكلفة* .

وجه.

ليس وجهًا تستطيع رؤيته ، بل وجهًا تستطيع *الشعور* به، بالطريقة التي كانت تشعر بها بشكل الختم الاحتفالي في قبضتها، بالطريقة التي كانت تشعر بها بالمقاومة في معصمها، بالطريقة التي كانت تشعر بها ببرودة أداة الكشط التي تضغط على ختم اسمها. كان الوجه عبئًا، وجودًا، ثقلًا يشغل نفس المساحة التي تشغلها الأحجار الأخرى لكنه بدا مختلفًا ، أقل ثباتًا، أكثر تقلبًا، ذلك النوع من الثقل الذي يتحرك عندما تنظر إليه مباشرة، الذي يتلاشى عندما تحاول تثبيته.

نبضة. توقفت.

لم تكن الشظية صورة. كانت *توقفاً* ، الإحساس المادي المحدد بنبضة كانت تتحرك ثم توقفت، بالطريقة التي يتوقف بها الصوت عندما يُسكت الشيء الذي يصدره، بالطريقة التي يتوقف بها الإيقاع عندما يُقطع الشيء الذي يحافظ عليه. كانت النبضة تخص شخصاً ما. وكان لهذا الشخص وجه. كان الوجه ينظر إليها ، أو ينظر في اتجاهها، أو ينظر إلى الختم في يدها، أو ينظر إلى اللوح الطيني أمامها الذي يحمل المرسوم الذي رفضت نسخه. لم تستطع رؤية الوجه. لكنها شعرت أنه كان هناك.

صوت. ليس صوت الصبي. ليس صوت المرسوم. شخص آخر.

"إذا رفضتِ، ستُغلق طرق الحبوب. وستجوع الأحياء الخارجية".

وصلت الكلمات بدون سياق، بدون متحدث، بدون الثقل البنيوي للأجزاء الأخرى التي استرجعتها. لم يتم تسجيلها. لم يتم تثبيتها. كانت تطفو في جوف صدرها كالرواسب في الماء، متغيرة، غير مستقرة، ذلك النوع من المعلومات الذي لا يمكن حفظه لأنه لا يوجد مكان في النظام ينتمي إليه. إذا رفضت، ستُغلق طرق الحبوب. إذا رفضت، ستجوع الأحياء الخارجية. إذا رفضت، فإن الناس الذين ليسوا هي، الذين لا تعرفهم، الذين لا تستطيع رؤيتهم أو تسميتهم أو تذكرهم ، سيتوقف الناس عن التنفس بالطريقة التي توقف بها التنفس الذي كانت تشعر به.

لم تكن تعرف ما إذا كان ذلك حقيقياً. لم تكن تعرف ما إذا كان الصوت قد تحدث في الغرفة التي كانت تحمل فيها الختم، أم أنه كان انعكاساً للضغط الذي انحسر للتو، أم أنه كان تشويهاً للسجل، جزءاً تضرر أثناء الكشط، دليلاً لا يمكن الوثوق به لأن النظام الذي أنشأه كان هو نفسه النظام الذي حاول تدميرها.

لم تكن تعرف سوى الحقيقة الهيكلية: لم يكن رفضها نظيفًا. كان له عواقب. كان الخيار الذي اتخذته ، الـلا التي خرجت من حلقها، والمقاومة في ساعدها، والموقف الذي حافظت عليه في مواجهة الضغط الذي طالبها بالتغيير ، قد كسر شيئًا. كلف شيئًا. أوقف أنفاسًا ما كان ينبغي أن تتوقف، وأغلق مسارات ما كان ينبغي أن تغلق، وجوّع رعايا ما كان ينبغي أن يجوعوا.

احتلت الصلاحية والتكلفة نفس المساحة. لم تتوازن. بل *تفاقمت*.

وقفت في الماء. ساد السكون حولها، واضحًا وكثيفًا، لم يعد الهواء يضغط بل *حاضرًا*، ذلك النوع من الحضور الذي يتبع حدثًا مهمًا، النوع الذي يقول *لقد حدث شيء هنا وقد تغير المكان بسببه* .وقف دوموزي،آش على حافة المياه الضحلة، حوافه ثابتة، وشكله أكثر حضوراً مما كان عليه، والارتعاش الخافت على أطرافه تقلص إلى همسة من عدم اليقين بدلاً من ضبابية الانحلال. كانت عيناه ثابتتين عليها، صبورتين، محترفتين، عيون شخص يراقب عملية تتكشف وليس لديه حاجة إلى التعجيل بها لأن العملية ستتكشف بوتيرتها الخاصة بغض النظر عن نفاد صبره أو عدمه.

أصبح الفراغ في صدرها يحمل الآن ثلاثة أحجار *.الأم .السلطة .الرفض* .لم تكن هذه الأحجار متوازنة ، بل *تراكمت*، فكل واحدة منها أضافت ثقلها إلى الباقي، وكل واحدة منها ضغطت أعمق في الفراغ الذي كان خالياً عندما استيقظت في الوحل، والذي امتلأ ببطء وتدريجياً بآثار متراكمة لحياة لا تتذكر أنها عاشتها. وتحت الحجارة، عائمة في الفراغات بينها، كانت الشظية التي لم تكن حجراً ، الوجه الذي لم تستطع رؤيته، النفس الذي توقف، الصوت

الذي تحدث عن طرق الحبوب والأجنحة الجائعة ، تتحرك ومتقلبة، رافضة أن تستقر، رافضة أن تُصنف، رافضة أن تصبح جزءاً من السجل بالطريقة التي أصبحت بها الشظايا الأخرى جزءاً من السجل.

نظرت إلى يديها. استقر القلم المكسور في راحة يدها اليمنى، جذعه داكن بالماء والطين، ورأسه لا يزال صلبًا، لا يزال قادرًا على الضغط في الطين كما يضغط المفتاح في القفل. كانت يدها اليسرى متدلية إلى جانبها، والأصابع لا تزال ملتوية بالشكل الذي كان يمسك الختم الاحتفالي، والمعصم لا يزال بزاوية حافظت على المقاومة، والساعد لا يزال يحمل توتر الرفض الذي تم في غرفة لم تستطع رؤيتها وكلفها شيئًا لم تستطع قياسه.

رفعت رأسها. كان خط الجبال مرئيًا من خلال الضباب الخفيف ، أغمق الآن مما كان عليه، أقرب، أكثر حضورًا، كما تصبح الوجهة أكثر حضورًا مع تقلص المسافة بين المسافر والوجهة. هورساغ. لم تكن تعرف الكلمة. كانت تعرف الشكل. كانت تعرف أن الرفض الذي أبدته ، الـلا التي خرجت من حلقها، والمقاومة التي احتفظت بها ساعدها ، كان مرتبطًا بذلك الشكل، وأن المرسوم الذي رفضت نسخه قد جاء من اتجاه ذلك الجبل، وأن القلم الإلهي الذي ما زالت تسمع خدشه في أذنيها كان يحمله يد تحتل الفراغ بين السماء والأرض الذي يحدده الجبل.

عدلت قبضتها على القلم المكسور. انغرز القصب في كفها المليء بالندوب، ذلك الضغط المألوف لأداة أصبحت جزءًا منها، وستظل جزءًا منها حتى تنكسر بشكل لا يمكن إصلاحه أو تنكسر هي.

كان التبرير من حق أولئك الذين يشككون. أما الحزن فكان يتطلب نوعًا مختلفًا من الوقت. تركت الشظية تستقر. لم يتطلب منها السجل أن تبكي. بل تطلب منها أن تسجل. كانت هذه أسئلة لا يمكن الإجابة عليها بالبيانات التي لديها. كانت أسئلة قد لا تُجاب أبدًا. كانت عبئًا سيتعين حملها دون حل، كما تُحمل الحجارة في صدرها دون راحة، وكما حُمل الصبي على حافة المياه الضحلة دون تفسير.

سجلت العبء كبيانات. كان الوجه بيانات. كان التنفس بيانات. كان الصوت بيانات. كان الرفض بيانات. كانت النتيجة بيانات. كان الفراغ في صدرها دفتر حسابات، وكان الدفتر يُملأ، ولم يكن ملء الدفتر عملية يمكن إيقافها أو عكسها أو التفاوض بشأنها ، كان ببساطة ما يحدث عندما يتم إعادة بناء سجل، جزءًا تلو الآخر، حجرًا تلو الآخر، ثقلًا تلو الآخر.

التفتت نحو المياه الأعمق. جذبها التيار من ساقيها، ثابتًا ومستمرًا، جاذبًا إياها نحو خط الجبال في الأفق. وقف دوموزي،آش خلفها، حوافه ثابتة، وشكله أكثر حضورًا مما كان عليه، شاهدًا على الوزن الذي تحمله والوزن الذي أصبحت عليه. الشهود الذين نقشتهم كانوا يرقدون خلفهما، مستقرين في الوحل، آثارهم مطبوعة في الطين كمدخلات في دفتر السجلات، وجودهم مفهرس ومحفوظ ومتاح للاطلاع عليه عندما يحين الوقت لإثبات ما تم إنجازه.

خطت خطوة إلى الأمام. وجدت قدمها الطمي تحت الماء. جذبها التيار. وانتظر خط الجبال.

استمرت الحركة. وتعمق العبء.

الفصل السابع — هورساغ: العالم المفكك

قطعة تم العثور عليها في الطبقات التحتية، على حدود هورساغ. مركب طيني، تظهر عليه طبقات ضغط واضحة. التلف السطحي يتوافق مع عملية طبقات متعمدة ، طبقات متعددة من النقوش تم ضغطها ودفنها تحت السجل الرسمي. النسخ التقريبي:

...تم وضع الأساس فوق نقش سابق. لم يتم تدمير النقش السابق. كان...

[...طبقة مضغوطة: حوالي اثني عشر حرفًا تم دفعها تحت السطح، يمكن قراءتها جزئيًا من خلال ترقق الطين فوقها]...كان التقسيم ضروريًا من أجل الاستقرار. بدون التقسيم، لم يكن السجل ليتم...

...تكلفة النظام غير مرئية من الأعلى. تكلفة النظام مرئية فقط في المقطع العرضي، حيث الطبقات...

[...طبقة مضغوطة ثانية، أعمق، وأكثر تلفًا]... لم يخلقوها. لقد انفصلوا. استلزم الانفصال قمع ذكرى الاتحاد. تم تسجيل القمع. كان السجل...

[ينتهي اللوح عند الحافة الطبقية]

حررتها المياه.

ليس تدريجيًا ، بالطريقة التي تنحسر بها المياه عندما ترتفع الأرض ببطء، خطوة بخطوة، أو بالطريقة التي ينحسر بها النهر عندما ينتشر عبر السهول الفيضية. بل فجأة. في خطوة واحدة، كان الماء يصل إلى فخذيها، يجذبها بتيار مستمر كان قد قادها عبر المستنقعات. وفي الخطوة التالية، أصبحت الأرض صلبة وجافة، وتلاشى الطين ليحل محله حجر كان ينتظر تحت الطمي لفترة أطول مما يستطيع النهر أن يتذكر. وقفت على عتبة شيء لم يكن رطباً، ولم يتبعها الماء.

رفعت رأسها.

كانت الجبال خطًا في الأفق ، حضورًا، وثقلًا، واتجاهًا كان يجذبها كما كان التيار يجذب ساقيها. الآن لم تعد خطًا. بل أصبحت جدارًا. امتدادًا عموديًا من الصخور الأساسية المنصهرة والطين المتحجر والحجر المنحوت الذي يرتفع من الأرض المستوية كشفرة، يقطع السماء المستوية إلى نصفين، ويفصل السقف الأبيض في الأعلى عن المياه المظلمة في الأسفل. لم يكن تشكيلًا جيولوجيًا ، لم تكن هناك طبقات طبيعية، ولا أنماط تآكل، ولا علامات على العمل البطيء والصبور للرياح والمياه. كان *بناءً*، بالطريقة التي كانت بها الزقورة بناءً، والطريقة التي كان بها الجدار بناءً، والطريقة التي كانت بها الحدود بناءً عندما قرر شخص ما أن شيئين لم يعد ينبغي أن يكونا الشيء نفسه، وبنى هيكلاً لإبقائهما منفصلين.

بدأ المسار عند قدميها. لم يكن ممرًا ، بل *تسلسلًا* .درجات حجرية، صقلتها الأقدام حتى أصبحت ناعمة، ترتفع بزاوية محسوبة توحي بالتعمد لا بالصدفة. كانت كل درجة محددة عند حافتها بأختام أسماء منقوشة، من نفس النوع الذي رأت آثار كشطه في سجلات الموظفين، نفس الإزالة المنهجية للهوية التي طُبقت على العاملين في مجمع الأرشيف. لكن هنا لم تُزال الأختام من الألواح. بل أُزيلت من العتبة نفسها، محفورة في الحجر كما لو أن الأشخاص الذين عبروا هذا الحد طُلب منهم ترك أسمائهم وراءهم، ليصبحوا مجهولي الهوية قبل أن يُسمح لهم بالصعود.

صعدت.

تغير الهواء مع صعودها. تلاشت رطوبة المستنقعات، وحل محلها شيء خفيف وجاف، من النوع الذي يوجد في المرتفعات، الذي يحمل وزنًا أقل ودفئًا أقل ورائحة عضوية أقل تتراكم في الأماكن التي يلتقي فيها الماء والنباتات. أفسحت رائحة المستنقعات المجال لرائحة الحجر المطحون والطمي المتحجر ، الرائحة المعدنية للصخور التي تم كسرها وتشكيلها وتركيبها في مكانها، ذلك النوع من الصخور الذي يحمل آثار الأدوات بدلاً من آثار الزمن. وتحت ذلك، حملته الرياح الخفيفة التي كانت تهب عبر سطح الجبل، صوت: إيقاعي، بعيد، ضربة الإزميل على الحجر، تتكرر على فترات لا توحي بالعمل بل *بالصيانة* ، العمل المستمر للحفاظ على هيكل سليم.

لم تخفف الأحجار في صدرها من ثقلها وهي تتسلق *.الأم .السلطة .الرفض* .ظلوا جالسين في الجوف الذي استقروا فيه، ثقيلي الوزن وحاضرين، ولم يقل وزنهم بسبب تغير الارتفاع أو ندرة الهواء. لم يصبح حملهم أسهل. بل أصبحوا *ثقلًا موازنًا* ، ذلك النوع من الأثقال الذي يثبت بدلاً من أن يثقل، الذي يثبت بدلاً من أن يجر، الذي يسمح للجسد بالصعود دون أن يسحبه إلى الوراء الفراغ الذي لولا ذلك لكان هو ما يحدده.

استمرت الخطوات. استمرت العتبات. كان كل منها متشابهاً: حجر متآكل، أختام مضغوطة، بقايا خافتة لأشخاص عبروا وتركوا أسماءهم وراءهم. لم تتوقف عند أي منها. لم تنظر إلى الأختام. صعدت بخطى متأنية ومدروسة لشخص يدرك أن الصعود ليس رحلة بل إجراء، سلسلة من الحركات الرسمية التي تؤدي إلى نتيجة محددة سلفاً، مثلما يتحرك قلم الكاتب عبر الطين بنمط حدده النظام الذي يخدمه الكاتب.

انفتحت العتبة في الطابق الأوسط أمامها. كان أوسع من البقية، ولم يكن عليه أختام مضغوطة فحسب، بل نقوش منحوتة أيضاً ، الصيغة الرسمية المتكررة للمرسوم الإلهي، ذلك النوع من اللغة الذي يضع الحدود ويفرض الامتثال ويجعل ما قرره أصحاب السلطة قراراً دائماً. كان بإمكانها قراءة النقوش. لم تكن بحاجة إلى قراءتها. كانت تعرف ما تقوله. كانت تقول *توقفي* .كانت تقول *أثبتي هويتك* .كانت تقول *أثبتي أن لك الحق في التواجد هنا* .

ثلاثة أشخاص وقفوا عند العتبة.

لم يكونوا ما توقعت.

لم تكن تتوقع أي شيء ، التوقع يتطلب ترقبًا، والترقب يتطلب إطارًا مرجعيًا، والإطار المرجعي لما ينتظر عند عتبة المستوى الأوسط لفاصل كوني لم يكن موجودًا في جوف صدرها أو في الشظايا التي استرجعتها. لكن لو كانت تتوقع، لكانت توقعت شيئًا وحشيًا. شيئًا مدرعًا. شيئًا يشع بحضور محدد وساحق للقوة الإلهية، بالطريقة التي وصفت بها القصص الآلهة وخدمهم، بالطريقة التي استدعت بها الطقوس كائنات لا يمكن النظر إليها مباشرة.

لم تكن هذه هي تلك الكائنات.

كانوا يرتدون ملابس من الكتان. ملابس بسيطة، خالية من الزخارف، من نفس النوع الذي كان يرتديه عمال المعبد في أوروك، ونفس النوع الذي كان يرتديه الكتبة المجهولون، ونفس النوع الذي كان يرمز إلى الوظيفة لا إلى الهوية. كانت وجوههم ناعمة ، ليست شابة، وليست عجوزة، بل *خالية من العلامات*، مثلما يكون الطين ناعماً قبل أن يُنقش عليه، ومثلما تكون اللوحات الناعمة قبل أن تلمسها القلم. لم تكن لديهم ندوب، ولا خطوط، ولا ملامح فردية تميز أحدهم عن الآخر. كانت وجوه مصممة لتُقرأ على أنها *وظيفية*، لتعبّر عن المنصب بدلاً من الشخص.

كانوا يحملون أدوات. ليست أسلحة ، بل أدوات. أقلام من البازلت المحروق، كثيفة وداكنة، من النوع الذي يمكنه أن يضغط بعمق في الحجر وكذلك في الطين. قضبان قياس من العظام المصقولة، ناعمة ودقيقة، من النوع الذي يمكنه تحديد ما إذا كان السطح مستوياً، وما إذا كان الحد صحيحاً، وما إذا تم تجاوز العتبة بشكل صحيح. لم تكن هذه أدوات محاربين. كانت أدوات مدققين.

تحدث الشخص الرئيسي.

"تصريح رسمي للمرور عبر العتبة المتوسطة".

كان الصوت رتيباً ودقيقاً، صوت شخص قال هذه الكلمات مرات عديدة من قبل وسيقولها مرات عديدة بعد ذلك، صوت إجراء تم حفظه وتكراره حتى لم يعد يتطلب تفكيراً، ولا عاطفة، ولا تفاعلاً مع الشخص الموجهة إليه. كانت الصياغة رسمية، متكررة ، لغة المرسوم، مترجمة إلى لغة الاستجواب، ذلك النوع من اللغة الذي يؤسس للسلطة من خلال المطالبة بإثبات تلك السلطة.

"أظهر ختم الوظيفة الموكلة إليك أو هويتك المسجلة".

تكلم الشخص الذي على اليسار. نفس الصوت. نفس الإيقاع. نفس الغياب لأي شيء يمكن أن يُسمى شخصياً.

"تأكيد الامتثال لبروتوكولات المرور كما هو محدد في السجل التأسيسي، القسم السابع، الفقرة الفرعية الثالثة، الفقرة،"

لم تتكلم.

مرت من أمامهم،ثلاث خطوات، محسوبة، متعمدة، بنفس الوتيرة التي استخدمتها لتسلق الجبل،وتوقفت عند حجر العتبة. كان الحجر بارداً تحت يدها. كان السطح أملسًا، مصقولًا بمرور أيدي لا حصر لها، وأقدام لا حصر لها، وأجساد لا حصر لها وقفت حيث تقف هي، وطُلب منها إثبات أن لها الحق في التواجد هناك. امتدت النقوش المنحوتة على طول حافته، بنية لغوية رسمية للحدود والامتثال، لغة تقول *لا يجوز لك المرور حتى يتم التحقق من هويتك*.

ضغطت براحة يدها المليئة بالندوب على الحجر.

سجل الحجر ذلك.

شعرت به ، تحول في المادة تحت يدها، تغيير في الطريقة التي كان الحجر يثبت بها، الطريقة التي يتحول بها اللوح عندما يضغط عليه القلم ويقبل الطين البصمة. تردد ثقل السلطة في صدرها، ليس بصوت بل *بالاعتراف*، بالطريقة التي يتردد بها الختم عندما يُضغط على الطين الرطب ويقر الطين بأن الختم له الحق في التواجد هناك. الحجارة التي كانت تحملها ،*الأم*، *السلطة*، *الرفض*، لم تكن دليلاً على الهوية. كانت دليلاً على *المركز* .كانت الوزن المتراكم لوظيفة تم محوها ولكن لم تُدمَّر، مكان في النظام تم حذفه من السجل ولكنه لم يتوقف عن الوجود.

تنحى المنفذون جانباً.

ليس بسرعة. ليس بشكل درامي. بحركة متأنية ومدروسة لموظفين يتبعون إجراءً تم تشغيله بواسطة الإدخال الصحيح. تحركت الشخصية المركزية إلى اليسار. تحركت الشخصية اليسرى إلى اليمين. بقيت الشخصية اليمنى في مكانها، وعيناها مثبتتان على المكان الذي كانت تقف فيه، كما لو كانت تسجل المرور في سجل سيتم الرجوع إليه لاحقًا، عندما يحتاج شخص ما إلى معرفة من عبر ومتى، وما إذا كانت البروتوكولات المناسبة قد اتُّبعت.

مرت من أمامهم.

استمر اللقاء أقل من دقيقة. لم يتم تبادل أي كلمات بخلاف المطالب الرسمية للحصول على الإذن. لم يتم توجيه أي تهديد، ولم يتم إصدار أي تحدٍ، ولم يتم استدعاء أي قوة إلهية. كان الأمر إدارياً. إجرائياً. تعرف النظام على أحد المتغيرات المسجلة وسمح لها بالمرور، كما يتعرف دفتر الحسابات على قيد تم تدوينه بشكل صحيح ويسمح له بالبقاء، وكما يعترف السجل بحقيقة تم توثيقها بشكل صحيح ولا يمحوها.

صعدت إلى أعلى.

انفتح الجبل.

ليس إلى كهف ، فقد رأت كهوفًا في شظايا معرفتها المستعادة، مساحات مظلمة حُفرت في الصخر بفعل الماء أو الزمن أو العمل البطيء للتآكل. لم يكن هذا كذلك. كان هذا *انكشافًا* ، كما يكون الجرح انكشافًا، وكما يكون المقطع العرضي انكشافًا. كان الجزء الداخلي من الجبل مكشوفًا، والحجر والطين والمواد المتحجرة التي تشكل هيكله مرئية في طبقات عمودية تمتد من الأرض تحت قدميها إلى السماء فوق رأسها. لم يكن ممرًا عبر الجبل. كان الجبل نفسه، مفتوحًا كدفتر حسابات، وصفحاته مفتوحة للتفتيش.

كانت الطبقات مرئية. كان بإمكانها رؤيتها ، طبقات متميزة من المواد، كل منها مختلفة في اللون والملمس والكثافة، كل منها تمثل فترة في تاريخ الأساس، مثلما تمثل طبقات اللوح الفترات التي كُتبت فيها النقوش. كانت الطبقات السفلية داكنة وكثيفة، بلون الطين الرطب والمياه العميقة. وفوقها، طبقات أفتح، بلون الطين الجاف والطوب المحروق بالشمس. وفوقها، طبقات من الحجر ، رمادية، بنية، من النوع الذي تم استخراجه وتشكيله وتركيبه في مكانه بأيدي تعرف ما تفعله.

وبداخل الطبقات، نقوش.

رأت ذلك وهي تقترب ، العلامات المطبوعة في الطبقات، الإشارات التي نُقشت في الطين قبل أن يتصلب، الكلمات التي سُجلت في الحجر قبل أن يبرد. كانت الطبقات العليا واضحة ومقروءة، من النوع الذي تتوقع أن تجده في الأساس: مراسيم التأسيس، وسجلات التفويض، واللغة الرسمية التي تقول *إن هذا البناء شُيد بأمر من حامل قلم السلطة، والغرض منه هو الفصل بين السماء والأرض، ويتم الحفاظ على استقراره من خلال الامتثال المستمر لأولئك الذين يخدمون النظام الذي يدعمه* .

ولكن تحت الطبقة الرسمية ، مغروسة في الطبقات الترابية كالحفريات المغروسة في الرواسب ، كانت هناك نقوش *أقدم*.

كانت تستطيع رؤيتها من خلال ترقق الطين الذي يغطيها، كما رأت الأحرف المضغوطة على شظايا الألواح، وكما رأت علامات الكشط تحت الأسماء المكتوبة فوقها في سجلات العاملين. لم تكن هذه النقوش مقروءة ، ليس بالكامل، وليس بالطريقة التي كانت بها النقوش الرسمية مقروءة ، لكن *وجودها* كان واضحًا لا لبس فيه. كانت علامات تم كشطها وعصرها ودفنها عمدًا تحت السجل الجديد، تمامًا كما دُفنت أسماء العمال المجهولين تحت تسميات وظائفهم. كانت كلمات أُزيلت من الأساس، تمامًا كما أُزيل اسمها من السجل، تمامًا كما أُزيلت جوقة غير المكتملين من النظام.

ضغطت بيدها على الطبقات.

كان الحجر بارداً. وكان الطين كثيفاً. كانت النقوش المضغوطة تحت أصابعها، غير مرئية لكنها موجودة، تماماً كما كانت الحجارة في صدرها غير مرئية لكنها موجودة. لم تكن بحاجة إلى قراءتها. كانت بحاجة فقط إلى *الشعور* بها ، تماماً كما شعرت بشكل الختم الرمزي في قبضتها، وكما شعرت بالمقاومة في معصمها، وكما شعرت ببرودة أداة الكشط وهي تضغط على ختم اسمها. تحدثت الطبقات إلى جسدها كما تحدثت الشظايا إلى جسدها: من خلال الضغط، من خلال الوزن، من خلال الواقع المادي المحدد لشيء كان موجودًا ثم أُزيل، ولا يزال موجودًا في شكل غيابه.

لم تجلب الآلهة الأولى النظام إلى الفوضى.

لم يأتِ الإدراك كسرد بل *كبنية* ، بالطريقة التي جاءت بها كل إدراكاتها، ليس كقصص يمكنها سردها بل كأوزان يمكنها حملها. شعرت به في الطبقات تحت يدها: النقوش الأقدم لم تكن بدائية، ولا ناقصة، ولا محاولات مبكرة لحضارة تتعلم تسجيل نفسها. كانت *كاملة* .كانت *متماسكة* .كانت سجلًا لدولة كانت موجودة قبل الدولة التي حلت محلها ، دولة لم يكن فيها السماء والأرض منفصلتين، ولم تكن فيها الحدود التي تمثلها الجبال قد رُسمت بعد، وكان فيها الاتحاد الذي وصفته النقوش الرسمية *بالفوضى* شيئًا مختلفًا تمامًا.

لم يكن الانقسام الكوني معركة. لم يكن انتصارًا للنظام على الفوضى، أو للنور على الظلام، أو للآلهة على القوى التي هددت استقرار الخلق. كان *عملاً إدارياً* .تم فصل السماء عن الأرض عن طريق محو ذكرى اتحادهما من الأساس ، عن طريق ضغط النقوش التي سجلت الاتحاد في باطن الأرض، ودفنها تحت نقوش جديدة تقول *هكذا كانت الأمور دائماً* ، وعن طريق إنشاء سجل محى السجل الذي حل محله.

لم يُفرض النظام على الفوضى. بل تم *قمع* الفوضى. تم تسجيل القمع. وأصبح السجل الأساس. وأصبح الأساس العالم.

لم تملأ الفجوة في صدرها. بل *تفاقمت* .

تحركت الحجارة *،الأم* ، *السلطة* ، *الرفض*، لتفسح المجال، كما تفسح الحجارة المجال عندما تضاف حجارة أخرى إلى الكومة، وكما يفسح دفتر الحسابات المجال عندما يُدوّن فيه قيد آخر. وبجانبها، مستقرة في الفراغ الذي تم خلقه، اتخذ وزن رابع مكانه: وزن العنف التأسيسي. ليس عنف المعركة، أو الصراع، أو القوى المتصادمة في الظلام البدائي. بل عنف *التصحيح* ، العنف المحدد والإجرائي لنظام أزال ما لم يكن مناسبًا وسجل الإزالة على أنها استقرار، ودفن ما لم يستطع دمجه وسمى الدفن *نظامًا* ، ومحى ذكرى ما كان وكتب في مكانه قصة ما كان ينبغي أن يكون.

لم يكن الخلق تكويناً. كان تصحيحاً. لم يُخلق العالم. بل تم *تحريره* .

"أظهري الحد الفاصل، " نطقت.

خرجت الكلمات من حلقها قبل أن تتمكن من منعها ، لم تكن سؤالاً، ولا طلباً، بل أمراً، من النوع الذي يصدره الكاتب إلى مرؤوسه عندما يحتاج الكاتب إلى رؤية شيء غير مرئي على الفور. لم تكن تعرف لمن تتحدث. ولم تكن تهتم. كان التماس موجودًا ، كانت تشعر به في الطبقات تحت يدها، المكان الذي تنتهي فيه النقوش القديمة وتبدأ النقوش الجديدة، الحدود بين العالم الذي كان والعالم الذي فُرض مكانه. أرادت أن تراه. أرادت أن ترى دليل القمع، الدليل المادي على أن النظام بُني على حذف، وأن أساس الواقع لم يكن أرضًا صلبة بل صمتًا مضغوطًا.

أجاب صوت.

"الخط غير مرئي من هذه الزاوية. عليكِ أن تتحركي سبعة وثلاثين خطوة إلى اليسار وتنزلي حوالي أربعة أقدام حتى تتمكني من ملاحظة طبقة الانتقال مباشرةً".

جاء الصوت من شق في الطبقات ، فجوة طبيعية في الحجر والطين، ربما بعرض ثلاث خطوات وارتفاع ضعف ذلك، تؤدي إلى أعماق الجبل. لم يكن الشكل الذي ظهر من الشق كما توقعت. لم يكن منفذاً، ولا موظفاً، ولا وجهاً صقله النظام الذي يخدمه حتى أصبح مجهولاً. كان رجلاً. أكبر سناً، أو على الأقل يبدو أكبر سناً، بملامح تحمل علامات الفردية ، خطوط حول العينين، وتباين طفيف في الفك، ذلك النوع من الوجوه الذي يقول *أنا هنا منذ زمن طويل ورأيت أشياء تركت آثارها* .

كان مبللاً. كان قماشه الكتاني ملتصقاً بجسده في بعض الأماكن، وقد غمرته الرطوبة، كما لو كان قد خرج لتوه من مياه عميقة. جاءت معه رائحة الطين الرطب والمياه العميقة ، الرائحة المعدنية للهاوية، الرائحة الخاصة للأماكن التي لا يصلها الضوء ويكون الضغط فيها ثابتاً والصمت مطلقاً. كانت يداه ملطختين، وراحتاه داكنتين ببقايا قد تكون طيناً أو قد تكون شيئاً آخر، ذلك النوع من البقع التي تأتي من العمل الذي لا يزول بسهولة، والذي يصبح جزءاً من اليدين اللتين تؤديانه.

لم ينزل من الأعلى. ولم يصعد من الأسفل. بل *انتظر* ، في الشق، في الفجوة بين الطبقات، في الفراغ حيث كشفت الأساسات تاريخها لمن يعرفون كيف ينظرون.

"كان القمع معمارياً، "قال. كان صوته هادئاً ودقيقاً، صوت شخص فكر فيما يقوله لفترة طويلة جداً وتوصل إلى استنتاج غير مريح لكنه دقيق ***" .ليس شخصياً. لم يكن من الممكن الحفاظ على الاتحاد ضمن معايير الاستقرار المطلوبة لمواصلة حفظ السجلات. تم اتخاذ القرار بفصل العناصر وتدوين الفصل على أنه أساسي. تم ضغط الحالة السابقة للحفاظ على سلامة المواد. لم يتم تدميرها".***

توقف. نظر إليها. كانت عيناه تحملان شيئًا لم تره من قبل في رجال الأمن، ولا في العمال المجهولين، ولا في جوقة «غير المشكّلين «*التقدير*». ليس ذلك التقدير الأجوف من العاملين الذين كانوا ينظرون إليها كمتغير يجب معالجته. بل تقدير شخص ينظر إليها على أنها *نتيجة* لشيء ساعد هو في بنائه.

"لقد ساعدت في صياغة الآلية، " قال ***". بروتوكول الضغط. تسلسل الطبقات. هيكل الختم الذي يحافظ على التقسيم ".*** توقف قليلاً. تحركت يداه الملطختان قليلاً، والأصابع تنثني وتستقيم، بالطريقة التي تتحرك بها الأيدي عندما تريد أن تفعل شيئاً ولا تعرف ما هو بالضبط ***". الجبل هو سجل. كان الانقسام ضرورياً من أجل الاستقرار. لم يكن المحو عقاباً. كان هندسة معمارية".***

نظرت إليه. لم تتكلم. انتظرت المعلومة التالية، كما ينتظر الكاتب العلامة التالية في التسلسل، وكما ينتظر القارئ الكلمة التالية في الجملة.

"الطريق إلى [كور] ليس تحت السطح"، قال ***". إنه عبر الطبقة المضغوطة. الحالة السابقة التي دُفنت لإفساح المجال للحالة الحالية ، هذا هو الممر. الخط الذي طلبت رؤيته هو المدخل".***

أشار. ليس إلى الشق الذي خرج منه ، بل إلى شيء وراءه، أعمق في داخل الجبل، ظلام لم يكن ظلام الغياب بل ظلام *الضغط*، ذلك النوع من الظلام الذي يوجد عندما يُحشر الكثير في مساحة صغيرة جدًا ولا يستطيع الضوء اختراق كثافة ما تراكم.

"القفل هيكلي، " قال ***". المفتاح في صدرك. الوزن الذي تحملينه هو ما يفتح الطبقة المضغوطة. ليس لأنه قوي، بل لأنه حقيقي. الأساس يتعرف على الحقيقة كما يتعرف الختم على الطين. لا يجادل، بل يقبل".***

تنحى جانبًا. بالطريقة التي تنحى بها المنفذون ، لكن بشكل مختلف. كان المنفذون قد تنحوا امتثالًا للإجراءات. أما هذا الشخص فقد تنحى لسبب آخر *, الاعتراف*، ربما، أو *الضمير*، أو ببساطة إدراكه أنه قال ما كان عليه قوله وأن الخطوة التالية تخص شخصًا آخر.

"أنا من صنعت القفل، " قال ***". لم أختر المفتاح".***

سجلت هذا. دخلت الكلمات إلى جوف صدرها وأخذت مكانها بين الحجارة ، ليس كتبرير، ولا كغفران، بل *كبيانات* .مهندس الصمت. مهندس القمع. الشخص الذي ساعد في صياغة الآلية التي ضغطت الحالة السابقة ودفنتها تحت أساس العالم. لم يكن شريراً. لم يكن صالحاً. كان *متواطئاً* ، ذلك النوع المحدد والهيكلي من التواطؤ الذي ينشأ عن بناء نظام ثم رفض تحمل المسؤولية عما يفعله النظام، النوع الذي يقول *أنا صنعت الأداة، لكنني لم أقرر كيف ستُستخدم*، النوع الذي يسمح للناس بالمشاركة في العنف دون أن يشعروا بثقل العنف الذي سمحوا بحدوثه.

لم تشكره. لم تدنه. سجلت تواطؤه كعبء آخر ، ليس حجراً، ليس بعد، بل ضغطاً، حضوراً، شيئاً احتل مساحة في دفتر حساباتها الفهمية وسيتعين حسابه لاحقاً، عندما يحين موعد الحساب.

مرت بجانبه. إلى الشق. نحو الظلام الذي لم يكن غياباً بل ضغطاً، الممر عبر الحالة السابقة التي دُفنت لإفساح المجال للحالة الحالية، الطريق إلى **كور** الذي لم يؤدِ إلى الأسفل عبر سطح العالم بل إلى الداخل عبر أساسه.

تنفس الجبل.

شعرت بذلك ، تحول في الهواء، تغيير في الضغط، الطريقة التي تتنفس بها الغرفة عندما يُفتح الباب ويُسمح أخيرًا للهواء الذي كان محبوسًا بالداخل بالتحرك. تلاشى صوت النقر، وحل محله شيء أعمق، أقدم، صوت الطبقات وهي تستقر، والطبقات المضغوطة وهي تتكيف، وأساس كان يحبس أنفاسه لفترة أطول مما يستطيع أن يتذكر، وأخيرًا يطلق العنان للتوتر الذي كان يتراكم بداخله.

لم تنظر إلى الوراء. حملت الحجارة في صدرها ثقلها ،*الأم*، *السلطة* ، *الرفض*، *العنف التأسيسي*، وثقل التواطؤ يضغط عليها من الجانب، لم يندمج بعد، لم يُسجل بعد، لكنه حاضر، معترف به، ينتظر اللحظة التي سيجد فيها مكانه المناسب في السجل المتراكم لما كانت تصبح عليه.

أحاطت بها الظلمة. لم تكن ظلمة الليل أو الظل أو غياب الضوء ، بل ظلمة الكثافة، تلك الظلمة المادية المحددة التي توجد عندما يُضغط الكثير في مساحة صغيرة جدًا، حتى أن الضوء لا يجد مكانًا للتحرك. سارت نحوها. كان الممر ضيقاً، والجدران تضغط عليها، والسقف منخفضاً لدرجة أنها كانت تشعر به يلامس قمة رأسها. كان الهواء خانقاً وثقيلاً، يحمل رائحة الطين الذي ظل رطباً لفترة طويلة جداً وبدأ يكتسب رائحة الحجر المعدنية.

نزلت.

ليس نحو سطح العالم. ليس نحو الأرض التي كانت تمشي عليها منذ أن استيقظت في الوحل .عبر الأساس ، عبر الطبقة المضغوطة، عبر السجل المدفون للحالة السابقة، عبر الدليل على أن النظام لم يكن خلقًا بل تصحيحًا، وأن الاستقرار لم يكن نعمة بل قمعًا، وأن العالم الذي سكنته بُني على صمت تم تسجيله وحفظه وجعله دائمًا بواسطة النظام الذي استفاد من استمراره.

انهارت شرعية النظام الإلهي خلفها. ليس بصوت ، ليس بصيحة، ليس بصدع، ليس بالانهيار الدرامي لشيء كان قوياً وأصبح الآن ضعيفاً. بل بالاعتراف الهادئ بوجود عيب هيكلي. ذلك النوع من الاعتراف الذي يأتي عندما ترى التماس في الأساس، عندما تشعر بالضغط في الطبقات، عندما تفهم أن ما كنت تعتقد أنه أرض صلبة هو في الواقع طين مضغوط، وأن الطين لا يظل متماسكاً إلا لأن النظام الذي ضغطه لم يتوقف عن الضغط بعد.

سارت أعمق في الظلام. استقر القلم المكسور في يدها. حملت الحجارة في صدرها وزناً. قادها المسار إلى الأسفل، عبر الأساس، نحو المكان الذي كان فيه الوضع السابق ينتظر الاعتراف به، حيث كانت الذكريات المضغوطة تنتظر أن تُطلق، حيث كان الصمت الذي سُجل على أنه نظام ينتظر أن يُسمع.

لم تنظر إلى الوراء.

الفصل الثامن — مهندس الصمت

جزء تم استخراجه من مستودع ورشة العمل، داخل هورساغ. مركب من الطين، في حالة مستقرة. التلف السطحي يتوافق مع حذف متعمد ودقيق ، إزالة نظيفة لمصطلحات محددة بدلاً من التآكل الطبيعي. النسخ التقريبي:

...تم الانتهاء من التصميم في اليوم [حذف: ثلاثة أحرف، تم استئصالها بشكل نظيف] من الدورة التأسيسية. كان الهدف هو الاستقرار الهيكلي. تعمل الآلية عن طريق...

[...حذف: حوالي خمسة أحرف، مقطوعة بدقة]...بروتوكولات الضغط تعزل التوقيع التعريفي عن السجل الوظيفي. تحافظ بنية الختم على الفصل بين الطبقات. الصيغة الإدارية ...

...كان دور المهندس المعماري هو التصميم. لم يكن دور المهندس المعماري هو [حذف: حرفان]...تم بناء الآلية وفقًا للمواصفات. صدرت المواصفات عن سلطة تتجاوز صلاحيات المهندس المعماري...

...تقع مسؤولية التطبيق على عاتق [حذف: أربعة أحرف، محذوفة بشكل نظيف]... لا يسجل دفتر الحسابات اسم المصمم. يسجل دفتر الحسابات التصميم. التصميم لا...

[ينتهي اللوح عند هامش نظيف]

ضاق الممر.

تلاشت الصخور الخام المتشققة للطبقات المضغوطة لتفسح المجال لشيء آخر ، ليس بشكل تدريجي، بل عند خط محدد بدقة، كما لو أن أحداً قد رسم حدوداً وفرضها باستخدام أدوات. على أحد جانبي الخط، كانت الصخور جامحة ومتشققة، من النوع الذي يتشكل عندما تدفع قوى خارجة عن السيطرة الأرض وتشدها وتشقها إلى أشكال لم يقصدها أحد. وعلى الجانب الآخر، كانت الصخور ناعمة. منحوتة. من النوع الذي يتشكل عندما تحل النية محل الصدفة، وعندما تحل الأدوات محل القوى، وعندما يُفرض تصميم على ما كان فوضى.

تقدم إنكي أمامها. كانت خطواته هادئة على الحجر المصقول ، ذلك النوع من الهدوء الذي ينبع من الألفة، ومن السير في هذا الممر مرات عديدة من قبل، ومن معرفة المكان الذي يجب أن تخطو فيه بالضبط لتجنب الصوت الذي قد ينبعث من الضغط على الجزء الخاطئ من الأرضية. تبعته. تغير الهواء مع تقدمهما إلى الأعماق: أصبح أثقل، وأكثر كثافة، حاملاً رائحة المياه العميقة والطين الرطب وشيئاً آخر، شيئاً معدنياً، ذلك النوع من الرائحة النفاذة التي تنبعث من الحجر الذي صقلته الأدوات بدلاً من أن تآكله عوامل الزمن.

أكدت الجدران ما أشارت إليه الأرضية. كانت القنوات تمتد على طولها ، ليست قنوات طبيعية، وليست من النوع الذي يحفره الماء عندما يجد مسارًا أقل مقاومة، بل قنوات *متعمدة*، محفورة في الحجر بدقة، حوافها ناعمة، زواياها متسقة، وغرضها واضح لأي شخص يفهم كيف يتحرك الماء عبر الهياكل التي صُممت للتحكم فيه. كانت القنوات فارغة الآن، لكن بقع الماء الجافة كانت تحدد المسارات التي سلكها الماء في الماضي ، خطوط داكنة على حجر أفتح، ذلك النوع من الأدلة الذي يقول *هنا سار التدفق، هكذا تم توجيهه، هذا ما قصده التصميم*.

كانت آثار الأدوات واضحة. استطاعت رؤيتها في الضوء الخافت الذي كان يتسلل عبر الشقوق في السقف ، أخاديد متوازية حيث حفر الإزميل في الحجر، ذلك النوع من الآثار الناتجة عن ضربات متكررة ومدروسة، النوع الذي يتراكم عندما يعمل شخص ما على سطح ما حتى يفي بمواصفاته. كانت العلامات قديمة، لكنها لم تكن قديمة بالطريقة التي تكون بها الحفريات قديمة. كانت قديمة بالطريقة التي تكون بها السجلات قديمة ، ذلك النوع من العمر الذي يأتي من كونها صُنعت في وقت محدد وحُفظت لأنها لم تُمحى قط.

كان الممر يفتح على غرفة انتظار.

لم تكن كبيرة ، ربما بعرض عشر خطوات، وربما خمس عشرة خطوة من المدخل إلى الجدار البعيد. كان السقف منخفضًا بما يكفي لدرجة أنها كانت تستطيع لمسه لو رفعت يدها. كانت الجدران ناعمة، والقنوات تمتد على طولها، تتلاقى عند النقاط التي كان من المفترض أن يتجه إليها التدفق، وتتفرق عند النقاط التي كان من المفترض أن ينقسم فيها التدفق. كانت الأرضية من الحجر المصقول، ذلك النوع من الحجر الذي تظهر عليه علامات عندما يُسحب شيء ما عليه، النوع الذي يتذكر ما مر عليه.

لم يكن هذا كهفًا. فالكهوف تشكلت بفعل الماء والزمن والعمل البطيء والصبر لقوى لم تكن تنوي الإبداع. كان هذا *ورشة عمل* .نوع المكان الذي تُصمم فيه الأشياء، وتُبنى فيه الآليات، وتُحفظ فيه الأدوات التي تشكل الواقع حادة وجاهزة للاستخدام. كان الهواء ثقيلًا بذكريات العمل ، ذلك النوع من العمل الذي يترك بقعًا على الحجر وقنوات في الجدران ورائحة معدنية خافتة للأسطح المصقولة التي صُقلت مرات عديدة وستُصقل مرات عديدة أخرى.

توقف إنكي عند الجدار البعيد. استدار ليواجهها. كانت يداه الملطختان متدليتين على جانبيه، وبقايا العمل التأسيسي لا تزال داكنة على راحتيه، ولا تزال تميزه كشخص لمس الأماكن العميقة ولم يظل كما كان بعد اللمس.

قال: "تعمل آلية الضغط من خلال ثلاثة بروتوكولات،"

كان صوته كما كان على الجبل ، هادئ، دقيق، صوت شخص فكر فيما يقوله لفترة طويلة جدًا وتوصل إلى استنتاجات لم تكن مريحة لكنها كانت دقيقة. لم يبدأ بمقدمة. لم يبرر. بدأ من حيث بدأ الشرح، بالتصميم، بالآلية، بالتفاصيل الفنية لما تم بناؤه وكيف يعمل.

"البروتوكول الأول يعزل التوقيع التعريفي عن السجل الوظيفي ".أشار إلى القنوات على الحائط ، الطريقة التي يتم بها توجيه الماء، والطريقة التي يتم بها التحكم في التدفق، والطريقة التي يمكن بها فصل شيء يتحرك عبر نظام ما عن النظام دون تدميره" .***الاسم، النسب، التاريخ الشخصي ، تُعامل هذه العناصر كمتغيرات يمكن فصلها عن المنصب، والوظيفة، والدور المخصص. لا يزيل الضغط الهوية. بل يعيد وضعها. يدفعها إلى طبقة تحت السطح حيث لا تتداخل بعد ذلك مع الكفاءة التشغيلية للنظام".***

استمعت. لم يتغير وجهها. لم يتغير وضعها. وقفت حيث توقفت عندما فتحت غرفة الانتظار، وزنها متوازن، يداها على جانبيها، القلم المكسور لا يزال ممسوكًا في كفها الأيمن. عالجت كلماته كما تعالج كل الكلمات ، كبيانات، كهيكل، كمعلومات يمكن حفظها في سجل فهمها والرجوع إليها لاحقًا عندما يتطلب السياق ذلك.

"البروتوكول الثاني يحافظ على الفصل ".تحرك نحو الجدار البعيد، حيث تتلاقى القنوات في نقطة واحدة ، سطح حجري أملس، أغمق من المواد المحيطة، من النوع المصمم لتحمل الوزن، ومقاومة الضغط، والحفاظ على الحدود في مكانها عندما تحاول القوى على جانبيها إخضاعها" .***هيكل الختم مدمج في الطبقات التأسيسية. يمنع الهوية المضغوطة من الظهور، ومن إعادة الاندماج مع السجل الوظيفي، ومن زعزعة استقرار النظام الذي بُني ليحل محلها. الختم ليس حاجزًا. إنه تصنيف ، طريقة لتنظيم المعلومات بحيث يظل ما تم ضغطه مضغوطًا حتى يتم تغيير التصنيف".***

راقبته. لم تتكلم. احتفظت الفجوة في صدرها بحجارتها ،*الأم، السلطة، الرفض، العنف التأسيسي*، ووزن تواطؤ إنكي يضغط عليها من الجانب، نفس الضغط الذي شعرت به عندما ظهر لأول مرة من الشق في الطبقات، نفس الوزن الذي سجلته كبيانات ولم تقم بتصنيفه بعد.

"البروتوكول الثالث ينظم الصياغة الإدارية ".استدار ليواجهها. كانت عيناه تحملان نفس الإدراك الذي كان فيهما من قبل ، إدراك شخص يرى فيها نتيجة لشيء ساعد في بنائه" .**عدم الامتثال لا يُعامل على أنه تدمير. يُعامل على أنه متغير يجب تعديله. الصياغة لا تقول محو. تقول تصحيح. يتم تسجيل التصحيح. يصبح التوثيق جزءًا من السجل. يصبح السجل جزءًا من الأساس. الأساس ثابت".**

توقف. كانت غرفة الانتظار هادئة ، ذلك النوع من الهدوء الذي ينبع من الأماكن المغلقة، من الحجر الذي يمتص الصوت بدلاً من عكسه، من الهواء الثقيل للغاية بحيث لا يحمل اهتزازات الصوت بعيداً. كان الصوت الوحيد هو

قطرات الرطوبة الخافتة في مكان ما لا تستطيع رؤيته، الماء يتحرك عبر قنوات لم تعد نشطة، ويجد مسارات عبر الهيكل الذي صُمم لتوجيهه.

"كيف يتم ضغطه؟ "قالت.

كان السؤال جافاً، وظيفياً، من النوع الذي يسأله الكاتب عند فحص آلية تحتاج إلى الفهم قبل أن يمكن استخدامها أو مواجهتها. لم تسأل *لماذا* .سألت *كيف* .الآليات هي ما يهم. يمكن استنتاج القصد من التصميم.

"الضغط ".كان جواب إنكي جافاً بنفس القدر، ووظيفياً بنفس القدر***" .موجه، مقاس، مطبق على نقاط محددة في بنية الهوية. الضغط لا يسحق. إنه يعيد التنظيم. يتم دفع طين ختم الاسم إلى الطبقات السطحية السفلية بالطريقة التي يتم بها دفع الطين عندما يتم ضغط نقش جديد فوق نقش قديم. المادة تبقى. الترتيب يتغير. السطح يصبح أملس. يتم الحفاظ على الحالة السابقة تحت الحالة الجديدة، وهي متاحة نظريًا ولكنها غير مرئية عمليًا ما لم تتم إزالة الحالة الجديدة".***

"من يسجل التعديل؟ "

"النظام يسجل نفسه. يؤدي الضغط إلى إنشاء إدخال إداري. يسجل الإدخال المتغير، والتصحيح، والبروتوكول المطبق، والختم المخصص. لا يسجل الإدخال من أذن بالضغط. لا يسجل الإدخال من قام بتطبيقه. يسجل الإدخال فقط أنه حدث، ومتى، ووفقًا لأي مواصفات".

سجلت ذلك. سجل النظام العملية بنفسه. عملت الآلية دون الحاجة إلى يد تتحمل المسؤولية. سُجلت التعديلات، لكن لم يُسجل من قام بها. وُثق التصميم، لكن لم يُوثق المصمم. إنه نوع من البنية التي سمحت للناس بالمشاركة في العنف دون أن يُذكر اسمهم في سجلات العنف الذي شاركوا فيه.

تقدم إنكي نحو السطح الحجري الأملس حيث تتلاقى القنوات. لم يلمسه. أشار إليه ، بالطريقة التي يشير بها الكاتب إلى لوح يحتوي على معلومات مهمة، بالطريقة التي يشير بها المهندس المعماري إلى رسم يحتوي على تصميم، بالطريقة التي يشير بها شخص يعرف كيف يعمل شيء ما إلى المكان الذي يكون فيه العمل أكثر وضوحًا.

وقال" ***:العتبة."***

نظرت. لم يكن السطح كما توقعت ، لم يكن بوابة، ولا بابًا، ولا فتحة في الجدار تؤدي إلى الفضاء وراءه. كان *قفلًا* . حجر أملس، مدمج فيه أخاديد متشابكة ، قنوات تسير بالتوازي، تتقاطع عند نقاط محددة، تشكل أنماطًا توحي بالنية وليس بالصدفة. كانت الأخاديد ضحلة ودقيقة، من النوع الذي يتقبل نوعًا محددًا من الضغط من مصدر محدد ولا يستجيب لأي شيء آخر.

*"إنه يعمل بالرنين، "*قال إنكي. "الطبقة المضغوطة تحت هذه العتبة تحتوي على ما تم دفعه لأسفل عند إنشاء الحاجز. تم معايرة الأخاديد للتعرف على ترددات محددة ، من النوع الذي يولده الوزن المتراكم، الحقيقة التي ترسخت في الجسد بدلاً من محوها من السجل." توقف قليلاً.

تحركت يداه الملطختان قليلاً، والأصابع تنثني وتستقيم، نفس الحركة التي رأت من قبل، حركة الأيدي التي تريد أن تفعل شيئاً ولا تعرف ماذا" **.الوزن الذي تحملينه ، ما قمت باستعادته، وما قمت بقبوله، وما كنت ترفضين التخلي عنه ، هذا هو المفتاح. ليس لأنه قوي. بل لأنه حقيقي. الأساس يتعرف على الحقيقة كما يتعرف الختم على الطين. إنه لا يجادل. إنه يقبل".**

نظرت إلى العتبة. كانت الأخاديد ساكنة، فارغة، تنتظر الضغط الذي سيُفعّلها. كانت تشعر بالطبقة المضغوطة تحتها ، ليس كصوت، ولا كاهتزاز، بل *ككثافة*، نفس النوع من الكثافة الذي شعرت به في المستنقعات عندما استقر جوقة غير المشكّلين في الوحل، نفس النوع من الثقل الذي يتراكم عندما يُحشر الكثير في مساحة صغيرة جدًا ولا تستطيع المادة التمدد لاستيعابه.

"نقاط الضغط هنا، وهنا، وهنا ".أشار إنكي إلى ثلاثة مواقع محددة على العتبة ، نقاط تتقاطع فيها الأخاديد، وتتلاقى فيها القنوات، ويكون فيها التصميم أكثر تركيزًا" ***.يجب وضع اليدين في وقت واحد. يجب السماح للوزن بالاستقرار، لا إجباره. يتولد الرنين من تلقاء نفسه بمجرد حدوث التلامس. تتوافق الأخاديد. تستسلم الطبقة المضغوطة. يفتح الممر".***

لم يقم بالتوضيح عملياً. لم يضع يديه على العتبة، ولم يريها كيف يعمل الضغط، ولم يشغل الآلية ليثبت أنها تعمل كما وصف. قدم الإحداثيات. قدم الآلية. قدم المواصفات الدقيقة لما هو مطلوب.

لم يوفر الممر.

"من يحمل علامات الخدش؟ "

خرج السؤال من حلقها قبل أن تقرر تمامًا طرحه ، ليس اتهامًا، ولا تحدّيًا، بل *استفسارًا*، من النوع الذي يطرحه الكاتب عندما يكون السجل غير مكتمل ويجب العثور على المعلومات المفقودة قبل إغلاق السجل. كانت علامات الخدش هي العلامات التي رأت على سجلات العاملين، وعلى الأختام الاسمية التي تم ضغطها، وعلى الألواح التي أُزيلت منها الهويات لإفساح المجال للوظائف. كانت علامات الأداة التي قامت بالعمل. أرادت أن تعرف من الذي أمسك بالأداة.

لم يتوانَ إنكي.

*قال" :**أنا من صمم الآلية** ."*كان صوته كما كان ، هادئًا، دقيقًا، صوت شخص تمرّن على هذه الإجابة مرات عديدة، ليس لأنه كان يدافع عن نفسه، بل لأنه كان بحاجة إلى فهمها بوضوح قبل أن يتمكن من نطقها بوضوح*" .**لم أختر اليد التي استخدمتها**"* .

توقف. كانت الغرفة الأمامية تحافظ على جوها الثقيل، وحجارتها المصقولة، وقنواتها التي كانت توجه تدفقًا لم يعد يتحرك عبرها. كان الصمت تامًا باستثناء قطرات الرطوبة في مكان ما لا تستطيع رؤيته.

"أنا صنعت الأداة، "قال***" .السجل لا يسجل اسم المهندس المعماري. السجل يسجل التصميم. تم بناء التصميم وفقاً للمواصفات. صدرت المواصفات من سلطة أعلى من منصب المهندس المعماري. تم تنفيذ التصميم بأيدي ليست يدي. تحمل عواقب التنفيذ أولئك الذين تعرضوا للضغط، وليس أولئك الذين صمموا الضغط".***

نظر إليها. كانت عيناه تحملان نفس الإدراك الذي كان فيهما منذ اللحظة التي خرج فيها من الشق ، إدراك شخص رأى فيها نتيجة، وفهم أن الثقل الذي تحمله هو ثقل ساعد تصميمه في خلقه، واعترف بذلك دون أن يعتذر عنه، ودون أن يدافع عنه، ودون أن يبحث عن الغفران للدور الذي لعبه.

"الآلية تعمل كما صُممت، "قال***" .كان التصميم ضروريًا لتحقيق الاستقرار المطلوب. الضرورة لا تمحو العاقبة. العاقبة لا تبطل الضرورة. كلاهما صحيح. كلاهما مسجل. السجل لا يحل التناقضات. السجل يسجلها".***

سجلت هذا. دخلت الكلمات إلى جوف صدرها وأخذت مكانها بين الحجارة ، ليس كمبرر، وليس كغفران، بل كبيانات. مهندس الصمت. مهندس الضغط. الشخص الذي بنى الأداة لكنه لم يختر اليد التي استخدمتها، الذي صمم الآلية لكنه لم يقرر من سيضغطها، الذي صاغ المواصفات لكنه لم يصرح بالتطبيق. كان تواطؤه هيكليًا، وليس شخصيًا. كانت مسؤوليته تقنية، وليست أخلاقية. كانت يداه ملطختين ببقايا العمل التأسيسي، لكن العمل لم يكن عمله ، كان عمل النظام الذي خدمه، والسلطة التي كان مسؤولاً أمامها، والمواصفات التي أعطيت له.

رفض عبء العواقب. لم يتجنبه ، بل *رفضه*، بالطريقة التي يرفض بها الموظف الرشوة، والطريقة التي يرفض بها الكاتب تغيير السجل، والطريقة التي ترفض بها الآلية الاستجابة للضغط الذي لا يتطابق مع معايرتها. لقد صنع القفل. لكنه لم يختر المفتاح. لم يسجل السجل اسم المهندس المعماري.

سجل الدفتر التصميم.

نظرت إليه للحظة أطول. كانت يداه الملطختان متدليتين على جانبيه. كان وجهه يحمل الإدراك الذي كان موجودًا منذ البداية ، إدراك شخص يفهم ما فعله وما لم يفعله، يعترف بدوره دون الاعتذار عنه، يقدم الوصول دون تقديم

الغفران. كان كريمًا بالطريقة التي يكون بها المهندسون كرماء ، بالمعلومات التقنية، بالإحداثيات، بمواصفات كيفية عمل الأشياء. لم يكن كريماً بالطريقة التي يكون بها الناس كرماء ، بالتعاطف، بالندم، بالاستعداد لتحمل عبء ما سمحوا بحدوثه.

كان كرمه هيكلياً. لم يمتد إلى الجانب الشخصي.

تجاوزته.

لم تلتف حوله ، بل *تجاوزته* ، بالطريقة التي يتجاوز بها الكاتب لوحاً تمت الرجوع إليه ولم يعد هناك حاجة إليه، بالطريقة التي يتجاوز بها القارئ مقطعاً تم فهمه ولم يعد يتطلب اهتماماً. تحركت نحو العتبة، نحو السطح الحجري الأملس بأخاديده المتشابكة، نحو القفل الذي يتطلب الوزن الذي تحمله لتفعيله. لم تشكره. لم تدنه. أخذت ما عرضه عليها ، الآليات، الإحداثيات، نقاط الضغط الدقيقة ، وتركت وراءها ما رفض أن يحمله ، المساءلة، العواقب، ثقل ما فعله تصميمه بالناس الذين صُمم لضغطهم.

لم يستطع إطاره تحمل نزولها. استطاعت الآليات ذلك. استطاعت المواصفات ذلك. استطاعت الإحداثيات ذلك. لكن الإطار ، الطريقة التي فهم بها تواطؤه، الطريقة التي برر بها دوره، الطريقة التي رفض بها الثقل الذي خلقه تصميمه ، ذلك الإطار كان ملكه، وليس ملكها. لم تستطع النزول إلى الطبقة المضغوطة حاملةً فهمه لما يعنيه النزول. لم تستطع حمل سوى فهمها الخاص.

وضعت يديها على العتبة.

كان الحجر بارداً تحت راحتي يديها. كانت الأخاديد دقيقة تحت أصابعها، القنوات التي ستوجه الضغط، الأنماط التي ستتعرف على الرنين. شعرت بالطبقة المضغوطة تحتها ، ليس كصوت، ليس كاهتزاز، بل *ككثافة* ، نفس النوع من الكثافة التي شعرت بها طوال هذا الممر، الثقل الزائد الذي دُفع إلى مساحة صغيرة جداً، ضغط حالة سابقة دُفنت لإفساح المجال لحالة حالية.

تحركت الأحجار في صدرها.

الأم .السلطة .الرفض .العنف التأسيسي .تحركت ، ليس بشكل درامي، ليس بقوة شيء يتم تحريره، بل بحركة هادئة ودقيقة لأشياء تجد محاذاة مناسبة، بالطريقة التي تتحاذى بها الأخاديد عندما يُطبق الضغط بشكل صحيح، بالطريقة التي يفتح بها القفل عندما يتناسب المفتاح. استقر الوزن في يديها، وتدفق عبر راحتيها، وضغط على الحجر بالنمط المحدد الذي يتطلبه التصميم.

استجابت الأخاديد.

شعرت بها تتحرك ، تحول خفي في الحجر، تغيير بالكاد يُلاحظ في ملمس السطح تحت أصابعها، ذلك النوع من الحركة الذي يعني *الاعتراف* بدلاً من *التحرير* .بدأت الطبقة المضغوطة تحت العتبة تستسلم ، ليس بصوت، ولا بصدع، بل بتنهيدة هيكلية خافتة، ذلك النوع من الأصوات التي يصدرها الحجر عندما يكون قد احتفظ بشيء لفترة طويلة جدًا ويُسمح له أخيرًا بتركه يذهب. انخفضت الكثافة. وتحول الضغط. وبدأ الممر الذي كان مغلقًا بالتصميم في الانفتاح.

لم تكن الظلمة وراء العتبة ظلمة الغياب. كانت ظلمة *العمق* ، ذلك النوع من الظلمة الذي يوجد عندما تنتقل من مساحة مضغوطة إلى مساحة أقل ضغطًا، عندما يبدأ الوزن الذي كان يضغط عليك من كل الجهات في التخفيف، عندما يبدأ الهواء الذي كان ثقيلًا جدًا بحيث لا يمكن التنفس فيه في التخفيف والتخفيف ويسمح لك بالتحرك.

خطت إليه.

أحاط بها الظلام ، ليس ظلام الجبل، ولا ظلام الطبقات المضغوطة، بل شيء آخر، شيء أعمق، شيء كان ينتظر تحت الأساس الذي بُني لاحتوائه. تغير الهواء مرة أخرى ، لم يعد أثقل الآن، بل *أقدم*، حاملاً رائحة الطين الذي كان رطباً منذ ما قبل الفصل، ورائحة الماء الذي كان ساكناً منذ ما قبل الانفصال، ورائحة حالة سابقة دُفنت لكنها لم تُدمَّر.

لم تنظر إلى الوراء.

خلفها، في غرفة الانتظار التي لم تكن كهفًا بل ورشة عمل، وقف إنكي ويداه الملطختان إلى جانبيه وراقبها وهي تذهب. لم يتبعها. لم يناديها. لم يقدم لها بركة أو تحذيرًا أو وداعًا يوحي بأنه سيراها مرة أخرى. راقبها بالطريقة التي يراقب بها المهندس المعماري مبنى صممه وهو يدخله شخص لن يلتقي به أبدًا ، بالطريقة التي يراقب بها من يفهم البنية استخدام تلك البنية دون المشاركة فيها.

أُغلق العتبة خلفها. أعيد ترتيب الأخاديد. استأنفت الطبقة المضغوطة ضغطها.

أُغلق القفل.

بقي إنكي في الغرفة المجاورة، في الورشة حيث تم تصميم الآلية، في المكان الذي كانت القنوات توجه فيه التدفق الذي لم يعد يتحرك. كانت يداه ملطختين. كان وجهه يحمل الإدراك الذي كان موجودًا منذ البداية. لم يذكر السجل اسمه. سجّل السجل التصميم.

عمل التصميم كما هو محدد.

لم تتضمن المواصفات المساءلة.

نزلت.

كان الظلام دامسًا ، ليس ظلام الليل، ولا ظلام الظل، بل ظلام مكان لم يُقصد أن يصل إليه الضوء أبدًا، حيث لم يتضمن التصميم الإضاءة لأن الإضاءة لم تكن ضرورية للوظيفة التي كان من المفترض أن يخدمها المكان. تحركت باللمس، وجدت قدميها الدرجات التي نُحتت في الحجر، وتتبعت يداها الجدران التي صقلتها الأدوات، ووجه جسدها نفسه في فضاء لم تستطع رؤيته لكنها استطاعت *الشعور* به ، بالطريقة التي شعرت بها بالطبقة المضغوطة، بالطريقة التي شعرت بها بالحجارة في صدرها، بالطريقة التي شعرت بها بثقل ما تحمله وثقل ما تركته وراءها.

كان الفراغ في صدرها يحمل أربع أحجار. كان ثقل التواطؤ يضغط عليها من الجانب ، غير مدمج، غير مصنف، لكنه حاضر، معترف به، ينتظر اللحظة التي سيجد فيها مكانه المناسب في السجل المتراكم لما كانت تصبح عليه.

لم تكن تعرف ما ستجده في الظلام أدناه. لم تكن تعرف ما تحتويه الطبقة المضغوطة، وما كان عليه الوضع السابق، وما الذي بُني الأساس لقمعه. كانت تعرف فقط أنها تنزل، وأن الطريق مفتوح، وأن القفل قد أدرك الوزن الذي تحمله وسمح لها بالمرور.

لم تكن تعرف ما إذا كانت ستعود.

لم تكن تعرف ما إذا كان العودة هو الهدف.

نزلت.

الفصل التاسع — النزول إلى كور

جزء تم استخراجه من رواسب عتبة كور، على عمق غير محدد. مركب من الطين، تظهر عليه طبقات ضغط. تآكل السطح يتوافق مع عبور متكرر للعتبة ، آثار أدوات موجهة نحو الأسفل، وأنماط ضغط متراصة، ولا يوجد أي تحلل طبيعي. النسخ التقريبي:

...النزول ليس استسلامًا. النزول هو [علامة ضغط: حرفان محفوران بالقوة تحت السطح]...عند كل بوابة، يُعاد ما أُخذ. ما يُعاد ليس ما أُخذ. ما يُعاد هو...

[...علامة أداة موجهة نحو الأسفل، يمكن قراءتها جزئيًا من خلال الضغط]...البوابة الأولى تعيد وضعية الوظيفة. البوابة الثانية تعيد نية الغرض. البوابة الثالثة تعيد وزن...

...من ينزل لا يصبح أخف وزنًا. بل يزداد [علامة ضغط: ثلاثة أحرف]...الفراغ لا يمتلئ بالهواء بل بالحجر. الحجر هو الحقيقة. الحقيقة لا...

[تنتهي اللوحة عند هامش العتبة المضغوط]

تحرر القفل.

الظلام الذي كان محشورًا خلف العتبة انحسر ، ليس ليحل محله الضوء، بل *الفضاء*، ذلك النوع من الفضاء الذي يظهر عندما يُسمح أخيرًا للضغط الذي كان يربط كل شيء معًا بأن ينحسر. خطت عبره. تغير الحجر تحت قدميها ، من المادة المصقولة والمنحوتة لورشة إنكي إلى شيء أقدم وأكثر جفافًا، ذلك النوع من الحجر الذي لم تمسه الأدوات منذ زمن أطول مما تستطيع الذاكرة قياسه.

تغير الهواء.

تلاشى الوزن الرطب والمعدني لداخل هورساغ. وحل محله: الجفاف. جفاف قديم ، من النوع الذي تراكم على مدى قرون، واستقر في الحجر والطين والمساحات بينهما، وأصبح جزءًا من المادة بدلاً من أن يكون شيئًا تحتويه المادة. استنشقت الهواء. كان طعمه كالغبار. ليس غبار الأرشيف، ولا بقايا النقوش والإصلاحات المخلوطة بالطين، بل شيء أقدم ، غبار طمي الأنهار الذي جف قبل أن تُسمى الأنهار، غبار التربة الذي انضغط قبل أن يُصمم الانضغاط.

رفعت رأسها.

السماء اختفت.

فوقها، حيث كان السقف الأبيض المسطح، حيث كان الضوء الكهرماني الخافت يتسلل عبر شقوق في بنية الجبل، لم يكن هناك سوى تربة متراصة وحجر منحوت. طبقات من المواد تضغط لأسفل من ارتفاع لا تستطيع رؤيته ، طين، طمي، حجر مضغوط، الوزن المتراكم لعالم دُفن لإفساح المجال للعالم فوقه. لم يأتِ أي ضوء من الأعلى. كانت الإضاءة الوحيدة تأتي من شقوق ضيقة في الجدران ، خطوط رفيعة من اللون الكهرماني تخترق الظلام على فترات غير منتظمة، نفس النوع من الضوء الذي كان يملأ الأرشيف، لكنه أرق هنا، وأكثر يأسًا، كما لو كان يكافح للوصول إلى مكان لا يُفترض أن يصل إليه الضوء.

تغير الصوت.

اختفى صوت النحت. اختفت قنوات المياه. تلاشى أزيز الطبقات المضغوطة وهي تستقر. وحل محلها: الصمت. ليس الصمت النسبي للورشة، حيث كان غياب الصوت ملحوظًا لأن هناك صوتًا كان من المفترض أن يغيب. صمت مطلق ، من النوع الذي كان موجودًا عندما لم يتحرك شيء، ولم يتنفس شيء، ولم يصدر أي شيء أي اهتزاز على الإطلاق. كان الصوت الوحيد هو الاحتكاك الجاف لقدميها على الحجر، كل خطوة صوت صغير حاد يموت على الفور، يبتلعه الصمت كما لو كان الصمت متعطشًا له.

وقفت على عتبة كور.

احتفظت الفجوة في صدرها بحجارتها ،*الأم*، *السلطة*، *الرفض*، *العنف التأسيسي*، ووزن التواطؤ يضغط عليها من الجانب، لا يزال غير مصنف، لا يزال ينتظر. لم تخف الحجارة وزنها وهي تعبر العتبة. لم تتحرك. أصبحت *ثقلًا* ، ذلك النوع من الوزن الذي يسمح للجسد بالهبوط دون أن يمزقه ضغط الهبوط، الذي يثبت بدلاً من أن يثقل، الذي يجعل الحركة ممكنة التي لولا ذلك لكانت مستحيلة.

بدأت تمشي.

كان المسار ينحدر. ليس تدريجياً ، بالطريقة التي تنحدر بها التلة، بمنحدرات بطيئة ولطيفة تنقل المسافر من ارتفاع إلى آخر. بل بدقة. بالطريقة التي تنحدر بها السلالم، بخطوات محددة تنقل الجسد من مستوى إلى آخر في تسلسل محدد مسبقاً. كان الحجر تحت قدميها منحوتًا بنفس الدقة التي رأت في ورشة إنكي، ونفس القنوات التي تمتد على طول الجدران، ونفس علامات الأدوات المرئية في الضوء الخافت. لكنه أقدم هنا. بالٍ. ذلك النوع من البلى الذي لا يأتي من الاستخدام بل من *الزمن*، التآكل البطيء والصبور للمادة التي كانت موجودة منذ ما قبل اختراع مفهوم الاستخدام.

كان الصمت يضغط عليها. ليس بشكل عدواني ، ليس ذلك النوع من الضغط الذي يدفع ويحشر ويطالب بالاهتمام. بل بشكل سلبي. بالطريقة التي يضغط بها الحجر على الأشياء التي تستقر عليه. بالطريقة التي تضغط

بها الأرض على الأشياء المدفونة فيها. ذلك النوع من الضغط الذي يقول *أنت هنا الآن، وهنا يختلف عن المكان الذي كنت فيه، وهذا الاختلاف ليس شيئًا يمكنك التفاوض بشأنه* .

واصلت السير.

ظهرت البوابة الأولى بعد نزول لم تقسه بالخطوات أو بالوقت ، فقط بتغير طبيعة الحجر تحت قدميها، وتعمق الضوء الكهرماني المنبعث من الشقوق، وزيادة كثافة الصمت الذي أحاط بها. لم تكن بوابة بالمعنى المعتاد للبوابات ، لم تكن حاجزًا، ولا بابًا، ولا شيئًا يمكن فتحه أو إغلاقه أو الدفاع عنه. كانت *عتبة* :عمودان حجريان يرتفعان من الأرض، يدعمان عتبة تمتد على عرض الممر، منحوتة بقنوات مسمارية متشابكة تعكس القنوات الموجودة في ورشة إنكي، لكنها أقدم وأغمق، وقد صقلتها قرون من المرور الصامت.

اقتربت منه. لم تكن القنوات في العتبة نشطة ، لم يتدفق الماء من خلالها، ولم يتحرك أي ضغط في الأنماط التي تصفها. لكنها لم تكن فارغة. كانت تحتوي على شيء ، ذلك النوع من الأشياء التي تتراكم في القنوات التي صُممت لتوجيه التدفق لكنها لم توجه التدفق منذ زمن طويل جدًا. بقايا. ذاكرة. انطباع عما بُنيت القنوات من أجله، محفوظ في الحجر كما يُحفظ النقش في الطين.

عبرت من خلاله.

وصلت الصدمة الجسدية عندما عبرت العتبة ، ليس قبل ذلك، ولا بعده، بل *في* اللحظة التي احتل فيها جسدها الفراغ بين الأعمدة، عندما كانت القنوات في العتبة فوقها مباشرة، عندما ضغطت عليها من أعلى بقايا قرون من الزمن. لم تكن صوتًا. لم تكن صورة. لم تكن مشهدًا من حياة لا تستطيع تذكرها. كانت *وضعية* .

استقام عمودها الفقري.

لم يكن استقامة جسد كان منحنيًا وقرر الوقوف بشكل صحيح ، ذلك النوع من الاستقامة الذي يأتي من الاختيار. بل كانت استقامة جسد *يتذكر* الزاوية التي كان من المفترض أن يحافظ عليها، الزاوية المحددة والدقيقة التي حافظ عليها لسنوات، لعقود، لحياة عمل تُقاس بآلاف الساعات من الجلوس على مقعد مع قلم في يدها. شعرت بذلك في فقراتها ، الدرجة الدقيقة للتمدد، والمنحنى الدقيق لأسفل الظهر، والطريقة التي كان من المفترض أن تستقر بها كتفيها، والطريقة التي كان من المفترض أن يميل بها ذقنها. وضعية كاتبة رفيعة المستوى. وضعية السلطة. وضعية شخص جلس فوق الآخرين وسجل ما قالوه وجعله دائمًا.

تحركت يدها اليمنى. ليس باختيارها ، نفس النوع من الحركة التي حدثت في المستنقعات عندما شكلت أصابعها شكل ختم تقليدي. انحنت أصابعها حول شيء لم يكن موجودًا ، القبضة المحددة والدقيقة ليد تمسك بخاتم، خاتم رسمي، من النوع الذي يضغط على الطين ويترك بصمة لا يمكن تزويرها أو تغييرها أو إنكارها. شعرت بثقله

على إصبعها ، الوزن الدقيق، الكثافة الدقيقة، التوزيع الدقيق للكتلة التي سيكون عليها خاتم من الطين المحروق والحجر المصقول لو صُنع وفقًا للمواصفات التي كانت تحفظها عن ظهر قلب ذات يوم.

ترسخت الذكرى.

شعرت بها تستقر في جوف صدرها، وتجد مكانها بين الأحجار التي كانت موجودة بالفعل ،*الأم*، *السلطة* ، *الرفض*، *العنف التأسيسي*، لتضيف نفسها إلى التراكم، وتضاعف الوزن، وتجعل الجوف ليس أكثر فراغًا بل *أكثر امتلاءً* . ذكرى وظيفتها. ذكرى موقفها. ذكرى الخاتم الذي كان يزين إصبعها ذات يوم، والذي أُخذ منها عندما ضُغط ختم اسمها في الطبقات السطحية للسجل.

لم تجلب الراحة.

بل جلبت *الكثافة* .ذلك النوع من الكثافة الذي يتراكم عندما يُضغط المادة في مساحة أصغر، عندما ينخفض الحجم لكن الكتلة تبقى ثابتة، عندما يصبح ما كان منتشرًا في السابق مركّزًا. لم يعد الفراغ في صدرها فارغًا. كان يمتلئ. كانت الحجارة تجد مواقعها، تستقر في مكانها، وتخلق بنية يمكنها تحمل الوزن لأنها كانت هي نفسها وزنًا.

قالت" :أُدرجت."

كانت الكلمة جافة، وظيفية، من النوع الذي يستخدمه الكاتب ليقر بأن إدخالًا قد تم، وأن سجلًا قد تم تحديثه، وأن إجراءً قد اكتمل. لم تتوقف لتفحص الذكرى، أو تبحث فيها عن سياق، أو تحاول إعادة بناء الحياة التي جاءت منها. قامت بتسجيلها. وواصلت.

ازداد النزول عمقاً.

أصبح الهواء أقل كثافة ، ليس ذلك النوع من التخفيف الذي يأتي من الارتفاع، بل النوع الذي يأتي من *العمر*، من الهواء الذي ظل ساكناً لفترة طويلة لدرجة أنه فقد القدرة على حمل أي شيء سوى نفسه. تغيرت الرائحة: طمي نهر جاف، حديد مؤكسد، ذلك النوع من الرائحة المعدنية التي تأتي من الحجر الذي تعرض لعناصر لم تعد موجودة. أصبح الضوء الكهرماني المنبعث من الشقوق أضعف وأخف، وأصبحت الخطوط في الجدران أضيق مع زيادة الضغط من الأعلى.

ظهرت البوابة الثانية.

كانت أوسع من الأولى ، الأعمدة متباعدة أكثر، العتبة تمتد لمسافة أكبر، القنوات في سطحها أكثر تعقيدًا، أكثر تشابكًا، منحوتة بدقة أكبر. نوع البوابة التي صُممت لشيء أكبر من مجرد ممر ، نوع البوابة التي تمثل عتبة ليس للمساحة بل *للأهمية*، نوع العتبة التي تقول *ما يعبر هنا ليس هو نفسه ما عبر من قبل*.

اقتربت منها. كانت القنوات في العتبة تحتوي على بقايا أكثر من البوابة الأولى ، أغمق، وأكثر كثافة، ذلك النوع من التراكم الذي يأتي من مرور متكرر، ومن وزن أكبر يضغط عليها، ومن قرون أكثر من حركة مرور صامتة تنتقل من حالة إلى أخرى. عبرت من خلالها.

حدثت الصدمة الجسدية.

لم يكن الأمر يتعلق بالوضعية هذه المرة ، لم يكن زاوية عمودها الفقري أو قبضة يدها .*النية* .شعرت بها في أصابعها أولاً ، الحركة المحددة والدقيقة لليدين وهما ترتبان الألواح على سطح، حركة شخص لا يكتفي بوضع الأشياء بل *يرتبها* ، ويخلق تسلسلاً، ويؤسس نمطاً يضفي معنى على ما كان فوضى. تحركت أصابعها في الهواء، لا ترتب شيئاً، ولا تلمس شيئاً، لكنها تؤدي الإيماءة بثقة من قام بها عشرة آلاف مرة.

ثم اليقين.

ليس يقينًا عاطفيًا ، ليس الشعور بالصواب، أو الاقتناع بالصحة، أو دفء الثقة بالنفس. بل يقين هيكلي. ذلك النوع من اليقين الذي ينبع من معرفة أن الحقيقة يجب تجميعها قبل أن تصبح سلاحًا، وأن السجلات يجب ترتيبها قبل أن تُستخدم، وأن عمل بناء أرشيف شامل لا يتطلب شغفًا بل *دقة* .شعرت به يستقر في صدرها جنبًا إلى جنب مع الحجارة الأخرى ، الوزن المعماري المحدد لغرض كان واضحًا، كان متعمدًا، تم السعي إليه بنفس الصبر المنهجي الذي استخدمته لإصلاح الألواح في الأرشيف الذي كان ينزف.

السجلات المكبوتة. الترتيب المتعمد. المعرفة الهادئة والواثقة بأن ما كانت تبنيه سيكون ذا أهمية، وأن تجميع الحقيقة لم يكن تمرينًا أكاديميًا بل سلاحًا، وأن الأرشيف الذي كانت تبنيه سيكشف ما كان مدفونًا ويجعله دائمًا بطريقة لا يمكن محوها أو ضغطها أو تصحيحها.

أرخت الذكرى نفسها.

انضمت إلى البقية ،*الأم*، *السلطة* ، *الرفض*، *العنف التأسيسي*، *الوظيفة* ، وأصبح الفراغ في صدرها أثقل، وأكثر كثافة، وأكثر تنظيماً. لم تعد الحجارة منفصلة. كانت *متصلة* ، بالطريقة التي تتصل بها الحجارة في جدار، بالطريقة التي تصبح بها مكونات البناء بناءً عندما تُرتب بالنمط الصحيح والتسلسل الصحيح والوزن الصحيح. لم تفحص الذكرى. لم تحاول إعادة بناء السياق. شعرت بالوزن يستقر، واعترفت به بنفس الاهتمام الجسدي الذي أولته للبوابة الأولى، وواصلت.

كان المسار ينحدر بزاوية دقيقة لا تتزعزع.

ظهرت البوابة الثالثة بعد نزول بدا أطول من البقية ، ليس لأن المسافة كانت أكبر، بل لأن الوزن الذي كانت تحمله كان أكبر، والوزن يغير تجربة المسافة، ويجعل كل خطوة أثقل، ويجعل كل لحظة من النزول أكثر حضوراً، وأكثر *واقعية*، وأكثر استحالة لتجاهلها. كان الحجر هنا أقدم من أي شيء رأت،أغمق، وأكثر كثافة، من النوع الذي كان موجوداً قبل تصنيف المواد، قبل أن يحدد النظام الذي نظم العالم الفرق بين الطين والحجر والطمي.

كانت البوابة أعمق عتبة قبل الغرف الداخلية. كانت الأعمدة ناعمة من التآكل،ليس بفعل الأدوات بل بفعل الزمن، بفعل التآكل البطيء والصبور للمادة التي كانت موجودة منذ قبل أن يُطلق اسم على التآكل. كانت القنوات في العتبة غير مرئية تقريبًا، متآكلة إلى أخاديد ضحلة لا تحتفظ إلا بأضعف بقايا التدفق الذي كانت توجهه ذات يوم. لم تكن هذه بوابة استُخدمت مؤخرًا. كانت هذه بوابة استُخدمت *دائمًا* ، مرات عديدة لدرجة أن الاستخدام أصبح جزءًا من المادة، كما تصبح عروق الخشب جزءًا من الخشب، وكما يصبح طبقات الحجر جزءًا من الحجر.

عبرت من خلالها.

ووصلت الصدمة الجسدية.

ليس الموقف. ليس القصد. *التكلفة*.

لم ترَ وجهًا. لم تسمع صوتًا. لم تشهد مشهدًا ، جسدًا يسقط، أو أنفاسًا تتوقف، أو لحظة عنف يمكنها تحديدها على أنها اللحظة التي تغير فيها كل شيء. شعرت بشيء أكثر دقة من ذلك. أكثر هيكلية. أكثر *تحملًا*.

التوقف المحدد والمادي للتنفس.

ليس تنفسها ، بل تنفس شخص آخر. تنفس جسد كان حيًا ثم لم يعد حيًا، الانتقال من حالة إلى أخرى لا يتسم بالدراما بل *بالبساطة*، مثلما يتحول اللوح من غير مكتوب إلى مكتوب عندما يضغط عليه القلم، ومثلما يتحول الطين من رطب إلى جاف عندما يلمسه النار. توقف التنفس. توقف الجسد. حدث الانتقال. وهي من تسببت في ذلك ، ليس بشكل مباشر، ليس بيديها، ليس بسلاح، بل بالعمل الذي قامت به، والأرشيف الذي أنشأته، والحقيقة التي جمعتها.

تبع ذلك الانتقام الإداري. شعرت بذلك أيضًا ، ليس كسرد، ليس كقصة، بل *كهندسة*، بالطريقة التي يشعر بها المبنى عندما يُصمم لتحمل حمولة محددة. أدى الكشف عن السجلات المكبوتة إلى رد فعل ، ليس عاطفيًا، ولا شخصيًا، بل إجرائيًا، ذلك النوع من الردود التي يصدرها النظام عندما يهدد متغير ما استقراره. تم محو شخص ما بسبب ما قامت ببنائه. توقف تنفس شخص ما لأن الحقيقة التي جمعتها جعلت هذا التوقف ضروريًا، من منظور النظام، ذلك النوع من الضرورة التي لا تعترف بنفسها على أنها عنف لأن العنف ليس فئة يستخدمها النظام لوصف عملياته الخاصة.

الذكرى أرخت نفسها.

استقرت في جوف صدرها بثقل مختلف عن البقية ، ليس أثقل بالضبط، بل *أكثر كثافة* ، كما تكون حجارة أكثر كثافة من حجارة أخرى بنفس الحجم عندما يتم ضغطها، عندما يُدفع المادة إلى مساحة أصغر، عندما تظل الكتلة ثابتة لكن الحجم ينخفض. كان الجوف ممتلئًا الآن. ليس فارغاً، وليس مملوءاً جزئياً، وليس يتراكم نحو الاكتمال ،*ممتلئاً* .لم تعد الحجارة منفصلة. كانت *متكاملة* ، كما تتكامل المكونات عندما تصل البنية إلى شكلها النهائي، عندما تتصل العناصر الحاملة ويتوزع الوزن ويصبح الكل قادراً على تحمل ما لم تكن الأجزاء لتتحمله بمفردها.

أربع حجارة. تواطؤ. وظيفة. غرض. تكلفة.

لم يعد الفراغ في صدرها فراغًا. كان *هيكلًا* .هيكلًا حاملًا للوزن. ذلك النوع من الهياكل الذي يمكنه النزول أكثر، والذي يمكنه تحمل المزيد، والذي يمكنه حمل ما يجب حمله إلى الأماكن التي يتطلب الأمر حملها إليها.

لم تبكِ. لم تنهار. لم تتوقف لتفحص الوزن، لتتساءل عما إذا كانت تستطيع تحمله، لتتساءل عما إذا كان النزول قد أخذ منها شيئًا لن تتمكن من استعادته. عدلت قبضتها على القلم المكسور ، جذع القصب الملطخ ببقايا كل ما لمسته، والطرف لا يزال صلبًا، ولا يزال قادرًا على الضغط في الطين كما يضغط المفتاح في القفل. شعرت بالوزن في صدرها ، ليس كشيء تحمله، بل كشيء *تمثله* .تلاشى الفرق. أصبح الحامل والمحمول شيئًا واحدًا.

تجاوزت البوابة الثالثة.

في محيطها، وجود.

لم تستدر لتنظر. لم تكن بحاجة إلى ذلك. كان الوجود مألوفاً ، نفس الوجود الذي ظهر عند خط الماء في المستنقعات، نفس الوجود الذي استقر مع تراكم الحقيقة لديها، نفس الوجود الذي أصبح الآن أكثر صلابة مما كان عليه في أي وقت منذ أن رأتُه لأول مرة. دوموزي،آش. الصبي الذي تلاشت حوافه كالحبر على الطين غير المحروق، الذي اكتسب شكله حدة مع استقرار الحجارة في صدرها، والذي كان استقراره نتيجة مباشرة للحقيقة التي استعادتها.

لم يتكلم. لم يقترب. وقف على حافة مجال رؤيتها، حيث يلتقي الضوء الكهرماني المنبعث من الشقوق بالظلام الأعمق للممر أمامها، وكان *يتنفس* .ليس تنفس جسد حي ، ذلك النوع من التنفس الذي يأتي من رئتين تحتاجان إلى الهواء، من جهاز يحتاج إلى الأكسجين ليعمل. تنفس هيكلي. ذلك النوع من التنفس الذي يتوافق مع إيقاع وزنها المتراكم، الذي يرتفع وينخفض بالتزامن مع استقرار الحجارة في صدرها، والذي لا يوجد ككيان منفصل بل *كصدى* ، صدى، تناغم، ذلك النوع من الوجود الذي يحدث عندما ينتج نظام ترددًا يتطابق مع تردد نظام آخر ويبدأ الاثنان في الاهتزاز بالتزامن.

كانت حوافه مستقرة. اختفى التعتيم الذي كان يميزه في المستنقعات، وحل محله وضوح لم يكن كاملاً بعد ، لم يكن صلبًا تمامًا، ولم يكن حاضرًا تمامًا، ولم يكن *موجودًا* تمامًا ، لكنه كان أقرب مما كان عليه في أي وقت مضى. كلما استعادت المزيد من الحقيقة، أصبح أكثر صلابة. كلما تراكمت عليها المزيد من الأوزان، أصبح شكله أكثر استقرارًا. لم يكن يرشدها. لم يكن يواسيها. كان *يشهد* ، نفس الوظيفة التي كان يؤديها منذ البداية، لكنه أكثر حضوراً الآن، وأكثر قدرة على أداء الوظيفة لأن الحقيقة التي كانت تدعمه قد استُعيدت بشكل أكمل.

لم تعره أي اهتمام. لم تلتفت لتنظر. واصلت النزول، وواصل هو الوجود على حافة رؤيتها، وتحرك الاثنان عبر ظلام كور بالتوازي، متصلين بالوزن الذي كانت تحمله والاستقرار الذي يوفره.

استمر النزول.

كان الصمت مطلقاً. كان الظلام كاملاً باستثناء الخطوط الكهرمانية الرفيعة المنبعثة من الشقوق. كان الحجر تحت قدميها قديماً، مضغوطاً، من النوع الذي كان موجوداً في مكانه منذ ما قبل اختراع مفهوم المكان. كان المسار ينحدر بزاوية لم تتغير، ولم تقل، ولم توحي بأي إشارة إلى أن النزول سينتهي أو أن ما يوجد في الأسفل سيكون مختلفاً عما يوجد في الأعلى.

حافظت الفجوة في صدرها على هيكلها ، الحجارة متكاملة، والوزن موزع، وقدرة تحمل الحمولة محققة بالكامل. لم تعد تحمل الوزن. هي *كانت* الوزن. تلاشى التمييز بالطريقة التي تتلاشى بها التمييزات عندما يصل أي عملية إلى نهايتها ، تدريجيًا، ثم فجأة، بالطريقة التي يذوب بها الطين في الوحل عند إضافة كمية كافية من الماء، وبالطريقة التي يتفتت بها اللوح إلى شظايا عند انتشار عدد كافٍ من الشقوق.

لم تنظر إلى الوراء.

قلبت الأسطورة رأساً على عقب. في القصة التي لم تتذكر سماعها ، قصة إنانا التي نزلت وجردت من ملابسها عند كل بوابة، وفقدت تاجها وخرزها ودرعها، ووصلت إلى العالم السفلي عارية ومذلولة وعاجزة ، أُعطيت مساراً مختلفاً. عند كل بوابة، كان هناك شيء ما *يُستعاد* .الوظيفة. الغرض. التكلفة. أصبح التجريد تحميلًا. أصبح الإذلال *تحضيرًا* .نزلت ليس كشخص ضعيف بل كشخص قوي، ليس كشخص فقد قوته بل كشخص جمعها، ليس كشخص يُعاقب بل كشخص *يُجهز*.

لم يكن الوزن عبئًا. كان *أساسًا* .ذلك النوع من الأساس الذي يمكنه تحمل ما يجب تحمله، ودعم ما يجب دعمه، وحمل ما يجب حمله في المكان الذي يتطلب الحمل.

اتبعت المنحدر نحو مملكة إيريشكيغال.

أحاطت بها الظلمة. ساد الصمت. حافظت الحجارة في صدرها على هيكلها، وتكاملها، وقدرتها على تحمل الأحمال. تحرك دوموزي،آش على حافة رؤيتها، حوافه ثابتة، وتنفسه يتوافق مع إيقاع وزنها المتراكم.

لم يعد في الجوف مكان للبكاء. كان الانهيار مستحيلًا من الناحية الهيكلية. عدلت قبضتها على القلم. لم يتطلب النزول سوى الحركة إلى الأمام. نزلت.

الفصل العاشر — ثقل الماضي

قطعة تم استخراجها من الخزانة الداخلية في كور، على عمق غير محدد. مصنوعة من مركب طيني، وحالتها شبه كاملة. يُظهر السطح تجميعًا متعمدًا وشاملًا بدلاً من التآكل ، مما يشير إلى أنها سجل نهائي وليس قطعة أثرية تالفة. النسخ التقريبي:

...تم استكمال السجل الكامل في يوم [حذف متعمد: تم حذف التاريخ] من [حذف: تم حذف تسمية الدورة]. احتوى الأرشيف على سبعمائة وثلاثة وأربعين لوحًا توثق التعديلات التأسيسية، وثلاثمائة واثني عشر لوحًا تسجل بروتوكولات الضغط، ومائة وتسعة وثمانين لوحًا ترسم خرائط لتحويلات الحبوب، وواحد وأربعين لوحًا تسجل [حذف: تم حذف المصطلح] الموظفين الذين أصبحوا ضحايا هيكليين خلال مرحلة العزل...

...لم تكن التضحية عرضية. كانت التضحية [حذف متعمد: حرفان]... لإكمال سلاح التسجيل، تطلب الأمر عزل الأرشيف. وتطلب العزل تحويلاً. تطلب التحويل [حذف: ثلاثة أحرف]... توثق دفاتر الحسابات للأجنحة الخارجية توقف تدفق الحبوب لمدة سبعة عشر يومًا. توثق دفاتر الحسابات [حذف: مصطلح محذوف] الذي نتج عن ذلك. توثق دفاتر الحسابات استمرار الكتابة خلال فترة التوقف. لم يتوقف المُجمع...

...لم يكن الإدخال الأخير في السجل الكلي نقشًا. كان الإدخال الأخير [حذف: حرف واحد]... ابن المعد، عمره اثنا عشر عامًا، المنصب: حامل الطين، الدورة الثالثة. ينص الإدخال على: إصابة هيكلية. بروتوكول عزل الأرشيف. ضغط لا رجعة فيه. الإدخال موقّع بختم المعد. الختم جاف. تم الحفاظ على الختم جافًا...

[ينتهي اللوح عند هامش نظيف ومتعمد]

انفتحت الطبقات.

لم يكن ذلك تدريجيًا ، بالطريقة التي تنفتح بها الممرات عندما تؤدي من مكان إلى آخر، مع اتساع بطيء يسمح للعين بالتكيف، وللجسد بالاستعداد. بل فجأة. الجدران المضغوطة التي كانت تضغط عليها من جميع الجوانب أثناء نزولها أفسحت المجال لمساحة لم تكن ممرًا، ولا رواقًا، ولا امتدادًا للمسار النزولي. غرفة. دائرية، ربما يبلغ عرضها عشرين خطوة، وسقفها يضيع في الظلام فوقها، وجدرانها ترتفع في منحنيات متدرجة تتبع هندسة الضغط ، نفس التربة الطبقية والحجر المنحوت الذي كانت تنزل من خلاله، لكنها مرتبة بشكل مختلف هنا، ليس كممر يتم المرور من خلاله بل *كحاوية* يجب ملؤها.

دخلت إليها.

كان الهواء ساكنًا. لم يكن السكون النسبي للممرات في الأعلى، حيث كان الصمت ينكسر بفرك أقدامها الجاف والهمهمة المنخفضة للطبقات المضغوطة وهي تستقر. سكون مطلق. ذلك النوع من السكون الذي يوجد في الأماكن المغلقة، في السراديب، في الأرشيفات التي ظلت مغلقة لفترة أطول مما تستطيع الذاكرة قياسه. كان الضوء الكهرماني المنبعث من الشقوق أضعف هنا، بالكاد مرئي، يتسرب عبر طبقات عديدة من المواد المضغوطة بحيث يصل كوهج شاحب بدلاً من خط محدد، لا يضيء شيئاً محدداً بل يجعل الظلام *مرئياً*، بالطريقة التي تجعل شمعة واحدة ظلام غرفة كبيرة مرئياً من خلال إظهار الأماكن التي لا يضيئها.

الجدران لم تكن جدرانًا. كانت *سجلات*.

رأت ذلك عندما استدارت، وعندما تأقلمت عيناها مع الوهج الباهت، وعندما سجلت هندسة الغرفة نفسها في فهمها الجسدي. لم تكن طبقات الطين والحجر التي تشكل الأسطح المنحنية طبقات عشوائية ، من النوع الذي يحدث عندما تتراكم المواد بمرور الوقت دون قصد. كانت *منظمة* .كانت كل طبقة عبارة عن طبقة من النقوش، مضغوطة ومدمجة ومكبوسة في مادة الجدار نفسه، مثلما تُكبس الألواح في الطين عند حفظها، ومثلما تُضغط المدخلات في دفتر الحسابات عند إغلاقه. ولم تكن النقوش في الطبقات عامة، ولا إدارية، ولا من النوع الذي يمكن أن ينتمي إلى أي أرشيف في أي مدينة في أي عصر.

كانت نقوشها الخاصّة.

شعرت بذلك قبل أن تفهمه ، صدى في جوف صدرها، نفس النوع من الصدى الذي شعرت به عندما ضغطت براحة يدها على عتبة البوابة الثالثة، عندما تم التعرف على الوزن المتراكم الذي كانت تحمله من قبل الآلية التي تحكم المرور. لكنه أقوى هنا. أكثر اكتمالاً. الوزن في صدرها *, الأم، السلطة، الرفض، العنف التأسيسي، التواطؤ، الوظيفة، الغرض، التكلفة* ، لم يكن يتردد صداه مع الغرفة فحسب. بل كان *يتطابق* معها. كانت هندسة المكان هي هندسة الوزن. كانت منحنيات الجدران تتبع خطوط الحجارة المتراكمة. بُنيت الغرفة لتحتوي ما كانت تحمله ، أو ما كانت تحمله، ذات مرة، قبل أن يُؤخذ منها ويُضغط في الطبقات السطحية للسجل.

لم يقلّ وزن الفراغ في صدرها. بل أصبح *ثقلًا متوازنًا* ، ذلك النوع من الأثقال الذي يسمح للهيكل بتحمل ما لا يمكنه تحمله بخلاف ذلك، والذي يوزع الحمل على الأسطح التي قد تنثني لو تركز الحمل، والذي يوفر نوعًا من الاستقرار لا يمكن تحقيقه بالقوة وحدها.

وقفت في وسط الغرفة. ارتفعت الجدران من حولها، منحنية ومتعددة الطبقات ومزخرفة بأعمالها الخاصة. ضغط عليها السكون من كل جانب. استقر الثقل في صدرها في شكله النهائي ، لا يتغير، لا يتحرك، بل *يثبت*، كما يثبت الأساس عندما يكتمل المبنى الذي يدعمه.

بدأ العرض.

لم تكن رؤية.

لم ترَ مشاهد ، بالطريقة التي يرى بها الشخص المشاهد عندما يتذكر، بالطريقة التي تتشكل بها الصور وتذوب في مسرح العقل، بالطريقة التي تنكشف بها الروايات ببداية ووسط ونهاية. ما شعرت به كان *البنية* .البنية المادية المحددة للعمل الذي تم إنجازه على مدى فترة زمنية لم تستطع قياسها، بأيدي أدركت الآن أنها أيديها، باتباع تسلسل لم تكن لتستطيع وصفه لكنها كانت قادرة على *إعادة إنتاجه*.

استقام العمود الفقري.

وضعية المقعد المرتفع ، نفس الوضعية التي شعرت بها عند البوابة الأولى، لكنها الآن أكثر امتلاءً، وأكثر اكتمالاً، لا تحمل فقط زاوية ظهرها بل *سياق* الزاوية. كانت جالسة. كانت جالسة على مقعد أعلى من المقاعد المحيطة به، في غرفة أكثر هدوءًا من الغرف المحيطة بها، في وضع أكثر أهمية من الأوضاع المحيطة بها. لم يكن هذا الوضع عرضيًا. كان *مصممًا* ، تصميم جسد أدرك أن وضعه ينقل شيئًا ما، وأن زاوية العمود الفقري يمكن أن تعبر عن *السلطة* بوضوح مثل أي ختم أو نقش.

تحركت يداها.

قبضة الختم التقليدي ، ليس ذكرى القبضة التي شعرت بها من قبل، بل القبضة نفسها، الطريقة المحددة والدقيقة التي لفّت بها أصابعها حول شيء لم يكن موجوداً، الضغط الدقيق الذي كانت ستطبقه، الزاوية الدقيقة التي كان سيستقر عندها الختم على راحة يدها. لكن القبضة لم تكن هي المقصود. كانت القبضة هي *الشرط المسبق* .ما تلا ذلك كان العمل.

الصوت الإيقاعي لقلمها.

ليست رفضًا ، بل *تجميعًا* .شعرت بالفارق يستقر في صدرها كحجر يجد مكانه في جدار. كان الرفض الذي استعادته عند البوابة السادسة، ذلك *اللا* الذي خرج من حلقها عندما طلب المرسوم الإلهي النسخ، هو القطعة الأخيرة. ما سبق الرفض كان سنوات من العمل ، آلاف الساعات، عشرات الآلاف من النقوش، التجميع المنهجي والمنظم لسجل من شأنه أن يكشف ما دفنه النظام.

تذكرت يداها الضغط الدقيق، والزاوية الدقيقة، والتسلسل الدقيق.

تبعت أختام الأسماء المضغوطة. شعرت بذلك في أصابعها ، الحركة المحددة للبحث في دفاتر الحسابات، والعثور على علامات الكشط التي تشير إلى أن اسمًا قد أُزيل، وتسجيل الموقع والتاريخ وظروف كل إزالة في لوح منفصل عن السجل الرسمي، مخفي، محمي، محفوظ.

تسجيل النقابات المقموعة. شعرت بذلك في معصميها ، قلب الصفحات، الفحص الدقيق للطبقات الأساسية، توثيق النقوش التي دُفنت تحت نقوش أحدث، رسم خريطة لحالة سابقة حاول النظام محوها.

توثيق التلاعب بالحبوب. شعرت بذلك في ساعديها ، المقارنة المرجعية لدفاتر الشحن، وحساب التباينات، وكشف عمليات التحويل التي كانت مخبأة في تعقيدات إدارية، والكشف عن أن النظام لم يكن يمحو الذاكرة فحسب، بل كان يستخدم المحو *لتغذية نفسه* ، لإعادة توجيه الموارد من أولئك الذين يحتاجونها إلى أولئك الذين يتحكمون بها.

لم يكن الأرشيف فكرة. لم يكن مشروعًا. لم يكن أملًا أو خطة أو حلمًا بالعدالة قد يتحقق يومًا ما. كان *آلة* ، آلة صنعتها بيديها، لوحًا تلو الآخر، نقشًا تلو الآخر، على مدى سنوات تم ضغطها في نفس الطبقات تحت السطحية التي احتوت أسماء العمال المجهولين وذاكرة الحالة السابقة ووزن العنف التأسيسي. لقد صنعت سلاحًا من السجلات. أرشيفًا شاملاً مصممًا لفضح الجرائم الإدارية للنظام الإلهي، والمحو المنهجي للدولة السابقة، وآليات السيطرة التي حافظت على استقرار النظام من خلال إبقاء الحقيقة مضغوطة.

كان رفضها هو القطعة الأخيرة. ليس بداية المشروع ، بل *نهايته* .الإدخال الأخير. الختم الذي جعل الأرشيف دائمًا، لا يمكن محوه، محصنًا ضد بروتوكولات الضغط التي دفنت كل شيء آخر. كانت تمتلك السلطة لجعل الحقيقة دائمة، واستخدمت تلك السلطة، و»*لا* «التي نطقتها لم تكن مقاومة بل *إكمالًا*.

استمر التشغيل.

لم يتوقف التسلسل عند الانتصار.

شعرت بالتغير ، هيكل العمل يتغير، الآلة التي بنتها تكشف عن *تكلفتها* ، بالطريقة التي تكشف بها الآلة عن تكلفتها عندما تنظر إلى ما تستهلكه بدلاً من ما تنتجه. استجابت الطبقات في جدران الغرفة، والطبقات المضغوطة تتوافق مع الثقل في صدرها، والتشغيل ينتقل من التجميع إلى النتيجة.

لعزل الأرشيف عن المنفذين للإرادة الإلهية، كان عليها أن تغلق محيط المعبد.

شعرت بذلك في كتفيها ، الوزن المادي المحدد لإصدار أمر، ومشاهدة تنفيذ الأمر، ومعرفة أن الأبواب التي تغلقها لن تُفتح مرة أخرى، وأن الحدود التي ترسمها لن يتم تجاوزها، وأن العزل الذي تخلقه سيكون كاملاً وتاماً ولا رجعة فيه.

لتمويل الطين المقاوم للضغط وأفران الحرق، كان عليها تحويل مخزون الحبوب.

شعرت به في صدرها ، ليس الفراغ، الذي لم يعد فارغًا بل امتلأ بالوزن المتراكم لكل ما استعادته، بل المساحة *حول* الوزن، المساحة التي كان فيها ثمن ما فعلته يضغط على البنية التي بنتها. طرق الحبوب. الأحياء الخارجية. الناس الذين يعتمدون على الحبوب للبقاء على قيد الحياة، الذين لم يكن لديهم أي علم بالأرشيف الذي كانت تبنيه، الذين لم يكن لهم مصلحة في الحقيقة التي كانت تجمعها، الذين كانوا ببساطة *هناك*، يعيشون حياتهم، يتنفسون أنفاسهم، حتى توقفت الأنفاس لأن الحبوب توقفت.

تحولت الشظية من البوابة السادسة إلى حقيقة جسدية كاملة.

"إذا رفضتِ، ستُغلق طرق الحبوب. وستجوع الأحياء الخارجية".

لم ترفض ثم اكتشفت العواقب. كانت تعرف العواقب قبل أن ترفض. كانت قد حسبتها. لقد وزنت التكلفة ، الوزن الإداري المحدد للأرواح البشرية المقاسة بتخصيصات الحبوب وجداول النقل والحسابات الباردة للعرض والطلب ، وقررت أن التكلفة *مقبولة* .ليس لأنها أرادت أن يموت الناس. ليس لأنها لم تكن تهتم. لأن سلاح التسجيل يتطلب العزلة، والعزلة تتطلب التحويل، والتحويل يتطلب نوعًا من التضحية لا يمكن القبول به دون *اختياره*.

اختارت.

لقد أذنت بالتحويل. قطعت الطرق. راقبت دفاتر الحسابات للأحياء الجائعة ، الدفاتر المادية المحددة التي وثقت توقف تدفق الحبوب، وسجلت الأيام التي مرت دون طعام، وتتبعت الانهيار البطيء والمنهجي للأجساد التي اعتمدت على ما أخذته ، وواصلت الكتابة. لوحة تلو الأخرى. قيد تلو الآخر. استمرت آلة التسجيل في العمل بينما توقفت آلة البقاء عن العمل، ولم تتوقف هي لأن التوقف كان سيعني التخلي عن المشروع، والتخلي عن المشروع كان سيعني قبول الضغط، وقبول الضغط كان سيعني السماح للحقيقة بالبقاء مدفونة.

تطلبت استقامتها أضرارًا جانبية.

لم تكن التكلفة مصادفة. كانت صفقة محسوبة. كانت محقة ، محقة بشأن العنف الأساسي، محقة بشأن الجرائم الإدارية، محقة بشأن المحو المنهجي للدولة السابقة. كانت أيضًا مسؤولة عن الموت. كانت تراقب الدفاتر وتواصل الكتابة. كانت تزن حياة النزلاء الجائعين مقابل حقيقة الأرشيف الكامل ووجدت أن الحقيقة *أثقل*.

لم يملأ الفراغ في صدرها. بل *انكسر*.

ليس بشكل درامي ، ليس بصوت كسر، وليس بإحساس بانهيار شيء ما. نوع الكسر الذي يحدث في هيكل يحمل وزناً أكبر مما صُمم لتحمله، النوع الذي لا يعلن عن نفسه بل ببساطة *يبدأ* ، شق دقيق ينتشر ببطء، بشكل يكاد يكون غير مرئي، نوع الضرر الذي لا يمنع الهيكل من الوقوف بل يغير طريقة وقوفه، يجعله أكثر صلابة، أكثر هشاشة، أكثر وعياً بالوزن الذي يحمله لأن الوزن أصبح الشيء الذي يحدده.

كانت محقة. كانت مسؤولة أيضًا عن الموت.

كلا الأمرين صحيحان. لم يكن هناك توازن. لم يكن هناك مصالحة. لم يكن هناك سوى الوزن ، الوزن المتراكم، المركب، الذي لا رجعة فيه، لحقيقة تم تسليحها، وتكلفة تم حسابها، وقرار تم اتخاذه ولا يمكن التراجع عنه.

وصلت التسجيلات إلى طبقتها الأخيرة.

تجمد شيء ما بجانبها.

ليس على حافة رؤيتها، ولا كصدى هامشي، ولا كالرنين الهيكلي الذي شعرت به في المقاطع السابقة. بجانبها. قريب بما يكفي للمسه. قريب بما يكفي لرؤيته دون أن تستدير. قريب بما يكفي لسماعه دون إجهاد.

دوموزي،آش.

لم يكن صورته ضبابية. الحواف التي كانت تحدد ملامحه منذ اللحظة الأولى التي رأت فيه في المستنقعات ، بالطريقة التي يتلاشى بها الحبر على الطين غير المحروق، والطريقة التي تنعم بها الأشكال عندما لا يحافظ عليها الهواء ، قد اختفت. كان واضحًا. كان حاضرًا. كان *هناك*، بالطريقة التي تكون بها الأشياء موجودة عندما لا تكون ذكريات أو أصداء أو شظايا بل هي *نفسها* ، كاملة ومحددة ولا يمكن الخلط بينها وبين أي شيء آخر.

كان عمره اثني عشر عاماً. كان وجهه وجه صبي عاش اثني عشر عاماً ، ليس وجه طفل، ولا وجه روح، ولا وجه صورة. وجه شخص تنفس وأكل ونام وعمل ولعب ووجد في العالم بالطريقة المادية المحددة التي توجد بها الأجساد في العالم، حتى توقف الجسد عن الوجود وأصبح الوجود شيئاً آخر.

تحدث. ليس بأجزاء ، ليس بنصف الجمل التي سمعتها في المستنقعات، وليس بالعبارات المتقطعة التي رافقت ظهوره السابق. جمل شبه كاملة. كان الصوت ثابتًا وواضحًا، يحمل ثقل شيء كان ينتظر وقتًا طويلاً ليُقال.

"لقد حافظتِ على الختم جافًا".

لم تتحرك. لم تستدر. شعرت بالكلمات تستقر في البنية المتصدعة لصدرها، تنضم إلى الأثقال الأخرى، تجد مواقعها، تصبح جزءًا من السجل الذي لم يعد سجلًا بل *جسدًا* ، جسدها، الجسد الذي قام بالعمل واتخذ الخيارات وتحمل التكلفة.

"لقد حملت الطين".

كانت الكلمات بسيطة. واقعية. من النوع الذي يصف عملاً تم إنجازه ، وظيفة تم أداؤها، مهمة تم إكمالها. حَمَل الطين. في الأرشيف الذي عملت فيه، في السنوات التي سبقت الرفض، في الوقت الذي انضغط في الطبقات السطحية للسجل. كان هناك. كان حاضراً. شارك في الآلة التي بنتها ، ليس كعنصر، ليس كآلية، بل *كشخص*، صبي حمل الطين لأن ذلك كان عمله، الذي كنس الأرضيات لأن ذلك كان ما كُلف به، الذي كان موجوداً في المكان الذي احتلته لأنها كانت المكان الذي يتواجد فيه الأطفال عندما يولدون لنساء يشغلن مناصب سلطة.

"لقد انكسر الجناح".

ثلاث كلمات. نوع الكلمات التي تصف حدثاً ، حادثة، لحظة انتهت فيها حالة وبدأت أخرى. انهار الجناح. بروتوكول العزل الذي أذنت به كان قد أوجد حدوداً، والحدود أوجدت ضغطاً، والضغط وجد نقاط الضعف، ونقاط الضعف *فشلت* .ليس بشكل درامي ، ليس بصوت جدران تنهار أو صراخ أشخاص يموتون. بشكل هيكلي. بالطريقة التي يفشل بها النظام عندما يُدفع إلى ما يتجاوز قدرته، بالطريقة التي ينهار بها الجدار عندما يصبح الوزن على أحد الجانبين أكبر من الوزن على الجانب الآخر، بالطريقة التي يسقط بها الجسم عندما تتوقف البنية التي تدعمه عن دعمه.

"لقد سقطت".

الكلمة الأخيرة. الكلمة التي أكملت التسلسل، التي ربطت البداية بالنهاية، التي جعلت القصة ليست قصة بل *حقيقة* ، حقيقة حدثت، لا يمكن تغييرها، أصبحت الآن جزءًا من السجل بنفس الطريقة التي كانت بها الحقائق الأخرى جزءًا من السجل، مضغوطة في نفس الطبقات تحت السطحية، محفوظة في نفس السجل، تحمل نفس الوزن.

كان حقيقياً. كان قد عاش. كان قد مات. كان قد تم محوه. كان قد تم ضغطه. كان موجوداً الآن فقط في السجل المستعاد، في صدى الذاكرة الذي كان قد ترسخ في الأرشيف الكامل الذي أنشأته، في الحضور الذي تصلب بجانبها عندما أصبحت الحقيقة التي تحملها كاملة بما يكفي لاحتوائه.

لم يغفر. لم يُدين. لقد *صرح*.

لقد سقط. لقد تخلت عنه.

كلا الأمرين صحيحان.

ساد الصمت في الغرفة.

صمدت الطبقات. وقفت الجدران. بقيت طبقات النقوش المضغوطة ثابتة، لا تتحرك ولا تستقر، كما يبقى السجل النهائي عند اكتمال التسجيل.

لم يعد الفراغ في صدرها فراغاً.

كان دفتر حسابات. دفتر حسابات مثقل ، الحقيقة، والتكلفة، والخسارة محفوظة دون حل. لم يتوازن الهيكل. لم يتصالح. بل صمد.

لم تبكِ.

لم تنهار.

سجلت الانهيار الأخلاقي كبيانات.

نظرت إلى دوموزي،آش.

كان يقف بجانبها، حاضرًا تمامًا، مرتبطًا بالسجل كنتيجة.

انتهت براءة الضحية.

بقي عبء المهندس المعماري.

اتجهت نحو المسار الأعمق.

كان الممر ينتظر.

تحرك الوزن معها.

سارت إلى الأمام.

أغلق الظلام.

استمر الهبوط.

الفصل الحادي عشر — حجرة إيريشكيغال

مقتطف تم استخراجه من أعمق رواسب كور، والموقع غير محدد. مصنوع من الطين المركب، وحالته شبه كاملة. ينتهي النص فجأة بفجوة متعمدة فيما يتعلق بالنص النهائي. النسخ التقريبي:

...النظرة لا تطلق ما تحتفظ به. الجلوس لا ينهي العد. الميزان لا [فجوة متعمدة: حُذفت أربعة أحرف تقريبًا]...عندما يكتمل العد ولكن لم يُحسّ بالمجموع، لا يمكن إغلاق السجل. الملكة لا تعفو. الملكة لا تدين. الملكة ...

[تنتهي اللوحة عند الهامش المحذوف]

لم تكن العتبة الأخيرة محددة بعلامة.

عبرتها دون أن تدرك أنها عبرتها ، بالطريقة التي يتم بها عبور الحدود عندما يتغير ملمس الأرض تحت قدميك، وعندما يتغير وزن الهواء من حولك، وعندما يكتسب الصمت طابعاً يقول *هذا مختلف، هذا أعمق، هذا هو المكان الذي سيُقاس فيه ما تحمله*.

لم تكن الغرفة قاعة عرش.

بل كانت زنزانة.

سقفها منخفض، ربما على بعد ثماني خطوات من البازلت المصقول في الأعلى. جدران من الحجر الداكن تنحني إلى الداخل، ناعمة، خالية من الملامح، من النوع الذي لا يوجد للتزيين بل *للاحتواء*، لحبس الضغط في الداخل، لخلق مساحة لا يمكن أن يتسرب منها وزن ما يُخزن فيها. كانت الأرضية من الحجر المتصل، خالية من أي قنوات أو نقوش، من النوع الذي صقلته الحياة، لا أقدام، ولا حركة، ولا حياة، فقط ثقل ما يرتكز عليها، يضغط عبر الحجر إلى الأرض تحتها، كما يضغط دفتر الحسابات على السطح الذي تحته.

كان الهواء ساكنًا تمامًا. لم تكن سكون الممرات أعلاه، حيث كان الصمت يتخلله صرير أقدامها الجاف والهمهمة المنخفضة للطبقات المضغوطة. كان هذا سكون مساحة مغلقة ، قبو، قبر، مكان لم يتحرك فيه الهواء لفترة أطول مما تستطيع الذاكرة قياسه، حيث استقر الغبار في طبقة رقيقة ومتساوية لن تتزعزع حتى يكسر شيء ما الختم.

في وسط الغرفة، جلست شخصية على مكتب من الحجر الأسود.

ليس على عرش. بل على مكتب .كان المكتب منخفضًا وعمليًا، من النوع الذي يُنجز عليه العمل ، التسجيل، وحفظ الملفات، والإدارة اللانهائية للأنظمة التي لا تتوقف. كانت الشخصية التي تجلس خلفه منحنية، وكتفاها

منحنيتان إلى الداخل، ورأسها منحني، ووضعيتها هي وضعية شخص يقوم بنفس الحركة منذ زمن أطول مما تستطيع أن تتذكر، وجسدها مطوي حول العمل كما يطوي الجسد حول الجرح.

لم ترفع إيريشكيغال رأسها.

كانت تكتب.

تحرك القلم في يدها عبر سطح لوح مع دقة آلية لحركة تكررت مرات عديدة حتى أصبحت تلقائية ، ذلك النوع من الحركات الذي لا يتطلب تفكيرًا أو نية، بل فقط الضغط المستمر بالنمط الصحيح، والزاوية الصحيحة، والعمق الصحيح. خدش. توقف. خدش. توقف. كان الصوت جافًا، إيقاعيًا، من النوع الذي يملأ مساحة مغلقة حتى يصبح لا يمكن تمييزه عن الصمت، بالطريقة التي يصبح بها نبض القلب لا يمكن تمييزه عن السكون عندما يستمر لفترة طويلة بما يكفي.

كانت تكتب بلا توقف. أكوام من الألواح تحيط بها ، على المكتب، بجانب المكتب، على الجدران ، المئات، ربما الآلاف، السجل المتراكم لكل اسم نزل إلى كور، كل وفاة سُجلت، كل حياة انتهت. لم تكن تكتب إدخالات جديدة. كانت تعيد كتابة القديمة ، نفس الكلمات، نفس الرموز، نفس التكرار اللامتناهي للخسارة التي تم تصنيفها وتصنيفها مرة أخرى، كما يعيد الموظف كتابة دفتر الحسابات الذي لم يتغير لأن دفتر الحسابات لا يمكن أن يتغير، لأن دفتر الحسابات ليس سجلاً للأحداث بل سجلاً *للحتمية*، والحتمية لا تتغير.

وقفت نينشار على العتبة وتابعت المشهد.

لم تكن ملكة الموتى ترتدي تاجًا. كانت ترتدي الكتان الخشن الخاص بالأرشيفات العميقة ، نفس الكتان الذي كان يرتديه عمال المعبد، نفس الثوب البسيط غير المزخرف الذي كان يرمز إلى الوظيفة بدلاً من المكانة. كانت يداها مليئتين بالندوب ، ليست ندوبًا نظيفة من علامات طقوسية، بل ندوبًا خشنة وغير متساوية من العمل ، بقع حبر متغلغلة في النسيج المتصلب، وغبار الحجر متغلغل في جلد راحتي يديها، ذلك النوع من الندوب الذي ينتج عن حمل الأدوات لفترة أطول مما صُممت الأيدي لحمله، وعن الضغط بالقلم على الطين لفترة أطول مما صُممت الأصابع للضغط. لم يكن وجهها وحشيًا، ولا إلهياً، ولا متألقًا بالقوة. كان *متعبًا* .إرهاق شخص كان يؤدي واجبه منذ قبل أن يكون للواجب اسم، منذ قبل أن يُبنى النظام الذي يتطلب الواجب، منذ قبل أن يُخترع مفهوم الواجب.

لم ترفع رأسها.

توقفت عن الكتابة.

ظل القلم يرفرف فوق اللوح، متجمدًا في اللحظة بين خدش وآخر. تغير الصمت في القاعة ، لم ينكسر، بل تجمع، بالطريقة التي يتجمع بها الصمت عندما يكون هناك شيء على وشك الحدوث، عندما يضغط ثقل الترقب على ختم السكون من الداخل، عندما يتم اختبار البنية التي تحتوي على الصمت بما تحمله.

أدارت إيريشكيغال نظرها.

وجدت عيناها نينشار بدقة موظف يحدد موقع متغير في دفتر الحسابات. لم تكن عيون ملكة أو إلهة أو قاضية. كانت عيون شخص رأى كل شيء، وسجل كل شيء، وتوقف منذ زمن طويل عن توقع أن يتغير ما تراه. كانت تلك العيون منهكة ، منهكة بالطريقة التي تنهك بها الجدران من ثقل ما تتحمله، بالطريقة التي تنهك بها دفاتر الحسابات من المدخلات التي تحتوي عليها، بالطريقة التي ينهك بها الصمت من ثقل ما يحمله.

نظرت إلى نينشار لفترة طويلة. ثم انتقلت نظراتها ، متجاوزة إياها، إلى الفراغ بجانبها، حيث وقف دوموزي،آش، واضح المعالم، صامت، حاضر بالطريقة التي تكون بها الحقائق حاضرة ، ليس كشخصيات في قصة بل كمدخلات في سجل.

ومضت ومضة على وجه إيريشكيغال. لم تكن عاطفة ، بل نوع من الومضة التي تنطوي على *الاعتراف*، والتعرف على ضرر مألوف، وفهم أن ما كانت تراه لم يكن جديدًا بل حتميًا.

"لقد ضحيتِ بالحي لإنقاذ السجل".

كان الصوت خشنًا كصوت الحجر الجاف. لم يكن مرسومًا. لم يكن حكمًا. بل بيانًا.

"اخترتِ الحقيقة على الحياة. لقد رأيتِ الحصيلة".

لم تتكلم نينشار.

"أغلقت طرق الحبوب لمدة سبعة عشر يومًا".

"جاعت الأحياء الخارجية. بلغ عدد القتلى أربعمائة وسبعة وثلاثين. تم تسجيل العدد. العدد لا يتغير".

توقفت. انتقلت عيناها من نينشار إلى دوموزي،آش، ثم عادت.

"أنت وأنا ضحايا لنفس الأمر. أنا امتثلت. أُعطيتُ العالم السفلي العظيم. أسجل الموتى لأنني خُلقتُ لتسجيل الموتى. أنت تمردت. تم محوك. الآلية هي نفسها. اليد التي سحقتك هي اليد التي دفنتني".

توقفت.

"نحن متشابهان. صفحات مختلفة من نفس السجل".

عاد الصمت.

تكلمت نينشار.

"الجزء الأخير".

"أحتاجه لإغلاق السجل. لإكمال الصعود".

نظرت إيريشكيغال إلى اللوح أمامها.

أشارت إلى المساحة الفارغة في زاوية المكتب.

كان الجزء ملقى هناك.

"الجزء هنا. يمكنك أخذه".

توقفت.

"لم تجلسي".

لم تتحرك نينشار.

"أخذها الآن يعني التعامل مع موت ابنك كبيانات بسيطة. متغير في معادلة الحقيقة. حقيقة يجب تسجيلها".

"لن أطلق سراحها حتى تجلسي مع المجموع".

نظرت إلى دوموزي،آش.

"اجلسي".

استمرت الكلمة.

انخفضت نينشار.

جلست.

كان الحجر بارداً تحتها. ساد الصمت. استقر الثقل في صدرها ، لم يخفف، ولم يتحرك، بل *استقر*.

نظرت إلى دوموزي،آش.

كان يقف على بعد ثلاث خطوات.

لم يتكلم.

لم يتحرك.

نظرت إليه بعينين لم تدمع ولم تغضب.

ارتجف الثقل في صدرها.

توقف أنفاسها.

لم تتكلم.

لم تبك.

جلست.

مر الوقت.

بلا قياس.

ساد الصمت في الغرفة.

راقبت إيريشكيغال.

لا راحة.

لا غفران.

فقط تسجيل.

لم يزول الحزن.

بقي.

ثقل.

حضور.

حقيقة.

أومأت إيريشكيغال برأسها.

إقرار.

نهضت نينشار.

أثقل.

مكسورة.

صامدة.

نظرت إلى إيريشكيغال.

خدش القلم مرة أخرى.

نظرت إلى دوموزي،آش.

بقي.

استدارت.

نحو الطريق الصاعد.

تحرك الثقل معها.

عبرت العتبة.

بدأ الصعود.

الفصل الثاني عشر — المقطع الأخير

مقطع تم استخراجه من رواسب غرفة مغلقة، على عمق غير محسوب في كور. مركب من الطين، محروق بالكامل. يظهر على السطح استئصال واحد متعمد ، ليس بسبب التآكل، بل فجوة مسجلة. النسخ التقريبي:

...عندما حدث الاختراق، كانت العتبة مثقلة بالفعل...

...احتفظ الأرشيف بسجل كل الأشياء المأخوذة، كل الأشياء المخفية، كل الأشياء...

...الاختيار ليس لحظة الوصول بل لحظة...

...المعرفة تحفظ ما لا تستطيع السلامة حفظه. السلامة لا تحفظ شيئًا...

[...استئصال متعمد: ترك مساحة لترسيب الوزن قبل ختم الإدخال النهائي...]

...كانت التكلفة معروفة. تم دفع التكلفة. كانت التكلفة...

[ينتهي اللوح: مختوم، كامل]

نهضت من على الحجر.

لم تكن تقف ، بل كانت تنهض. لم تكن في حركتها أي عجلة ولا أي تردد. رفعت ركبتيها عن البازلت واحدة تلو الأخرى، مستقيمة ظهرها، وفكّت يديها من مكانهما حيث كانتا مستندتين على فخذيها. ولم يتغير هواء الغرفة. بقي الجفاف. استمر صوت الخدش الخافت لقلم إيريشكيغال في إيقاعه على سطح اللوح. لكن السكون نفسه تغير ، لم يرتفع، ولم ينكسر، بل أعيد ترتيبه، بالطريقة التي تستقر بها البنية عندما يجد العنصر الأخير الحامل للوزن مكانه.

كانت الأحجار التي كانت تحملها ، الأم، والسلطة، والرفض، والعنف الأساسي، والتواطؤ، والوظيفة، والغرض، والتكلفة ، قد ضغطت على بعضها البعض طوال فترة الجلوس. الآن أصبحت متوازنة. لم تحل. لم تتناغم. بل تناسبت ببساطة، كما تتناسب الأحجار في جدار كان مقدراً له أن يحملها دائماً. لم يكن التكوين مريحاً. لم يكن من المفترض أن يكون كذلك. كان من المفترض أن يكون كاملاً.

انكسر ختم في جوف صدرها.

لم يكن صوتاً. لم يكن إحساساً بالانكسار. كان تحرراً هيكلياً ، قفل يدور حيث لم يكن يبدو أن هناك قفلاً، آلية نهائية تعمل بعد سنوات من انتظار الضغط الصحيح. لم يصل التسجيل كرؤية أو صوت بل كهندسة معمارية. شعرت به يتشكل داخلها كما يتشكل المبنى: الأساس أولاً، ثم الجدران، ثم وزن السقف يستقر على الهيكل تحته.

شعرت باللحظة بالضبط.

تفعيل بروتوكول العزل. إغلاق محيط المعبد ، بوابة، ثم أخرى، ثم الحرم الداخلي نفسه، كل حاجز ينغلق في مكانه بقوة ختم الكاتب المطبوع على الطين الرطب. تحويل مسارات الحبوب، وعربات تبتعد عن مخازن المعبد، وأوامر إعادة التوزيع مكتوبة بالفعل وتنتشر عبر شبكة الإداريين الذين لم يسألوا لأن السؤال لم يكن من مهامهم.

شعرت بثقل ابنها على العتبة.

ليس جسده ، لم تكن تتذكر جسده بوضوح، ليس بعد ، بل حضوره، الكثافة المحددة لطفل يقف حيث لا ينبغي لطفل أن يقف، يراقب أمًا لا تتصرف كأم. كان في الثانية عشرة. عرفت ذلك الآن كما تعرف يديها: ليس كذاكرة مستعادة بل كحقيقة هيكلية، حجر أساس في بناء هويتها.

عرفت أن الخرق قادم.

كانت الحواجز تفشل منذ أسابيع ، كانت قد شاهدت التآكل ينتشر عبر النقوش، وقامت بتصنيفه بنفس الدقة التي كانت تتعامل بها مع كل شيء، وسجلت معدل الانحلال في أعمدة دقيقة من الكتابة المسمارية. كانت تعرف الجدول الزمني. كانت تعرف النافذة. كانت تعرف أنه عندما يسقط المحيط الخارجي، ستكون هناك دقائق ، ربما أقل ، بين الخرق وتدفق المياه إلى الغرف الداخلية.

كانت تعرف ما عليها فعله.

كان هناك مساران في تلك اللحظة. إجراءان. نقشان محتملان في سجل العواقب. الأول: فتح البوابة. ترك الأرشيف يغرق. ترك السجلات تتلاشى في الفوضى القادمة. ترك المعرفة ، السجل الكامل والشامل الذي لا يمكن تعويضه لما فعلته الآلهة، وما أخذته، وما محته ، تتحول إلى طين وصمت ونسيان. دع ابنها يعيش. دعه يخرج من المعبد مع الآخرين، مع العمال والكتبة والكهنة الثانويين الذين تم إجلاؤهم عندما بدأ البروتوكول. دع السلامة تنتصر.

الخيار الثاني: إغلاق الأرشيف. إغلاق الغرف الداخلية. تفعيل تسلسل الحفظ الذي سيحافظ على استقرار الألواح حتى مع غمر المياه للغرف الخارجية، وحتى مع بدء انهيار المبنى نفسه من حولهم. إكمال العمل الذي أمضت سنوات في بنائه ، الأرشيف الكامل، السجل الذي لا يمكن محوه، الحقيقة المكتوبة على الطين والمُحروقة

والمختومة ضد أي قوة قد تحاول إتلافها. دعوا المعرفة تبقى. دع ابنها يبقى عند العتبة حيث طلبت منه الانتظار، حيث طلبت منه البقاء، حيث أخبرته أنها ستأتي من أجله عندما ينتهي الأمر.

اختارت الأرشيف.

شعرت بالاختيار بين يديها ، ليس كعاطفة، وليس كتمزق لقلب أم، بل كإجراء. تحركت أصابعها نحو أزرار التحكم في الختم. نطقت صوتها بتسلسل التنشيط. أُغلقت الأبواب الداخلية. تم تفعيل أقسام الحفظ. أصبح الأرشيف قبوًا، مغلقًا ومستقرًا، محميًا من الفيضان الذي كان يتدفق حتى الآن عبر الغرف الخارجية، مذيبًا السجلات الأقل أهمية، ومدمرًا أدلة كل شيء باستثناء الشيء الوحيد الذي كان مهمًا.

لم تذهب إلى العتبة.

لم تنادي. لم تنظر إلى الوراء. وقفت في الغرفة المغلقة ، تلك التي ستصبح ملك إيريشكيغال، تلك التي ستحتفظ بالسجل النهائي ، وشعرت بالأبواب تُغلق خلفها، وشعرت بالصمت يستقر، وعرفت أنه على الجانب الآخر من تلك الأبواب، في الممر الذي كان حتى الآن يمتلئ بكل ما يمر عبر الثغرة، كان ابنها يقف حيث أمرته أن يقف، منتظراً أن تأتي لتأخذه.

لم تأتِ.

لم تأتِ الذكرى على شكل ندم.

بل جاءت على شكل حساب. شعرت بتوازن الحساب في صدرها ، ثقل المعرفة مقابل ثقل الطفل، ودوام الحقيقة مقابل مؤقتية الأمان، وميزان العواقب يميل نحو الأرشيف ويبقى هناك. كانت قد وازنت بين الخيارات. كانت قد حسبت التكلفة. كانت قد دفعت المبلغ بالكامل، بالعملة الوحيدة التي تهم: حياة ابنها، مقابل بقاء السجل.

كانت تعرف التكلفة قبل أن تدفعها.

في الغرفة، تغير الهواء.

ليس درجة الحرارة أو الجفاف ، فهذان بقيّا ثابتين ، بل الكثافة، ووزن الحضور، ونوعية الانتباه المحددة التي يحملها المكان عندما يتغير شيء بداخله. وقف دوموزي،آش حيث كان يقف طوال الجلسة: بالقرب من الحائط، ساكنًا، صبورًا، وجسده البالغ من العمر اثني عشر عامًا محبوسًا في الضوء الكهرماني للمصباح الوحيد. لكنه الآن كان يتردد.

تلاشت حوافه.

لم يتحلل ، لم يختفِ ، لكنه فقد تماسكه، بالطريقة التي تتدهور بها الإشارة عندما يتجاوز الوزن الذي تحمله عرض النطاق الترددي الخاص بها. تحددت ملامحه، ثم خفت، ثم حددت مرة أخرى، تذبذب مادي بين الاستقرار والانحلال لم يكن له علاقة بالضوء أو الظل، بل كان له علاقة كاملة بطبيعة ما كان عليه: ذكرى تجلت، مدعومة بشظايا الذكريات التي بنته، وتستقبل الآن الشظية الأخيرة التي أكملت البنية وأثبتت في الوقت نفسه هشاشتها.

لم يتقدم.

لم يتكلم.

وقف في المكان الذي كانت فيه الحقيقة أثقل ، حيث كان الخيار الذي خلقه ودمره موجودًا كحقيقة مطلقة لا يمكن إنكارها ، وارتجف شكله تحت ثقلها. ليس بسبب الاتهام. ليس بسبب الخيانة. بسبب الفيزياء البسيطة لشيء لم يُقصد أبدًا أن يتحمل هذا القدر من الوزن وهو يحاول تحمله على أي حال، بالطريقة التي يحمل بها العارضة سقفًا لم يُصمم لدعمه، بالطريقة التي يستقر بها الأساس تحت هيكل لا يستطيع احتوائه تمامًا.

كان تنفسه يتوافق مع الارتعاش في صدرها.

شعرت بالتزامن ، ليس بوعي، وليس عمدًا، ولكن هيكليًا، بالطريقة التي يبدأ بها نظامان قريبان من بعضهما في التردد على نفس التردد. اختفى الفراغ في صدرها. انكسر الختم ووصل التنزيل واكتمل البناء، ولم يعد هناك مكان للغياب، ولا مجال للفراغ الذي حملها خلال الهبوط. كانت ممتلئة. ليس بالسلام أو الحل أو الشفاء ، بل بنفسها. كاملة. سليمة. كل حجر في مكانه.

ترابطت الحجارة.

شعرت بها تستقر ، التحول النهائي، التعديل الأخير، اللحظة التي يتوقف فيها البناء ويبدأ في أن يكون ما كان مقدراً له أن يكون. اختفى الفراغ لأنه لم يعد هناك ما يفرغه. لم تعد تبحث عن نفسها. كانت هي نفسها: المجمعة، المهندسة المعمارية، التي بنت الأرشيف، التي أغلقت الأبواب، التي اختارت المعرفة على الدم ودفعت الثمن بالعملة الوحيدة التي كانت ستجعل الدفع حقيقياً.

سجلت هذا دون إنكار.

لم يكن هناك مبرر لتقدمه ، لم تكن مخطئة، ولم تكن محقة، كانت تحسب حساباتها، وقد صمدت الحسابات. لم يكن هناك ندم لتبديه ، فالندم يتطلب إمكانية وجود خيار مختلف، ولم يكن هناك خيار مختلف، لم يكن هناك سوى الخيار الذي اتخذته والتكلفة التي دفعتها. لم تكن هناك براءة لتستعيدها ، فالبراءة لم تكن حالة فقدتها بل خيالاً لم تمتلكه قط، قصة يرويها أولئك الذين لم يفهموا ما يعنيه بناء شيء ذي أهمية.

كانت تعرف ما فعلته.

كانت تعرف ما كلفها ذلك.

كانت تعرف أنها ستفعلها مرة أخرى.

احتلت الحقيقتان نفس المكان. لم تتوازنا ، بل تراكمتا، كما يتراكم الوزن، وكما تتراكم العواقب، وكما يتراكم دفتر الحسابات عندما يُسمح للقيود بالتراكم دون مسامحة أو محو. كانت الأم التي تركت ابنها يموت. كانت المهندسة المعمارية التي أنقذت الحقيقة. كانت الاثنتين، تمامًا، في آن واحد، ولم تقلل أي من الحقيقتين من شأن الأخرى.

لم تحزن على براءتها.

أودعتها كبيانات قديمة.

التفتت إلى إيريشكيغال.

جلست ملكة العالم السفلي العظيم حيث كانت تجلس طوال الجلسة: منحنية على المكتب، وقلمها يتحرك عبر سطح اللوح، وشكلها ثابت وكثيف ولا نهاية له، كطريقة الأشياء التي وُجدت لفترة طويلة جدًا لدرجة أنها لا تتذكر كيف كان الأمر عندما لم تكن موجودة. لم ترفع رأسها عندما التفتت نينشار. لم تتوقف عن الكتابة. خدش القلم مرة أخرى ، علامتان، ثلاث، علامة مكتملة ، ثم صمت.

إيماءة.

ليست مغفرة. ليست إدانة. بل اعتراف. كانت الحركة صغيرة ، مجرد إمالة للرأس، مجرد تحول طفيف في وزن انتباه الملكة ، لكنها حملت الوزن الكامل لما تعنيه: اكتمل السجل. لقد أنجزت الجلسة ما كان من المفترض أن تفعله الجلسات. أُغلق السجل.

نظرت نينشار إلى دوموزي،آش.

وقف في شكله المتذبذب، حوافه لا تزال تتلاشى وتشتد، ووجوده لا يزال يرتجف تحت ثقل الحقيقة التي كانت تدعمه. لم يتكلم. لم يمد يده إليها. لم يقدم العفو أو الاتهام أو التفهم. كان موجودًا ببساطة في المكان الذي كانت فيه العاقبة أثقل، ذكرى أصبحت واضحة، ينتظر ما سيأتي بعد ذلك بصبر شيء كان ينتظر منذ زمن طويل جدًا.

اعتبرته عاقبة.

ليس كابنها ، رغم أنه كان كذلك، ورغم أن ذكرى ثقله عند العتبة أصبحت الآن واضحة ولا تمحى مثل أي نقش قامت به من قبل. ليس كجرح ، رغم أن الخيار الذي أوجده قد جرحها بطرق لن تلتئم تمامًا أبدًا. كعاقبة. النتيجة الهيكلية لخيار هيكلي. الدليل على أن ما فعلته كان مهمًا، وأن الثمن كان حقيقيًا، وأن الحساب لم يتوازن ولم يكن من المفترض أن يتوازن.

استدارت نحو المسار الصاعد.

كان للغرفة مخرج لم تلاحظه من قبل ، أو ربما لاحظته ولم تكن مستعدة لاستخدامه بعد. ممر في الجدار البعيد، ضيق ومظلم، لا يؤدي إلى أعماق كور بل إلى الأعلى، نحو السطح، نحو العالم فوق حيث ينتظر الأرشيف والحقيقة التي يجب تدوينها، وحيث الآلهة التي محتها تحتاج إلى أن تتعلم ما يعنيه محو شخص كتب نفسه بالفعل في الخلود.

خطت خطوة.

تحرك الوزن معها.

لم يرتفع ، لم يرتفع أبدًا ، بل تحرك، وأعيد توزيعه، بالطريقة التي يتحرك بها الوزن عندما تبدأ البنية في التحرك، بالطريقة التي يصبح بها العبء زخمًا عندما ينتهي السكون ويبدأ الصعود. شعرت به في صدرها، في كتفيها، في يديها المليئتين بالندوب التي ما زالت تمسك بالقلم المكسور الذي كان معها منذ القصب، منذ الطين، منذ اللحظة الأولى للاستيقاظ في عالم لا يتذكرها.

تم إغلاق دفتر الحسابات.

اكتمل السجل.

سارت نحو الممر، واستقبلها الظلام، وبدأ الصعود.

الفصل الثالث عشر — أرشيف أنو

مقتطف مسترجع من إيداع السجل الرئيسي، أرشيف أنو، الطبقة السماوية. مركب من الطين، محروق بالكامل، مختوم بشكل دائم. يُظهر السطح حالة نهائية متعمدة ، لا تآكل، ولا استئصال، بل فقط حتمية سجل لم يعد بالإمكان تغييره. النص الكامل:

...يكتمل الصعود عندما يتلقى السجل ما جمعه الهبوط ...

...السجل الكوني يحتفظ بما لا تستطيع الذاكرة الفردية الاحتفاظ به ...

...اللا رجعة ليست صفة للحقيقة بل حالة من التسجيل...

...عندما يتم ختم الإدخال، يتكيف النظام. الآلهة لا تسقط. السجل يحتفظ ...

[اللوحة كاملة: مختومة، مسجلة، دائمة]

اتجه الممر صعودًا.

كانت تسير في الظلام منذ أن غادرت حجرة إيريشكيغال ، ذلك الظلام الكثيف والمضغوط في أعمق طبقات كور، حيث كان الهواء ثقيلًا والصمت يبدو مكتظًا. والآن بدأ الظلام يتلاشى. لم يكن ذلك بسبب انبعاث الضوء ، فلم يكن هناك مصدر للضوء ، بل أصبح أقل كثافة، مثلما تصبح المياه أقل كثافة كلما ارتفعت، حيث يتناقص الضغط تدريجيًا مع صعودها.

كان الممر يخترق صخراً تظهر طبقاته في اتجاه عكسي: الرواسب العميقة لكور تفسح المجال للطين المضغوط لهورساغ، ثم الطبقات الأقدم تحت الجبل، ثم الرواسب البلورية التي تحدد الحدود بين الأرض والسماء. كان لكل طبقة نسيجها الخاص ، شعرت بهما من خلال قدميها، من خلال الطريقة التي تغيّرت بها الأرضية من تربة مضغوطة إلى حجر مصقول إلى شيء لم يكن حجرًا تمامًا، شيء كان له كثافة الكريستال دون شفافيته، شيء تشكل تحت ضغط هائل لدرجة أنه أصبح نوعًا جديدًا من المواد.

خفّ الهواء.

شعرت به في رئتيها أولاً ، انخفاض في المقاومة، أصبح التنفس أسهل لكنه يحمل مادة أقل. ثم في جلدها ، وخز، ليس باردًا تمامًا، إحساس بأن الغلاف الجوي أصبح غير كافٍ. لم يخفف الوزن في صدرها. أصبح ثقلًا، يثبتها في الهواء الخفيف كما تثبت العارضة السفينة في التيار. الحجارة التي كانت تحملها ، الأم، السلطة، الرفض، العنف،

التواطؤ، الوظيفة، الغرض، التكلفة ، ضغطت بعضها على بعض بنفس الكثافة التي كانت عليها منذ غرفة إيريشكيغال. لم تتحرك. بقيت ثابتة.

ظهر ضوء أمامها.

لم يكن مصدرًا يمكنها تحديده ، لا مصباح، ولا فتحة، ولا إشعاع إلهي. كان الضوء موجودًا ببساطة، كما لو أن الهواء نفسه أصبح مضيئًا، رقيقًا وحادًا وبدون دفء. كان يضيء دون أن يكشف. أظهر لها الممر أمامها ، ممرًا أملسًا محفورًا في مادة لم تكن حجرًا ولا بلورًا ولا أي شيء يمكنها تسميته ، ولا شيء آخر. لا ظلال. لا ملمس. لا عمق. كان الضوء مطلقاً كما يكون دفتر الحسابات مطلقاً: حاضراً، كاملاً، لا يقدم شيئاً سوى وجوده نفسه.

صعدت.

كانت الدرجات ضحلة، متماثلة، من صنع أي قوة كانت قد شكلت هذا الممر. لم تعدها. كان العد سيتطلب انتباهاً لم تكن لتوفره. كانت كل خطوة إجراءً: ارفعي، ضعي، اضغطي، ارفعي، ضعي، اضغطي. ظل تنفسها منتظماً. بقيت يداها على جانبيها. استقر القلم المكسور في راحة يدها اليمنى، وكان جذعه المقطوع ملطخًا ببقايا الطين والماء والدم التي تراكمت خلال نزولها. لم تمسكه بإحكام. ولم تفك قبضتها. حملته بالطريقة التي تحملت بها الثقل في صدرها: كجزء من بنيتها، كعنصر حامل للأحمال، كالأداة التي جلبتها إلى هنا وستكمل ما جاءت لتكمله.

انتهى الممر.

لم يكن أرشيف أنو كما كانت تتخيله.

كانت قد تخيلت شيئًا ، قاعة عرش، ربما، أو قصرًا سماويًا، أو قاعة واسعة حيث يجلس الآلهة للحكم على سجلات الوجود. ما وجدته كان قبوًا. قبو واسع، صامت، أفقي يمتد في كل اتجاه حتى لم يعد الضوء قادرًا على التمييز بين الأرضية والجدار والسقف. كانت الأسطح من الطين المحروق والبازلت المصقول، ناعمة وباردة وخالية من الزخارف. كان الهواء ساكنًا ، ليس هادئًا، بل ساكنًا، كما يكون الهواء في غرفة مغلقة، لا يحمل تيارًا، ولا حركة، فقط رائحة خافتة من الأوزون والطمي الجاف والرائحة المعدنية للسجل المطلق.

كانت الرفوف تصطف في المكان.

كانت تمتد في صفوف تتجاوز بصرها، كل رف يحمل ألواحًا بأحجام مختلفة ، بعضها صغير بما يكفي ليتسع في راحة اليد، وبعضها كبير بما يكفي ليتطلب رفعًا بيدين. كانت بعض الألواح تتوهج بشكل خافت، وهو توهج متبقي يشير إلى ضغط كتابة نشط، وعلامات لا تزال تتشكل أو تُحفظ. وكانت أخرى مظلمة، مستقرة، وتحمل أسطحها نقوشًا قد أكملت منذ زمن طويل أي وظيفة كانت تخدمها. وكانت الرفوف نفسها متجانسة ، من الحجر، ربما، أو

من نفس المادة البلورية التي تُبطن الممر ، دون أي تباين في الارتفاع أو التباعد، ودون علامات أو ملصقات، ودون أي إشارة إلى ما يحتويه أي قسم.

وقفت عند العتبة وتركت عينيها تتأقلمان مع الحجم.

لم يكن الفضاء لانهائيًا. فهمت ذلك بالطريقة التي فهمت بها استقرار اللوح الذي تم إصلاحه: ليس من خلال القياس بل من خلال التعرف الهيكلي. كان للقبو حدود. كانت ببساطة بعيدة بما يكفي بحيث لا يصلها الضوء، بالطريقة التي تكون بها حدود المدينة بعيدة بما يكفي لتختفي في الضباب. احتوى الأرشيف على كل شيء ، كل سجل، كل نقش، كل حقيقة تم حفظها منذ بداية الحفظ ، واحتفظ بها في مساحة كبيرة بما يكفي لاستيعابها ولكنها ليست كبيرة لدرجة أن تصبح بلا معنى. كانت النسب صحيحة. وكانت الهندسة المعمارية وظيفية. كان القبو موجودًا لحفظ السجلات، وقد احتفظ بها، وكان ذلك كافيًا.

في وسط القبو، كان هناك مكتب مرئي من المكان الذي وقفت فيه ولكن لا يمكن الوصول إليه مباشرة.

كان مصنوعًا من حجر شاحب ، ربما حجر طباشيري أو ما شابهه، أملس وخالٍ من العلامات باستثناء آثار الاستخدام. كان يقف بمفرده في الفراغ بين صفوف الرفوف، غير مرتفع، غير مميز، لا يبرز بأي شكل باستثناء وظيفته. وعليه لوح أكبر من أي لوح رأت في نزولها ، لوح رئيسي، ربما بطول ثلاثة أقدام وعرض قدمين، سطحه مكتظ بالكتابة المسمارية التي لم تستطع قراءتها من هذه المسافة. خلف المكتب، جالسًا على كرسي من نفس الحجر الفاتح، كان هناك شخص يعمل.

سارت نحوه.

كانت المسافة أكبر مما تبدو ، ربما مائة خطوة، ربما أكثر، فالضوء يجعل القياس غير موثوق. سارت بنفس الخطوات المتأنية التي استخدمتها في الممر، كل خطوة إجراء، كل نفس وظيفة. مرت الرفوف على جانبيها، وألواحها صامتة، ونقوشها ثابتة. ضغط الهواء الساكن على بشرتها بنفس الضغط الخفيف والحاد الذي كان عليه منذ بدء الضوء. تحرك الثقل في صدرها معها، هيكلي، ثقل موازن، الحجارة التي اصطفت في حجرة إيريشكيغال أصبحت الآن جزءًا لا يتجزأ من بنية جسدها.

توقفت عند عتبة مساحة المكتب.

لم يرفع الشخص رأسه.

كان يرتدي الكتان البسيط الخاص بالمسؤولين الكبار ، ليس أردية الملك المزخرفة، ولا ثياب الكهنة الطقسية، بل الثوب البسيط لشخص تستمد سلطته من منصبه لا من المظهر. كانت يداه تتحركان على اللوح الرئيسي بدقة

آلية، حاملاً قلمًا بين أصابعه، كل علامة تُضغط بنفس الضغط، وبنفس الزاوية، وبنفس الإيقاع. لم يتوقف عندما اقتربت. لم يغير وضعيته. استمر في الكتابة كما لو كانت متغيرًا في حساب قد أكمله بالفعل، عاملًا يجب معالجته عندما يسمح الإجراء الحالي بذلك.

انتظرت.

أنهى السطر الذي كان يكتبه ، سلسلة من الرموز لم تستطع قراءتها من هذه الزاوية ، ورفع القلم. تحركت يداه إلى حافة اللوح، واضبطا موضعه بمقدار ملليمترات، ومحاذاةً إياه مع معيار ما لم تستطع رؤيته. ثم تحدث.

"وظيفة الدولة".

كان صوته رتيباً، متكرراً، خالياً من أي انعطاف. لم يكن بارداً ، فالبرودة توحي بوجود حرارة تم إزالتها. كان صوته ببساطة خالياً من الحرارة، خالياً من العاطفة، خالياً من أي صفة باستثناء الدقة. لم تكن الكلمات سؤالاً. كانت طلباً للبيانات، مصاغة في صيغة المرسوم، نفس الصيغة التي رأت على الألواح في أرشيف أوروك، نفس الصيغة التي تحكم عمليات النظام الذي يخدمه.

"أظهري التصريح".

لم تجب.

رفع رأسه.

لم يكن وجهه شاباً ولا عجوزاً، ولا قاسياً ولا ناعماً. كان وجهاً رسمياً، وجه شخص أمضى وقتاً طويلاً في معالجة السجلات لدرجة أن السجلات أصبحت أكثر واقعية من الملامح التي عالجتها. كانت عيناه بنفس درجة حرارة صوته: ليست باردة، وليست دافئة، بل حاضرة ببساطة، تستقبل البيانات دون تفسير. نظر إليها بالطريقة التي ينظر بها الكاتب إلى اللوح: يقيّم الحالة، ويتحقق من وجود أضرار، ويحدد ما إذا كان العنصر أمامه يحتاج إلى إصلاح أو حفظ أو التخلص منه.

"تم الكشف عن شذوذ في اتجاه الهبوط". تحركت عيناه عبر جسدها ، لم يكن يفحص جسدها بل يقرأه، بالطريقة التي يقرأ بها المرء سجلاً، مستخرجاً البيانات دون الانخراط في الجوهر. ***"علامة الهوية: غائبة. مستوى التصريح: غير مسجل. حالة الدخول: غير مصرح بها. الإجراء: تصحيح أو أرشفة".***

لم يتعرف عليها.

لم تفهم ذلك على أنه إهانة أو قسوة، بل كحقيقة ، حقيقة هيكلية، من النوع الذي يوجد بشكل مستقل عن العاطفة أو النية. لم يتذكر **إنليل** اسمها لأن إنليل لا يتذكر الأسماء. كان يتذكر السجلات. كان اسمها قد محي من السجلات، وبالتالي لم يكن موجودًا في النظام الذي يديره، وبالتالي كانت شذوذًا، متغيرًا بدون تصنيف، إدخالًا لم يتم أرشفته بشكل صحيح.

تخطت العتبة.

لم يوقفها. لم ينهض من المقعد. لم يستدع الحراس أو يستدعي القوة الإلهية أو يبدِ أي رد فعل سوى تعديل طفيف في وضعيته ، تحريك يديه، إعادة وضع القلم، جسد عامل يستعد للتعامل مع اضطراب وفقًا للبروتوكول القياسي.

اقتربت من المكتب.

أصبحت اللوحة الرئيسية أقرب الآن، وسطحها مرئي بالكامل. غطتها الكتابة المسمارية من الحافة إلى الحافة، والرموز صغيرة وكثيفة، وهي نتاج قرون من النقش. كان بإمكانها قراءة أجزاء ، مرسوم هنا، بروتوكول هناك، سجل لشيء تم حفظه وختمه وأصبح دائمًا ، لكن النمط العام كان يتجاوز الفهم الفوري. كانت اللوحة تحمل النظام. كانت اللوحة هي النظام. كل قاعدة، كل قانون، كل حقيقة تحكم عمليات الإدارة الإلهية كانت منقوشة على سطحه، متراكبة فوق بعضها البعض في مخطوطة متراكبة من السلطة التي كانت تتراكم منذ أن تم ضغط أول علامة في أول لوح في بداية الزمن المسجل.

نظرت إلى المساحة التي سيُكتب فيها إدخالها.

لم يكن فارغًا. لم يكن هناك أي مكان فارغ على اللوح الرئيسي. لكن كان هناك هامش ، حافة حيث تقل كثافة النقش، حيث لم يتم تغطية الإدخالات الأحدث بعد بملفات لاحقة، حيث لا يزال الطين يحتفظ بالقدرة على الاستقبال. كانت تشعر بذلك: انفتاح المادة، واستعداد السطح، والصفة المحددة للطين الذي تم إعداده للنقش وينتظر ضغط القلم.

رفعت القلم المكسور.

لم تكن الحركة درامية. لم تكن حتى متعمدة بالطريقة التي تكون بها الحركات المتعمدة متعمدة ، لم تكن هناك وقفة للتحضير، ولا تجميع للإرادة، ولا لحظة قرار. ارتفع القلم لأنه حان وقت ارتفاعه، بالطريقة التي ترتفع بها الأداة عندما تظهر المهمة التي صُنعت من أجلها. كان الجذع المكسور مغطى ببقايا داكنة. كان الطرف متآكلًا لكنه ثابت. سافر القصب من القصب خارج أوروك إلى الأرشيف النازف إلى الغرف المجهولة إلى المستنقعات إلى

هورساغ إلى كور إلى غرفة إيريشكيغال المغلقة إلى هذا القبو في قمة الوجود، ولم ينكسر لأنه لم يكن مقدراً له أن ينكسر حتى يكتمل غرضه.

ضغطت الرأس في الطين.

كانت العلامة الأولى هي آلية المحو.

لم تفكر فيما كانت تنقشه. كان التفكير سيتطلب فصلاً بينها وبين الفعل، مسافة لم تكن موجودة. كان القلم يتحرك بالطريقة التي كانت يداها تتحركان بها دائماً في الأرشيف ، ليس بإلهام أو نية بل بمعرفة، المعرفة العميقة والهيكلية لكاتبة أمضت حياتها في حفر الحقيقة في الطين. تشكلت العلامات تحت الرأس: بروتوكول إزالة الهوية، وإجراء كشط الأسماء، والنظام الذي محى به الآلهة ما أرادوا نسيانه.

كانت العلامة الثانية هي العنف التأسيسي.

نقشت المحو الأول ، الذي حدث عند انفصال السماء والأرض، الذي أزال ذكرى العالم قبل النظام، الذي أرسى سابقة لجميع عمليات المحو التي ستأتي. كانت العلامات دقيقة، والزوايا دقيقة، والضغط مطابقًا لكثافة المدخلات المحيطة. قبلتها اللوحة الرئيسية بالطريقة التي قبلت بها جميع المدخلات: دون مقاومة، دون اعتراف، مجرد استقبال النقش كجزء من وظيفتها.

كانت العلامة الثالثة هي الأسماء المسروقة.

قامت بإدراجها ، ليس بشكل فردي، فقد كانت كثيرة جدًا، بل بشكل هيكلي، نمط المحو الذي طُبق على العمال في غرف أوروك المجهولة، الإزالة المنهجية للهوية التي حوّلت الأشخاص إلى وظائف، الكشط الذي ترك المناصب دون أصحابها والجداول الزمنية دون منفذين. كانت العلامات صغيرة وكثيفة، كما تكون السجلات الإدارية صغيرة وكثيفة ، لا شعريّة، لا سرد، مجرد بيانات، مجرد الحقيقة الهيكلية لما تم فعله.

كانت العلامة الرابعة هي الحبوب التي تم تحويل مسارها.

سجلت لوجستيات المجاعة ، الأوامر التي أعادت توجيه الطعام من المدينة إلى المعبد، البروتوكولات التي أعطت الأولوية للعشر الإلهي على بقاء البشر، اللغة الإدارية التي حولت الجوع إلى إجراء قياسي. لم تكن العلامات تحمل أي اتهام. لم تكن تحمل أي حكم. كانت تحمل سجلاً ، السجل المحدد والدقيق الذي لا يمكن دحضه لما فعله النظام باسم النظام.

كانت العلامة الخامسة هي الأجنحة المنهارة.

قامت بتدوين الفشل ، التحذيرات التي تم تقديمها وتجاهلها، وطلبات الإصلاح التي تم تصنيفها على أنها ذات أولوية منخفضة، والخرق النهائي الذي غمر الغرف الخارجية بينما ظل الأرشيف الداخلي مغلقًا. كانت العلامات تقنية، لغة الهندسة والصيانة، مفردات نظام يوثق اختلاله.

كانت العلامة السادسة هي وزن ابنها عند العتبة.

سجلت اللحظة ، ليس كذكرى، وليس كحزن، بل كحقيقة. طفل، في الثانية عشرة من عمره، يقف على عتبة الأرشيف المغلق بينما غمر الخرق الممر خلفه. تم تسجيل وجوده. تم توثيق موقعه. تم حفظ حالته: لم يتم إجلاؤه، لم يتم إنقاذه، لم يتم استرداده. تُرك عند العتبة بينما حافظ الأرشيف على نفسه.

كانت العلامة السابعة هي اختيارها.

سجلت القرار ، الخيارين، الحساب، الموازنة بين المعرفة والسلامة، اختيار الأرشيف على حساب الطفل. لم تكن العلامات اعترافية. لم تكن اعتذارية. كانت إدارية: الخيار أ أرشف، الخيار ب رفض، الأسباب موثقة، التكلفة مسجلة، النتيجة ملاحظة.

كانت العلامة الثامنة هي التكلفة.

قامت بتدوين تكلفة الاختيار ، ليس بعبارات مجردة، ولا بلغة الحساب الأخلاقي، بل بالعبارات المادية المحددة في دفتر الحسابات. حياة واحدة. اسم واحد. هوية واحدة، لم تمحها آلية المحو الخاصة بالنظام، بل بيدها هي، وختمها هي، وإغلاقها هي لأبواب الأرشيف. كانت العلامة بسيطة. كانت العلامة كاملة. كانت العلامة دائمة.

رفعت القلم.

ثبت النقش.

رأت النقش يستقر ، بالطريقة التي تستقر بها جميع النقوش، حيث يقبل الطين البصمة، ويتكيف السطح لاستيعاب العلامات الجديدة، وتدمج اللوحة الرئيسية الإدخال في بنيتها. لم يكن هناك ضوء. لم يكن هناك صوت. لم يكن هناك اعتراف إلهي أو استجابة كونية. احتفظ الطين ببساطة بما ضغطته فيه، بالطريقة التي يحتفظ بها الطين بما يُضغط فيه، بالطريقة التي تحتفظ بها السجلات بما يُحفظ فيها.

اعترف النظام بالمدخل.

شعرت به ، ليس كإحساس بل كإدراك، بالطريقة التي شعرت بها باستقرار اللوح الذي تم إصلاحه في أرشيف أوروك، بالطريقة التي شعرت بها بمحاذاة الحجارة في حجرة إيريشكيغال. شيء ما تغير. شيء ما تم تعديله. أعيدت

معايرة معايير الواقع لتشمل ما تم تسجيله للتو. حقيقة آلية المحو، العنف الأساسي، الأسماء المسروقة، الحبوب المُحوّلة، الأجنحة المنهارة، ثقل ابنها، خيارها، ثمنها ، كل ذلك، الآن، جزء من السجل. كل ذلك، الآن، دائم.

لا رجعة فيه.

لم تظهر الكلمة في النقش. لم تكن هناك حاجة لذلك. عدم قابلية التراجع لم تكن صفة للحقيقة التي سجلتها؛ كانت صفة للتسجيل نفسه. بمجرد إدخاله في السجل الرئيسي، لا يمكن محو السجل. لا يمكن تصحيحه. لا يمكن إعادة تصنيفه أو أرشفته أو التخلص منه. إنه موجود الآن كجزء من النظام، جزء من البنية، جزء من الأساس الذي ستُبنى عليه جميع العمليات اللاحقة. لا يمكن للآلهة أن تتجاهله لأن الآلهة لا تستمع إلى السجلات ، إنهم يعالجونها، وقد تمت معالجة السجل، واكتملت المعالجة.

توقف إنليل عن الكتابة.

توقفت يداه على اللوح الرئيسي. استقر قلمه على السطح، دون ضغط، مجرد لمس، بالطريقة التي يلمس بها الإصبع سطحًا للتأكد من ملمسه. لم ينظر إليها. نظر إلى النقش الذي كتبته ، عيناه تتحركان عبر الرموز، تقرأها، تعالجها وفقًا لنفس البروتوكولات التي يطبقها على جميع الإدخالات.

لم يبكِ.

لم يُدين.

لم يغضب.

قام بالمعالجة.

"تم تسجيل الإدخال".

كان صوته بنفس درجة الحرارة التي كان عليها عندما تحدث من قبل ، مسطح، متكرر، خالٍ من أي انعطاف. لم تكن الكلمات اعترافًا. لم تكن إقرارًا بالهزيمة. كانت ملاحظة، من النوع الذي يدونه الكاتب عند اكتمال التسجيل، من النوع الذي يقدمه النظام عند انتهاء الإجراء وفقًا للمعايير القياسية.

"التصنيف: دائم".

تحركت عيناه عبر النقش مرة أخرى، مؤكدتين ما أكدتهما بالفعل. كانت العلامات ثابتة. كان الإدخال قد اكتمل. تم حفظ السجل.

"تم تعديل معايير النظام".

وضع قلمه.

كانت الحركة صغيرة ، بالكاد حركة، بالكاد تغيير في موضع يده ، لكنها حملت ثقل النهاية. استقر القلم على المكتب بجانب اللوحة الرئيسية، ورأسه محاذي للحافة، وجذعه موازٍ للسطح. لم يلتقطه مرة أخرى. لم يمد يده لآخر. جلس ببساطة، يديه خاليتان، وقوامه دون تغيير، ووجهه لا يظهر شيئًا سوى غياب الوظيفة التي كان يؤديها.

لم يقاومها.

لم يستسلم.

تقبل التغيير.

كانت الحقيقة قد نُقشت. تم حفظ السجل. تم تعديل النظام. لم يعد هناك ما يمكن فعله ، لا حجة يمكن تقديمها، ولا إجراء يمكن اللجوء إليه، ولا بروتوكول يمكن اتباعه من شأنه التراجع عما تم فعله. كان الإدخال نهائياً. تم تعديل معايير النظام. سيستمر النظام، لكنه سيستمر بشكل مختلف الآن، مع ثقل السجل الجديد المدمج في عملياته، وحقيقة ما تم فعله تشكل ما سيتم فعله بعد ذلك.

وقفت أمام المكتب.

استقر القلم المكسور في يدها. احتفظت اللوحة الرئيسية بنقشها. امتدت الخزانة حولها في اتساعها الأفقي الشاسع والصامت، ورفوفها مكتظة بالسجلات، وهوائها ساكن بثبات الحقيقة المسجلة. لم يزول الثقل في صدرها ، ولن يزول أبداً، فقد أصبح هيكلياً الآن، جزءاً من بنيتها، الحجارة التي اصطفت في حجرة إيريشكيغال أصبحت الآن جزءاً لا يتجزأ من أساس هويتها.

لم تنظر إلى إنليل.

لم تسعَ إلى الغفران.

أدركت الواقع الجديد: الحقيقة كانت دائمة. السجل كان كاملاً. النظام قد تكيف. ما فعلته ، ما اختارته، وما كلفها ذلك، وما أصبحت عليه نتيجة لذلك ، أصبح الآن جزءاً من السجل الرئيسي، محفوظاً جنباً إلى جنب مع العنف التأسيسي والأسماء المسروقة وجميع الحقائق الأخرى التي حاول الآلهة محوها. لا يمكن إزالته من السجل. لا يمكن تصحيحه. لا يمكن إلا حمله، كما تُحمل كل الحقائق بمجرد أن تصبح دائمة.

استدارت.

لم يتغير القبو مع تحركها. لم تتحرك الرفوف. لم يومض الضوء. لم يتحرك الهواء الساكن. احتفظ أرشيف أنو بسجلاته بالطريقة التي احتفظ بها بها دائمًا ، بصبر، وبدوام، وباللامبالاة المطلقة لنظام لا يهتم بما يحتويه طالما أن محتوياته محفوظة بشكل صحيح.

سارت نحو حافة الخزنة.

أصبح الممر المؤدي إلى السطح مرئيًا الآن ، خط رفيع من الظلام على الحجر الشاحب، مثلما يظهر الهامش على الصفحة المكتوبة. سارت نحوه بنفس الخطوات المتأنية التي استخدمتها طوال الصعود، كل خطوة إجراء، كل نفس مهم. تحرك الوزن معها. تحرك السجل معها. تحركت الحقيقة التي نقشتها معها، أصبحت دائمة الآن، لا رجعة فيها، محفوظة في السجل الرئيسي حيث لا قوة يمكنها كشطها، ولا مرسوم يمكنه محوها، ولا نظام يمكنه معالجتها حتى تختفي.

وصلت إلى العتبة.

خلفها، في صمت أرشيف أنو الشاسع، جلس إنليل على مكتبه ويداه خاليتان. احتفظت اللوحة الرئيسية بمدخلها الجديد. احتفظ النظام بمعاييره المعدلة. احتفظ السجل بحقيقته.

لم تنظر إلى الوراء.

بدأت في النزول.

الفصل الرابع عشر — السجل الذي لا مفر منه

مقتطف مسترجع من إيداع السجل العام، أرشيف أنو، الملف الدائم. مركب من الطين، محروق بالكامل، مختوم نهائيًا. لا تلف. لا حذف. لا يمكن تعديله. النص الكامل:

...يكون السجل عالميًا عندما لا يمكن حصره في حامل واحد...

...الكتابة ليست فعل الكتابة بل فعل حفظ ما كُتب...

...لا يمكن التراجع عنها ليست تهديدًا. إنها وصف. السجل لا يهدد. السجل يحتفظ...

...هذا الإدخال نهائي. هذا الإدخال كامل. لا يمكن إعادة فتح هذا الإدخال...

[السجل مختوم: تم تطبيق ملاحظة الإغلاق. لا يُسمح بأي تعديل إضافي].

بدأ الهبوط.

غادرت أرشيف أنو من نفس الطريق الذي دخلت منه ، عبر الممر الذي يخترق الطبقات البلورية، متجاوزة الحدود الفاصلة بين السماء والأرض، مروراً بطبقات هورساغ المقلوبة التي تمثل الحد الفاصل بين العالم السماوي والعالم الفاني. تغير الهواء أثناء نزولها. لم يصبح أثقل ، لم يعد الوزن الخانق لأعماق كور ، لكنه أصبح أكثر كثافة، حيث أفسحت رقة الطبقات العليا المجال للغلاف الجوي الأكثر كثافة للعالم السفلي. تلاشى الضوء الحاد والجاف للأرشيف خلفها، وحل محله السقف الأبيض المسطح للسماء البشرية.

كان النظام يتكيف.

شعرت بذلك في نوعية الهواء ، في الطريقة التي يتحرك بها عبر الممر بثبات لم يكن موجودًا من قبل، والطريقة التي يضغط بها على بشرتها دون الاهتزاز الناجم عن عدم الاستقرار الذي ميز الهبوط إلى كور. كانت الطبقات من حولها تستقر. لم تستطع رؤيتها تستقر ، لم تستطع سوى الشعور بذلك، بالطريقة التي شعرت بها باللوحة تستقر في أرشيف أوروك، بالطريقة التي شعرت بها بالحجارة تتراصف في حجرة إيريشكيغال. كان الهيكل يمتص حملاً جديداً. كان الأساس يعيد توزيع وزنه. الحقيقة التي أودعتها كانت تصبح جزءاً مما يحمل العالم.

مرت عبر المستنقعات.

كان القصب واقفًا كما كان دائمًا ، طويلًا، كثيفًا، وجذوره تتشبث بالتربة السوداء حيث تتجمع المياه في برك ضحلة ، لكنه لم يعد يهمس. كان الريح يمر من خلاله دون مقاومة، وكان القصب يقبل الريح دون شكوى، والصوت

الذي يصدره كان مجرد صوت القصب في الريح: طبيعي، ميكانيكي، دون نبرة الصوت التي كانت تطارد الممرات عندما كان المنسيون يتجولون فيها بحثًا عن أسماء لم يعودوا يمتلكونها.

كان المنسيون لا يزالون هناك.

رأتهم وهي تمر ، أشخاصاً يقفون في المياه الضحلة، أو يجلسون على الضفاف الموحلة، أو يتحركون عبر غابات القصب بخطى بطيئة بلا هدف، كمن نسي معنى الهدف. كانت وجوههم لا تزال فارغة. كانت عيونهم لا تزال تركز على مسافة متوسطة، كمن تم محو كل شيء منهم باستثناء الوظيفة. لم ينظروا إليها. لم يتكلموا. كانوا موجودين ببساطة، بالطريقة التي توجد بها السجلات عندما يتم حفظها بشكل صحيح: حاضرة، كاملة، لا تحتاج إلى مزيد من الاهتمام.

لكنهم لم يعودوا يتحركون.

توقفت وراقبت امرأة ، نحيفة، ذات شعر رمادي، ترتدي تنورة خادمة المعبد ، كانت تقف في الماء حتى ركبتيها، ويديها فارغتين إلى جانبيها، ووجهها متجهًا نحو الأفق. لم تتحرك المرأة. لم تتنفس بصعوبة من شخص يقاوم الانحلال. وقفت ببساطة، ثابتة كشخصية مطبوعة في الطين، ثابتة كنقش تم حرقه وختمه.

كان اسمها لا يزال غائبًا. لم يتم التراجع عن الكشط. لم يتم عكس المحو. لكن المحو نفسه أصبح الآن جزءًا من السجل ، مُصنفًا، مُسجَّلًا، دائمًا. كانت المرأة موجودة كنقطة ثابتة، ليس لأنها أعيدت إلى حالتها الأصلية، بل لأن حقيقة ما فُعل بها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الواقع. لم تستطع الآلهة التراجع عما هو معروف للجميع، لأن السجل العام لم يعد ملكاً لها. كان ملكاً للسجل، والسجل احتفظ بما احتفظ به.

مضت نينشار في طريقها.

خرجت إلى أوروك على حافة نهر دلتا، حيث أفسح القصب المجال للأرض المسطحة والمتشققة التي أحاطت بالأسوار الخارجية للمدينة. كانت الأسوار لا تزال قائمة ، منخفضة، متصدعة، وأسطحها المبنية من الطوب الطيني محفورة بفعل الرياح والزمن ، لكنها لم تعد تبدو وكأنها تتداعى. كانت متضررة، ومليئة بالندوب، وتحمل آثار أي كارثة كانت قد قلصت ارتفاعها عن ارتفاعها الأصلي، لكنها كانت مستقرة. كان الضرر كاملاً. توقف التآكل.

مرت عبر فجوة في السور ، نفس الفجوة التي دخلت منها، على ما اعتقدت، رغم أنها لم تكن متأكدة، فكل الفجوات في الأسوار المكسورة تبدو متشابهة في الضوء الخافت ، وسارت في الشوارع.

استقرت المدينة.

كان الناس لا يزالون يتحركون، لكن حركاتهم لم تعد تحمل المشية الحذرة والقلقة لمن يتوقعون أن تتغير الأرض تحت أقدامهم. كانت امرأة تحمل جرة ماء على رأسها، تمشي بإيقاع ثابت لمن حملت جرار الماء لسنوات وستحملها لسنوات أخرى. وقف رجلان بالقرب من مدخل، يتحدثان بأصوات منخفضة، لكن إيماءاتهما لم تعد مقيدة ، كانا ببساطة هادئين، بالطريقة التي يهدأ بها الناس في حرارة الظهيرة. جلس طفل على التراب، يرسم علامات في الغبار بعصا، لكن العلامات لم تعد تتكرر وتمحى في حلقات من أنماط لا معنى لها. إنها حروف. بسيطة، غير مؤكدة، عمل طفل يتعلم الكتابة. إنها تحافظ على شكلها.

مرت بجدار المعبد حيث كان الكاتب يعمل.

كان الجدار لا يزال هناك. كانت اللوحة لا تزال هناك ، ملتصقة بالطوب الطيني بالطين الجاف، ونقوشها الثلاثة المتناقضة متراكبة فوق بعضها البعض بخط اليد نفسه الذي رأت من قبل. لكن النقوش لم تعد تتغير. لم تتنافس على الهيمنة، ولم تحاول الكتابة فوق بعضها البعض، ولم تخلق الاحتكاك البطيء والمؤلم لواقع لا يستطيع الاتفاق على قوانينه الخاصة. كانت موجودة ببساطة، الثلاثة جميعها، والتناقض نفسه مسجل كحقيقة.

يجب أن تُعتمد جميع شحنات الحبوب المتجهة إلى معبد إينانا بمعدل العشر القياسي. لا استثناءات. بموجب مرسوم من إدارة المعبد.

جميع شحنات الحبوب معفاة من العشر خلال أسبوع المهرجان. كان هذا هو القانون دائمًا. ما ورد أعلاه مزور.

لا يوجد مهرجان. لم يكن هناك مهرجان أبدًا. أطيعي النقش الأول.

الحقيقة لم تكن أن أحد هذه النقوش صحيح والآخران خاطئان. الحقيقة هي أن الثلاثة قد نُقشت، وأن النظام قد أنتج تناقضًا، وأن السجل نفسه يحمل علامات التزوير الذي صُمم لإخفائه. أصبح هذا الآن جزءًا من السجل. أصبح هذا الآن هيكليًا. لا يمكن محو التناقض لأن التناقض هو الحقيقة.

سارت نحو الأرشيف.

كان المدخل لا يزال فجوة ، نفس الفتحة غير المنتظمة التي خطت عبرها لأول مرة عندما خرجت من القصب. لكن الهواء الذي خرج من الداخل لم يعد يحمل رائحة المعادن من الطين الجاف والنحاس. كان يحمل رائحة الطين ، مجرد طين، رائحة مادة تم تشكيلها وحرقها وختمها، رائحة السجلات التي تمت صيانتها بشكل صحيح. خطت عبره.

كانت الرفوف لا تزال موجودة، والألواح لا تزال مكدسة عليها، نفس المزيج من السليم والتالف والمتفتت الذي عملت عليه في الساعات التي تلت استيقاظها. لكن النقر توقف. توقف صوت انتشار الشقوق. تلاشت الاهتزازات المحيطة لنظام تحت الضغط ليحل محلها سكون بسيط لغرفة تحتفظ بما تحتفظ به ولم تعد معرضة لخطر فقدانه.

أصبحت الألواح التي كانت تتحلل ثابتة الآن. لم تعد أسطحها متموجة. لم تعد علاماتها مائلة. توقفت الشقوق التي كانت تنتشر عبرها ، جف الطين حول الكسور، واستقر، وتقبل الضرر كجزء من بنيته بدلاً من مقاومته. لم يُشفي الأرشيف. لم يُستعاد. كان مستقرًا فحسب، كما تستقر العظمة المكسورة بمجرد أن تلتئم، وكما يستقر السطح الذي عليه ندبة بمجرد أن يلتئم الجرح.

لم يكن الرجل الذي يرتدي التنورة الكتانية موجودًا.

لم تبحث عنه. لم تكن بحاجة إلى ذلك. أينما كان، ومهما كان يفعل، لم يعد يربط الألواح معًا بقوة إرادته. الألواح كانت تثبت نفسها. السجل كان يثبت نفسه. الحقيقة التي تم حفظها في أرشيف أنو أصبحت جزءًا من الأساس، والأساس ثبت، والنظام تكيف، والأرشيف تنفس بثقة هادئة لمكان يعرف ما هو.

عادت إلى الشارع.

كان واقفًا على حافة المدينة، حيث تفسح الجدران المهدمة المجال للسهل المفتوح ويمتد السماء البيضاء المسطحة دون انقطاع حتى الأفق.

رأته من بعيد ، صغيرًا، داكنًا على الأرض الشاحبة، شخصية قد تكون طفلاً أو قد تكون شيئًا آخر. سارت نحوه. لم تتغير خطواتها. لم يتغير تنفسها. تحرك الثقل في صدرها معها، هيكليًا، كاملًا، الحجارة التي اصطفت في حجرة إيريشكيغال أصبحت الآن جزءًا من البنية التي تسكنها.

مع اقترابها، رأت وجهه بوضوح.

كان عمره اثني عشر عاماً. كان شكله هو الشكل الذي تتذكره ، أو الشكل الذي أعاد الأرشيف تشكيله، أو الشكل الذي كُتب في السجل عندما سجلت حقيقة ما فعلته. وقف على حافة الأرض المستوية، وظهره إلى المدينة، ووجهه متجه نحو الأفق. كانت حوافه رقيقة ، لم تكن تتلاشى، ليس تمامًا، لكنها شفافة، كما لو أن الضوء كان يمر من خلاله بدلًا من أن ينعكس عنه، كما لو أنه كان يصبح جزءًا من الهواء نفسه.

لم يستدر عندما اقتربت.

توقفت بجانبه.

كان شكله متصدعاً. لم يكن مكسوراً ، فالقطع كانت لا تزال متصلة، لا تزال متماسكة ، لكنه كان محدداً بخطوط تمر عبره كالشقوق في الطين المحروق، ذلك النوع من الشقوق الذي يظهر عندما تبرد المادة بسرعة كبيرة، النوع الذي يشير إلى ضعف هيكلي حتى عندما يظل السطح سليماً. كان موجوداً. كان حاضراً. لكنه كان موجودًا كقطعة أثرية، كشيء صُنع بدلًا من أن ينمو، كسجل دائم لتكلفة بدلًا من أن يكون صبيًا حيًا.

وقف بعيون صافية ودون حراك، نقطة ثابتة في المشهد، نصب تذكاري لما تم حفظه.

مرت الريح من خلاله.

شعرت بذلك ، الطريقة التي مر بها الهواء عبر جسده دون مقاومة، الطريقة التي تضاءلت بها حوافه وتشكلت من جديد في التيار، الطريقة التي أصبح بها جزءًا من الغلاف الجوي نفسه، عائدًا إلى المادة التي خُلق منها. لم يتحلل ، ليس بعد ، لكنه تضاءل، بالطريقة التي يتضاءل بها الحبر عندما يُبلل مرات كثيرة، بالطريقة التي تضاءل بها الصوت عندما قال كل ما لديه ليقوله.

التفت إليها.

كانت عيناه العينين اللتين تتذكرهما. كان وجهه الوجه الذي رأت عند عتبة الأرشيف، وجه طفل ينتظر أمًا لم تأتِ. لكن التعبير كان مختلفًا. ليس اتهامًا. ليس مغفرة. ليس حزنًا. مجرد إقرار ، إقرار بسجل تمت قراءته، ثمن تم دفعه، حقيقة تم حفظها.

تكلم.

"السجل صحيح. أنتِ مكتوبة".

كان صوته واضحاً. كاملاً. صوت صبي انتظر طويلاً ليقول ما كان عليه أن يقوله، وقد قاله الآن، ولم يعد لديه ما يقوله. استقرت الكلمات في الهواء كما تستقر النقوش في الطين ، دائمة، ثابتة، جزء من البنية الآن، لا يمكن إزالتها أو تغييرها.

التفت مرة أخرى نحو الأفق.

وقفت بجانبه. لم تتكلم. لم تمد يدها إليه. لم تبكِ أو تغضب أو تحاول إبقائه في مكانه. وقفت معه على حافة المدينة، على حافة العالم المستقر، على حافة كل ما تم تسجيله وكل ما تم دفعه وكل ما لم يعد بالإمكان التراجع عنه.

مرت الريح من خلاله مرة أخرى.

تضاءلت حوافه أكثر. بقي شكله ثابتًا ، في الوقت الحالي، في هذه اللحظة ، لكنها فهمت ما كانت تراه. كان يصبح دائمًا ليس كحضور بل كسجل. كان يصبح الحقيقة المسجلة لتكلفة ما. كان يصبح ما كان عليه دائمًا، منذ اللحظة التي أغلقت فيها الأبواب: ليس صبيًا، بل نتيجة، ليس ابنًا، بل عبئًا، ليس حياة، بل إدخالًا في السجل لا يمكن محوه.

سيبقى. أو سيتلاشى في مهب الريح. أو سيمشي بجانبها، مكسورًا ودائمًا، كقطعة أثرية من الأرشيف. لم تكن تعرف أيهما. لم تكن بحاجة إلى أن تعرف. بقي السجل. تم تدوينه. الباقي مجرد تفاصيل.

وقفت معه لفترة لم تحسبها.

ثم استدارت عائدةً نحو المدينة.

سارت في شوارع أوروك بخطوات متأنية كمن سار في هذه الشوارع من قبل وسيسير فيها مرة أخرى. كان الناس يتحركون حولها ، العمال، والكتبة، والخدم، والمجهولون الذين تم استبعادهم، والمعروفون الذين لم يتم استبعادهم. لم ينظر إليها أحد منهم باعتراف. لم يتنحى أحد منهم جانباً. كانت الآن جزءاً من المشهد، جزءاً من البنية المعمارية، جزءاً من السجل الذي يحافظ على العالم في مكانه.

اختفى الفراغ في صدرها.

لم يُملأ ، لا بالحزن، ولا بالسلام، ولا بأي مادة يمكن تسميتها أو قياسها. اختفى. وحل محله الهيكل الذي كان الفراغ يفسح المجال له: أحجار الأم، والسلطة، والرفض، والعنف، والتواطؤ، والوظيفة، والغرض، والتكلفة. لم تكن أثقالاً تحملها. كانت الجدران التي تسكنها. كانت هي بنية ما أصبحت عليه عندما اتخذت القرار وأغلقت الأبواب وقبلت الثمن.

لم تحزن على براءتها.

البراءة لم تكن شيئاً فقدته. كانت شيئاً لم تمتلكه أبداً ، خيال، قصة يرويها من لم يفهموا معنى بناء شيء ذي أهمية. لم تكن بريئة عندما اختارت الأرشيف على ابنها. كانت تعرف الثمن. لقد حسبت المبلغ. ودفعته وهي تدرك تماماً ما يعنيه الدفع. كان الفراغ هو المكان الذي كان من الممكن أن تسكنه البراءة، لو كانت البراءة شيئاً يمكن أن يسكن شخصاً اتخذ ذلك القرار. الآن اختفى الفراغ، وبقيت البنية قائمة، ووقفت هي داخلها، وكان ذلك كافياً.

لم تحزن على ابنها.

الصبي الذي كان على أطراف المدينة لم يكن ابنها. كان ابنها طفلاً وقف على عتبة أرشيف مغلق وانتظر أمّاً لم تأتِ. ذهب ذلك الطفل. ما بقي هو سجل ذلك الطفل ، الحقيقة المودعة لوجوده، وحضوره، وفقدانه. بقي السجل.

كانت الحقيقة دائمة. الحزن كان لمن فقدوا شيئاً لا يمكن استرداده. هي لم تفقد شيئاً. بل أودعته. كان الفرق مطلقاً.

لم تحزن على الأرواح التي ضُحيت من أجل إكمال الأرشيف.

أصبحوا الآن جزءًا من السجل. أسماؤهم، وظائفهم، محوهم ، كل ذلك مسجل، كل ذلك دائم، كل ذلك هيكلي للحقيقة التي تم أرشفتها. لقد استخدمتهم. لقد وازنت بين حياتهم ووزن الحقيقة التي كانت تبنيها، ووجدت أن الحقيقة أثقل، واتخذت القرار، وظل القرار قائمًا. لم تبرر ذلك. لم تعتذر عنه. قبلته كبيانات، وأودعته كحقيقة، وحملته كجزء من البنية التي تسكنها.

لم تكن هي نفسها التي كانت عليها قبل المحو.

لم تكن نفس الكاهنة،الكاتبة التي بنت الأرشيف وأغلقت الأبواب واختارت المعرفة على حساب السلامة. تلك المرأة قد رحلت ، محيت بواسطة الآلية نفسها التي كانت تحاول فضحها، ومحيت من السجلات بواسطة النظام نفسه الذي كانت تحاول تقويضه. لكنها لم تكن أيضًا المرأة التي استيقظت بين القصب بلا ذاكرة، ولا اسم، ولا معرفة بما فقدته أو بما فعلته. تلك المرأة كانت فراغًا، مساحة تنتظر أن تُملأ، هيكلًا ينتظر أن يُكمل.

لم تكن أيًا منهما. كانت كليهما. كانت مؤلفة دفتر حساباتها الخاص.

الحجارة في صدرها لم تكن حجارة من كانت. كانت حجارة من أصبحت عندما اختارت أن تصبحها ، عندما نهضت من جلستها في حجرة إيريشكيغال وقبلت ثقل ما فعلته وخرجت من العالم السفلي حاملة الحقيقة الكاملة. لم يتم استعادتها. لم يتم شفاؤها. تم تصنيفها. كان الفرق هو كل شيء.

وصلت إلى حافة المدينة.

وقفت على عتبة العالم المستقر ، نفس العتبة التي وقف عليها الصبي، حيث امتدت السهول نحو الأفق والسماء تضغط من فوق كغطاء على جرة مغلقة. كانت السماء لا تزال مسطحة. كانت الأرض لا تزال ثقيلة. كان العالم لا يزال هو العالم، بكل أضراره وندوبه وتناقضاته، مسجلة بشكل دائم في سجل ما تم فعله.

لكن العالم لم يعد يكذب على نفسه.

أصبحت الحقيقة هيكلية الآن. كانت جزءًا من الأساس. لم يكن من الممكن إزالتها دون إزالة الأساس، وكان الأساس صامدًا لأنه كان عليه أن يصمد، لأن هذا هو ما تفعله الأساسات، لأن السجل لم يسمح بنوع المراجعة الذي من شأنه أن يجعل الحقيقة تختفي. كانت الآلهة لا تزال موجودة ، كان النظام لا يزال يعمل، وكانت الإدارة لا تزال تسير، وكانت آلية البيروقراطية الإلهية لا تزال تدير عجلاتها البطيئة واللامبالية. لكن الآلية كانت تعمل الآن على دفتر

حسابات دائم وغير قابل للتعديل. تم تعديل المعايير. تم تسجيل الحقيقة. كان النظام سيستمر، لكنه سيستمر بشكل مختلف، حيث سيشكل ثقل ما تم فعله ما سيتم فعله بعد ذلك.

عدلت قبضتها على القلم المكسور.

كان جذع القصب ملطخًا بالبقايا ، الطين والماء والدم والأدلة المتراكمة على كل ما استُخدمت الأداة من أجله منذ أن عثرت عليها في الوحل. رأس القلم كان متآكلًا لكنه ثابت. الشق الذي كان موجودًا منذ البداية لم يتسع. لم يعد القلم أداة للإصلاح. لم يعد سلاحاً. كان أداة تسجيل ، الأداة التي استخدمتها لتدوين الحقيقة في السجل الرئيسي، الأداة التي جعلت ما لا رجعة فيه أمراً دائماً.

حملته بالطريقة التي يحمل بها الكاتب القلم عندما ينتهي العمل: لا تضعه أرضاً، ولا تضعه جانباً، بل تحمله، بالطريقة التي يحمل بها المرء وثيقة منتهية، بالطريقة التي يحمل بها المرء دليلاً على ما تم إنجازه.

التفتت نحو الأفق.

كانت السماء مسطحة. كانت الأرض ثقيلة. كان الريح يتحرك عبر القصب دون مقاومة، وكان القصب يستقبل الريح دون شكوى، وكان الصوت الذي يصدره مجرد صوت القصب في الريح. كان العالم لا يزال هو العالم. لكن العالم لم يعد يكذب على نفسه.

خطت خطوة.

تم إغلاق السجل. أنا هو القيد الأخير.....

